(١٥) من تراث الكوثري

التبصير في الدين

وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين

تأليف

الأمام الكبير ، حجة المتكلمين ، المفسر النظار

أبي المظفر الاسفرايني

المتوفى سنة ٤٧١ هـ ، رحمه الله

عرف الكتاب ، وترجم للمؤلف ، وخرج احاديثه ، وعلق حواشيه

العلامة المحدث الكبير

صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ

محمد زاهد بن الحسن الكوثري

تفضل الاستاذ الدكتور

محمود محمد الخضيري

أستاذ تاريخ الفلسفة الاسلامية بالجامعة المصرية

بكلمة عن الصلة بين علم الفرق وغيره من العلوم

الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث

٩ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر الشريف - ت : ٢٥١٢٠٨٤٧

(١٥) من تراث الكوثري

التبصير في الدين

وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين

تأليف

الأمام الكبير ، حجّة المتكلّمين ، المفسرّ النظّار

أبي المظفر الاسفرايني

المتوفى سنَة ٤٧١ هـ ، رحمه الله

عرف الكتاب ، وترجم للمؤلف ، وخرج احاديثه ، وعلق حواشيه

العلامة المحدّث الكبير

صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ

محمد زاهد بن الحسن الكوثري



تفضل الاستاذ الدكتور

محمود محمد الخضيري

أستاذ تاريخ الفلسفة الاسلامية بالجامعة المصرية

بكلمة عن الصلة بين علم الفرق وغيره من العلوم

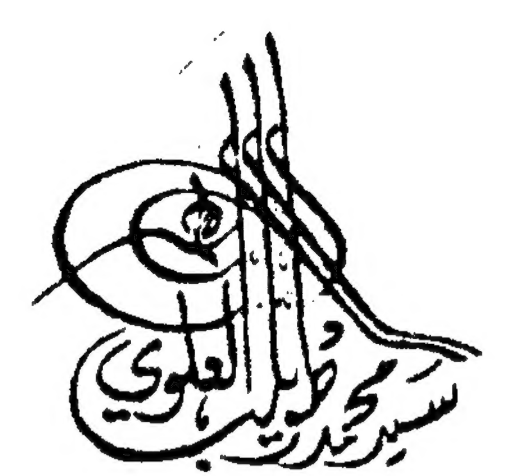
الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث

٩ درب الأتراك ـ خلف الجامع الأزهر الشريف ت : ٢٥١٢٠٨٤٧

رقم الإيـــداع : ٢٢٠٥ / ٢٠١٠
الترقيم الدولي : 9-235-315-977 – 978





بسم الله الرحمن الرحيم

افتراق الأمة على فرق
وكلمة
عن الإمام أبى المظفر الإسفراينى
وكتاب التبصير له

يقول مطهر بن طاهر المقدسى فى كتاب « البدء والتاريخ » عند الكلام على شرائع أهل الجاهلية : « كان فيهم من كل ملة ودين ، وكانت الزندقة والتعطيل فى قريش ، والمزدقية والمجوسية فى تميم ، واليهودية والنصرانية فى غسان ، والشرك وعبادة الأوثان فى سائرهم اهـ » . وكانت هـذه البيئة تحتوشها أمم زيغ من كل طراز . ففى مثل هذا الوسط البعيد الغور فى صنوف السقوط بعث الله تعالى سيد المرسلين وخاتم النبيين محمداً ﷺ بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بالحكمة ، والموعظة الحسنة . وبعد مضى نحو ثلاث عشرة سنة من بعثته أذن الله له فى الدفاع عن الحق بالقوة إزاء العنت بعد تمام إقامة الحجة فاستنارت القلوب بنور دعوته ﷺ ، وانقمع أهل الباطل فشمل نور التوحيد بقاع الأرض كلها بانقشاع ظلمات الجاهلية الأولى أمام ذلك النور الوهاج فتبدلت الأرض غير الأرض ، والناس غير الناس .

ولما التحق النبى ﷺ بالرفيق الأعلى بعد أداء رسالته ، وانتشاله الأمة من كبوتها ارتد أناس فى الأطراف ، وحاول أناس تفريق شؤون الدنيا من شؤون الدين بالامتناع عن أداء الزكاة ، فعد الصحابة رضى الله عنهم جميع هؤلاء فى سبيل المرتدين بالنظر إلى أن الدين الإسلامى الكامل فى ذاته جامع فى جوهره وصميمه بين مصلحتى الدنيا والدين ، ومكافح عن المصلحتين ضد المتعنتين بعد اقامة الحجة واستبانة المحجة فعاملوا الفريقين معاملة المرتدين ، فزالت هذه الهاجسة من الرؤوس بحيث لا تنبعث مرة أخرى ما دام للإسلام سلطان على القلوب .

وفى عهد الفاروق ﷺ أخذ رجل يقال له صبيغ بن عسل يسأل عن المتشابه ، ويتكلم فيما لا يعنيه مما قد يحدث فتنًا بين العامة فطلبه عمر وقال له من أنت ؟ قال : أنا عبد الله صبيغ ، وقال عمر : أنا عبد الله عمر · فأخذ يضربه بعراجين النخل حتى أدمى رأسه · فقال صبيغ : حسبك يا أمير المؤمنين قد ذهب الذى كنت أجده فى رأسى ثم نفاه إلى البصرة حتى صلح حاله · هكذا كان سهر عمر على الفاتنين بين العامة بدون شبهة قائمة تستوجب الكشف · ثم لما حدثت الفتن فى عهد ثالث الخلفاء الراشدين ورابعهم ﷺ وجد الفاتنون من الأمم الأخرى المندسون بين المسلمين مرتعًا خصبًا لبذر بذور الشر والفساد بين أهل الإسلام فبدأوا يسعون جهدهم فى تفريق كلمة المسلمين بشتى الوسائل انتقامًا منهم لأممهم فتم لهم بعض ما أرادوه · فكانت الخوارج أول المتجردين لتفريق كلمة المسلمين فى أخطر أيام الإسلام · وأحداثهم السود مما يسود صحف التاريخ ، ولم تكن نشأة الخوارج نتيجة شبه علمية بل كانت من عاطفة سياسية جامحة ، ونشأة فرق الشيعة رد فعل لعمل هؤلاء تستند على عاطفة كتلك العاطفة · لكن أندس بينهم طوائف من الأمم التى لا تضمر للإسلام خيرًا فكدروا صفو التشيع لأهل بيت الرسول صلوات الله عليه وآله فضروا الإسلام فى صميمه ضررًا وبيلا يحمر وجه التاريخ خجلاً من تسجيله وتعليله ·

وفى نشأة المعتزلة يقول أبو الحسين الملطى فى رد الاهواء والبدع – وهو أقدم مصدر يبين وجه التلقيب باسم المعتزلة – : (وهم سموا أنفسهم معتزلة وذلك عندما بايع الحسن بن على عليه السلام معاوية وسلم إليه الأمر اعتزلوا الحسن ومعاوية وجميع الناس – وكانوا من أصحاب على – ولزموا منازلهم ومساجدهم وقالوا نشتغل بالعلم والعبادة فسموا بذلك معتزلة) وكان لمتقدميهم فضل الرد على النصارى واليهود والمجوس والصابئة وصنوف الزنادقة · لكن لكثرة أحتكاكهم بفرق الزيغ وتحكيمهم العقل فى كل شىء وقعوا فى بدع خطرة يأتى شرحها ·

وهكذا عمت البلية ، وشملت المصيبة إلى أن بلغ عدد أصول الفرق وفروعها عددًا كبيرًا ولا سيما بعد اتساع الفتوح ، وتفرغ الناس للجدل فى مسائل كانوا فى غنية عن الخوض فيها لو اكتفوا بالعلوم التى تحتها عمل كما أفضنا فى بيان ذلك فى مقدمة تبيين ابن عساكر ، ومقدمة الرد على نونية ابن القيم ·

وكان لعلماء أصول الدين سعى مشكور فى دفع الشبه وحراسة المعتقد فى

جميع أدوار التاريخ ، ولهم كتب خاصة فى الملل والنحل يجدر بمن يهتم بأمر دينه أن يطلع عليها لأن من اطلع على تاريخ الفرق ، ووجوه تشعبها ، وكيفية تفرع بعضها من بعض ، ازداد بصيرة فى أمر دينه ، وتصونا فى عقيدته ، وعلمًا بأطوار الفكر البشرى فى باب الاعتقاد .

فمن العلماء الذين ألفوا فى الملل والنحل على اختلاف مشاربهم ، وتفاوت مآربهم ، من اختط لنفسه تدوين معتقدات الفرق بدون تعرض للأخذ والرد ، ومنهم من عنى بالرد عليهم ردًا مشبعًا فيما يراهم مخطئين فيه ، ومنهم من غالى فى إلزام أهل الباطل ما يعده لازم قولهم ، وان لم يكن ذلك مصرحًا به فى كتبهم ، ومنهم من عول فى نسبة الآراء إليهم على كتب خصومهم البعداء عن النصفة ، والعالم المحتاط لدينه لا يعزو إلى فرقة من الفرق ، أو شخص من الأشخاص ما لم يره فى كتب المردود عليهم الثابتة عنهم ، أو فى كتب الثقات من أهل العلم المتثبتين فى عزو الأقاويل ، ولا يلزمهم إلا ما هو لازم قولهم لزومًا بينًا لم يصرح قائله بالتبرى من ذلك اللازم ، والخطأ فى باب الاعتقاد خطر إذا كان بحيث يعاند ما ثبت من الدين بالضرورة ، واستساغة ذلك لا تصدر إلا من شذاذ مرضى القلوب ، والخطأ فيما دون ذلك يعد بدعة فى الاعتقاد وإن لم يبلغ حد الكفر الناقل من الملة ، وقد وردت أحاديث فى افتراق الأمة على ثلاث وسبعين فرقة . منها ما لا نص فيه على الهالك منها ، ومنها ما فيه بيان أن واحدة منها ناجية والباقين هلكى ، ومنها ما يعدهم كلهم ناجين سوى واحدة هى الزنادقة وقد أختلف أهل العلم فى ثبوت تلك الأحاديث ، وعدم ثبوتها كلاً أو بعضًا كما اختلفوا فى المراد بالعدد المأثور ، أو الأمة هل هى أمة الدعوة أم أمة الإجابة ؟ فمنهم من يقول إن العدد لمجرد التكثير كما فى قوله تعالى : ﴿ فى سلسلة ذرعها سبعون ذارعًا ﴾ على ما شرحه المرجانى فى العضدية ، أو أن العدد لا مفهوم له . فلا مانع من الزيادة على العدد المأثور وإن لم يجز النقص ، أو أن القصد إلى أصول الفرق دون فروعها كما أشار إلى هذا وذاك الإمام فخر الدين الرازى فى كتابه فى الملل والنحل وإن سعى فى توهين الحديث فى تفسيره .

ومنهم طائفة تكلفوا حصر العدد فى فرق خاصة لكن قلما تجد اتفاقًا بينهم فى الفرق التى يملأون بها العدد المذكور . فدونك كتاب « **رد الأهواء والبدع** » لأبى الحسين الملطى المتوفى سنة ٣٧٧ وكتاب « **الفرق بين الفرق** » لأبى منصور عبد القاهر بن طاهر التميمى البغدادى المتوفى سنة ٤٢٩ ، وكتاب « **التبصير** » هذا لأبى المظفر

الاسفراينى المتوفى سنة ٤٧١ ، وكتاب « **الملل والنحل** » لأبى الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستانى المتوفى سنة ٥٤٨ ، و « **غنية الجيلى** » ، و « **شرح المواقف** » ، و« **خطط المقريزى** » و « **نشر الطوالع** » وغير ذلك مما لا يحصى من الكتب التى تذكر فيها الفرق تجد أصحابها يختلفون فى تعديد الفرق فى صدد إكمال ذلك العدد بدون زيادة ولا نقصان · والأجدر بالقبول عند من يرى صحة الحديث أن لا نتقدم بالحكم على مراد الرسول صلوات الله عليه بدون حجة ظاهرة ، بل المتحتم أن نقول أن الناجى هو من كان على ما عليه الصحابة ﷺ والسواد الأعظم من التمسك بما ثبت من الدين بالضرورة ، وأن الباقين على ضلال · إلا أن تشعب الفرقة لا ينتهى إلى انتهاء تاريخ البشر فلا يصح قصر العدد على فرق دون فرق ولا على قرن دون قرن ، لاستمرار ابتكار أهواء وتلفيق آراء مدة دوام الحياة البشرية فى هذا العالم · فالكلام فى الفرق كلها من غير تقيد بعدد هو الأبعد عن التحكم وهو الذى لا يكون مدعاة لهزء الهازئين من غير أهل هذا الدين ·

ورأى ابن حزم فى حديث افتراق الأمة على ثلاث وسبعين فرقة هو ما ذكره فى كتاب « الإيمان من الفصل » حيث قال : (ذكروا حديثًا عن رسول الله ﷺ ان القدرية والمرجئة مجوس هذه الأمة · وحديثًا آخر تفترق هذه الأمة على بضع وسبعين فرقة كلها فى النار حاشى واحدة) ·

قال أبو محمد : (هذان حديثان لا يصحان أصلاً من طريق الاسناد وما كان هكذا فليس بحجة عند من يقول بخبر الواحد فكيف من لا يقول به أ هـ) ·

قال ابن الوزير فى « العواصم والقواصم » : (إياك أن تغتر بزيادة كلها فى النار إلا واحدة فإنها زيادة فاسدة ولا يبعد أن تكون من دسيس الملاجدة · وقد قال ابن حزم : بأن هذا الحديث لا يصح) وقال الشمس محمد بن أحمد البشارى المقدسى فى « أحسن التقاسيم » بعد أن عدّد الفرق وذكر حديث (اثنتان وسبعون فى الجنة وواحدة فى النار) وحديث (اثنتان وسبعون فى النار وواحدة ناجية) : هذا أشهر والأول أصح اسناداً أ هـ ·

ومن الغريب أن ابن حزم يستدل فى احكامه على بطلان القياس بحديث نعيم بن حماد : (تفترق امتى على بضع وسبعين فرقة أعظمها فتنة على أمتى قوم يقيسون الامور برأيهم) مع سقوط هذا الحديث من وجوه عند جماعة أهل العلم بالحديث من

المشارقة بل المغاربة · وهنا لا يتوقف فى الحكم بعدم الصحة على حديث أبى داود ، والترمذى ، وابن ماجة ، عن أبى هريرة (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة) بدون زيادة (اثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة) وفى رواية لأبى داود والحاكم بتلك الزيادة ·

ولعل ذلك من جهة وجود محمد بن عمرو الليثى بين رواته ، وهو ممن أخرج له الشيخان فى المتابعات فقد · ومثله لا يحتج بحديثه اذا لم يتابع ويقول الحاكم فى المستدرك بعد أن اخرج الحديث: هذا من شرط مسلم · ويقول الذهبى مستدركًا عليه : محمد بن عمرو لم يحتج به منفردًا ، ولكن مقرونًا بغيره · وأما ما ورد بمعناه فى ابن ماجة ، والبيهقى ، وغيرهما ، ففى بعض أسـانيده عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، وفى بعضها ، كثير بن عبد الله ، وفى بعضها عباد بن يوسف ، وراشد بن سعد ، وفى بعضها الوليد بن مسلم ، وفى بعضها مجاهيل كما يظهر من كتب الحديث ، ومن تخريج الحافظ الزيلعى لأحاديث الكشاف ، وهو أوسع مَن تكلم فى طرق هذا الحديث - فيما أعلم - وابن حزم لا يرى جبر الضعيف بتعدد الطرق ، وأما الحديث الذى أشار إليه البشارى فهو ما أخرجه صاحب مسند الفردوس· حيث قال : (أخبرنا أبو ثابت بن منصور أخبرنا جعفر بن محمد بن الحسين الأبهرى ، حدثنا صالح بن أحمد الحافظ ، حدثنا إبراهيم بن محمد بن يعقوب ، حدثنا الحسن بن زولاق حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا يحيى بن يمان عن ياسين الزيات عن سعد بن سعيد أخى يحيى عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : (تفترق أمتى على بضع وسبعين فرقة كلها فى الجنة إلا الزنادقة · ح · قال واخبرنا عبدوس أخبرنا أبو منصور أخبرنا الدارقطنى حدثنا محمد بن ثابت ، حدثنا أحمد بن داود حدثنا ، عثمان بن عفان القرشى ، حدثنا أبو اسماعيل حفص بن عبد الله الابلى عن مسعر عن سعد بن سعيد بسنده السابق) وسكت عليه الحافظ بن حجر فى زهر الفردوس ، وسعى العجلونى فى التوفيق بين الحديثين بحمل أحدهما على الابتداء والآخر على الانتهاء ·

وأما حديث (ان القدرية والمرجئة مجوس هذه الأمة) فى كلام ابن حزم ففى سنده عند الطبرانى هارون بن موسى الفروى ، أما حديث (القدرية مجوس هذه الأمة) عند أبى داود ففى سنده جعفر بن الحارث أورده ابن الجوزى فى الموضوعات

سيد محمد زاهد الكوثري

وتعقبه السيوطى ، وأما حديث (صنفان من أمتى ليس لهما من الإسلام نصيب ، المرجئة والقدرية · عند الترمذى ففى سنده على ابن نزار بن حيان وأبوه ، وأما لعن الفريقين على لسان سبعين نبيًا · ففى سنده عند الطبرانى فى الاوسط محمد بن الفضل بن عطية وهو متروك الحديث كذبه غير واحد ·

وبعد هذا التمهيد نتحدث عن كتاب التبصير فى الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين الذى عزم على نشره الأستاذ الأديب السيد عزة العطار الحسينى الدمشقى باهتمام خاص كما هو شأنه فى إحياء مآثر السلف والكتاب جدير بهذا الاهتمام ·

ترجمة المؤلف :

مؤلف هذا الكتاب من كبار أئمة أصول الدين وقد ترجم له عبد الغافر الفارسى فى ذيل تاريخ نيسابور للحاكم كما ترجم له ابن عساكر فى « تبيين كذب المفترى فى ما نسب إلى الإمام أبى الحسن الأشعرى » فى عداد رجال الطبقة الرابعة من الأشاعرة ذاكرًا له بالإمام الكامل ، الفقيه الأصولى المفسر ·

والتاج بن السلكى فى طبقات الشافعية الكبرى ،واصفًا إياه بالإمام الأصولى ، الفقيه المفسر ، والشمس محمد بن على الداودى فى طبقات المفسرين ، وأثنى عليه السيد المرتضى الزبيدى فى شرح الاحياء عند الكلام على أئمة أصول الدين ·

ونص كلمة الداودى فى طبقات المفسرين فى ترجمته : شاهفور بن طاهر بن محمد الأسفراينى الشافعى أبو المظفر المفسر إمام بارع صنف التفسير الكبير المشهور ، وصنف فى الأصول ، وسافر فى طلب العلم ، وحصل الكثير · ارتبطه نظام الملك بطوس فأقام بها سنين ودرس بها العلوم وأفاد الكثير واستفاد الناس منه ·

بعض شيوخ المؤلف :

سمع الحديث من أصحاب (أبى العباس) الأصم ،واصحاب أبى على (حامد بن محمد) الرفاء وكان له اتصال مصاهرة بالأستاذ أبى منصور البغدادى الإمام ، وولد له النسل المبارك ، وهم كانوا وجوه أهل بلخ المشهورين المعروفين بها ، والمتقدمين من علمائها وأئمتها ، توفى الإمام شاهفور بطوس سنة احدى وسبعين وأربعمئة ·



شيء من شعره :

وأنشد الإمام شاهفور لنفسه :

ليس الجواد هو البذول لماله إن الجواد هو المحقر للندى

من غير شكر يبتغيه بجوده كلا ولا منّ لذاك ولا أذى

وأنشد الإمام شاهفور قال انشدنا هلال بن العلاء :

أتعجب أن يقال على دين وقد ذهب الطريف مع التلاد

ولا وجبت على زكاة وهل تجب الزكاة على الجواد

ذكره عبد الغافر الفارسى رحمه الله أ هـ . وشاهفور معرب (شاهبور) وهو فى الأصل بمعنى نجل الملك فى لغة أهل فارس سمى به الإمام أبو المظفر ، وطاهر ليس باسمه وإنما هو اسم أبيه . وكذلك فورك فى الأصل بمعنى النجيل لأن الكاف للتصغير فى لغتهم .

بعض مؤلفاته :

وللإمام أبى المظفر عماد الدين الأسفراينى هذا من المؤلفات « تفسير الكتاب الكريم » باللغة الفارسية وهو مطبوع فى إيران بعناية بعض المستشرقين ، وله أيضًا الكتاب « الأوسط » فى الملل والنحل ، وكتاب « التبصير » هذا هو المعروف بين أهل العلم بكتاب الملل والنحل له ، ولم يزل كتابه هذا موضع عناية بالغة بين أهل العلم على توالى الدهور علمًا منهم ببراعته فى علم اصول الدين ، واجادته تدوين صفوة الصفوة من بحوث أستاذه وحميه أبى منصور عبد القاهر بن طاهر التميمى البغدادى صاحب الكتب الممتعة فى الملل والنحل ، ومن بحوث أئمة هذا الشأن أمثال أبى إسحاق الأسفراينى ، وابن فورك الأصبهانى .

وها هو الإمام المجتهد الحافظ الفقيه المتكلم الأوحد أبو بكر بن العربى يقول فى عارضة الأحوذى عن الكلام على حديث أبى هريرة فى افتراق الأمة : وقد ذكر علماؤنا رحمهم الله تعديد الفرق : الروافض عشرون فرقة ، والخوارج عشرون فرقة ، والقدرية المعتزلة عشرون فرقة ، وسبع فرق فى الأرجاء ، وخمس فرق الضرارية ، والجهمية ، والكرامية ، والنجارية ، وفرقة جهمية مرجئة جمعت بين البدعتين كأبى شمر ، ومحمد بن شبيب ، فهؤلاء اثنتان وسبعون فرقة كلهم على

بدعة ، أوضحهم وعددهم بمقالاتهم الشيخ الإمام أبو المظفر شاهفور .. ليميز أهل السنة من أهل البدعة لكثرتهم ، وفات أبو المظفر رحمه الله تعالى فرقة سخيفة مكفر على أحد التأويلين وهى التى تقول : لا نقول إلا ما قال الله ورسوله (كلمة - أريد بها الباطل) وتنفى التمثيل الذى يسميه أهل السنة القياس ، وتنكر النظر الذى يعرف الله إلا به ، ويتعلقون فى نفى القياس بحديث يرويه البزار عن نعيم بن حـ عن عيسى بن يونس ، وكان عندنا فى الاندلس رجل يقال له قاسم بن أصبغ ر وروى الحديث وعاد فأسند وادعى أنه لا قياس ولا نظر - ثم بين وجه سقوط نعيم هذا . ثم اعتذر عن الإمام أبى المظفر قائلاً لعله لم يذكر تلك الفرقة لأنها . الخوارج بقولها : (لا حكم إلا لله) ، وفرع المعتزلة النظامية باعتبار نفيها القيا. أنحى بالأئمة على ابن حزم ثم قال :

قالوا الظواهر أصل لا يجوز لنا	عنها العدول إلى رأى ولا نظر
قلت اخسأوا فمقام الدين ليس لكم	هذى العظائم فاستخفوا من الوتر
تأخروا فورود العذب مهلكة	إلا لمن كان يرجو الفوز فى الصدر
إن الظواهر معدودة مواقعها	فكيف تحصى بيان الحكم فى الدهر
فالظاهرية فى بطلان قولهم	كالباطنية غير الفرق فى الصور
كلاهما هادم للدين من جهة	والمقطع العدل موقوف على النظر
هذى الصحابة تستمرى خواطرها	ولا تخاف عليها غرة الخطر
وتعمل الرأى مضبوطًا مآخذه	وتخرج الحق محفوظًا من الاثر
فى الجد معتبر للناظرين فلا	تطوا لفؤاد على غر من الغرر
والقول أصل وما عال السداد به	فانظر إليه بقلب صادق الفكر
لما رأيتم عقود الدين فى نسق	من الجواهر نظمتم من البحر
وإذ صفا منهل الإسلام مطردًا	رثتم عليه فسقيتم من الكدر
بينوا عن الخلق لستم منهم أبدًا	ما للأنام ومعلوف من البقر

انتهى ما نقلناه من العارضة . والمصنف رحمه الله استوفى فى هذا الكتاب - من غير املال ولا إخلال - بيان عقائد أصحاب الملل والنحل ببعض عنف فى بعض المواقف حيث كان يرى ذلك أجدى فى ترصين السياج حول معتقد أهل الحق

فى عهد استحفال شرور أهل الزيغ ، وأجاد فى شرح معتقد أهل السنة فى آخر كتابه جد الإجادة ، وقد غمز الرازى فى الأجوبة البخارية أبا منصور البغدادى بالتعصب والقسوة ، وأبا الفتح الشهرستانى السارى وراءه بذلك أيضًا ، ولكن الثانى ألطف لهجة بكثير ، والتلطف مع أهل الزيغ بعد ثبوت تعنتهم إزاء الحجة القائمة وبعد ظهور خديعتهم وعبثهم فسادًا ليس من شأن أهل العلم الغيورين الذابين عن حريم الدين · وللتاريخ المجرد شأن ، ولحراسة الحق شأن آخر ·

وقصارى ما يؤخذ به بعض علماء هذا الشأن عدم التثبت فى عزو الأقوال كما سبق · كافأ الله تعالى المصنف على جميله وحسن صنيعه بتأليف هذا الكتاب ورضى عنه وأرضاه ووفق ناشره الفاضل لإحياء كثير من أمثال هذا الكتاب القيم فى خير وعافية ·

يوم الجمعة غرة محرم الحرام سنة ١٣٥٩

محمد زاهد الكوثري

* * *



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله أجمعين وأصحابه البررة الطاهرين اعلموا أسعدكم الله : أن الله تبارك وتعالى أمر عبده بمعرفته فى ذاته وصفاته ، وعدله وحكمته وكماله فى صفته ، ونفوذ مشيئته ، وكمال مملكته ، وعموم قدرته ، ولا تتكامل المعرفة بذلك كله إلا بنفى النقائص عنه ، وبإثبات أوصاف الكمال له من غير أن يشوبه شىء من بدع المبتدعين ، وإلحاد الملحدين وكان أمره تعالى متضمنًا لأمرين : المعرفة بما أوجب معرفته ، والإحاطة بما أوجب عليه مجانبته حتى إذا اجتمع له الوصفان تحقق له وصف الإيمان على سبيل الاتقان والإيقان ، والمفارقة لما يوسوس لكثير منهم من الشبه وحبائل الشيطان فيكون إيمانه كما أخبر الله تعالى به عن إيمان خليل الرحمان حين قال : ﴿ إنى وَجَّهتُ وَجْهى للذى فَطَرَ السّموات والأرض حَنيفًا وما أنا من المُشْركين ﴾[1] . أثنى عليه لهذه المعرفة لجمعه بين المعرفة بكمال أوصافه وميله عن كل معبود يخالفه فى وصفه فوصفه أى الله تعالى الخليل بكونه حنيفًا أى مائلاً عن عبادة الأوثان وحبائل الشيطان وما يخالفه من الطرق والأديان . وبمثله أقر رسوله المصطفى عليه السلام حين قال: ﴿ إنَّ الذين فَرَّقوا دِينهمُ وكانوا شيَعًا لَسْتَ منهم فى شىء إنما أمْرهُم إلى الله ثُم ينبئُهم بما كانوا يفعلون ﴾[2] . وقال : ﴿ فاعلَمَ أنّه لا إله إلاَّ اللهُ ﴾[3] فأمره بالمعرفة ومغادرة كل دين يخالفه فى حقيقته ، وأمره أن يخبر عن نفسه بصفة معرفته الجامعة لوصفى النفى ومعرفة ما يجب معرفته ، ومجانبة ما تجب مجانبته فقال : ﴿ قل إننى هدَانى ربّى إلى صراط مُسْتَقيم دينًا قَيّمًا ملَّة إبْراهيم حَنفًا ومَا كانَ مِنَ المُشْركين ﴾[4] . وأمر سبحانه الكافة بكلمة الإيمان لا إله إلا الله جمع فيها بين النفى والإثبات ، وقدم النفى على الإثبات ليعلم أن الإثبات لا يحصل إلا بصيانته عن كل ما يتضمن مخالفته ، وهكذا جمع فى سورة الإخلاص بين النفى والإثبات فوصف نفسه بأوصاف الكمال فى قوله : ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أحَدْ اللهُ الصَمَدْ ﴾[5] ونفى عن نفسه النقصان

(١ ، ٢) سورة الأنعام ٧٩ و ١٥٩ . (٣) سورة محمد ١٩ .
(٤) سورة الأنعام ١٦١ . (٥) سورة الإخلاص .

سيد محمد ... العلوي

بقوله : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ولَم يَكُن لَهُ كُفُوًا أحَد ﴾[١] حتى قال أهل المعارف، فى تحقيق صفة الصمد أنه يتضمن إثبات كل صفة لا يتم الخلق إلا بها · ونفى كل صفة لا يجوز وصفه بها · لأن الصمد فى اللغة هو السيد الذى يرجع إليه فى الحوائج ، وهذا يوجب له إثبات صفات الكمال التى يتم بها اتساق الأفعال وقد جاء إيضاح اللغة فى تفسيره أن الصمد هو الذى لا جوف له ، وهذا يتضمن نفى النهاية ، ونفى الحد والجهة ، ونفى كونه جسمًا أو جوهرًا لأن من اتصف بشىء من (**تلك**) الأوصاف لم يستحل اتصافه بالتركيب ووجود الجوف له ، وتقرر بهذه الجملة وجوب المعرفة بالنفى والإثبــات والتمييز بين الحق والباطل ومن لم يتحقق له (**معرفة نفى**) صفة الباطل لم يتحقق له (**معرفة إثبات**) صفة المعرفة بالحق ·

وقد كان أصحـــاب رسول الله ﷺ يسألونه عن الحق لصحة الاعتقاد والمعرفة ، وعن الباطل والشر للتمكن من المجانبة حتى قال حذيفة بن اليمان : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر · وإنما كان يفعله لتصح له مجانبته لأن من لم يعرف الشر يوشك أن يقع فيه كما قال الشاعر :

عرفت الشَر لا للشّر لكن لتوقيه ومَنْ لا يَعْرف الشر من الناس يقع فيه

وقد أخبر رسول الله ﷺ أنه سيظهر فى زمن الإسلام من الفرق المختلفة ما ظهر فى الأديان قبله فقال : « افترقت اليهود احدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصـارى اثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتى ثلاثًا وسبعين فرقة كلهم فى النار إلا واحدة » · فقيل يا رسول الله من الناجية ؟ فقال « ما أنا عليه وأصحابى »[٢] وفى خبر آخر أنه قال الجماعة ·

وروى عبد الله بن عمر بن الخطاب أن النبى ﷺ قال فى تفسير قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبيضُ وُجُوه وتَسْوَدُ وُجوه فأما الذين اسْوَدَتْ وُجُوهُهُمْ أكَفَرْتُم بَعد إيمانِكُم فَذُوقوا العَذَابَ بما كُنتُم تكفُرُون ﴾[٣] إن الذين ابيضت وجوههم هم الجماعة ، والذين اسودت وجوههم أهل الأهواء فبين رسول الله ﷺ أن هذه الأمة يلتبس بها وينسب إلى جملتها كثير من أهل الأهواء يفارقونهم فى حقيقة الإيمان ، وإن كانوا

---

(١) سورة الإخلاص ·

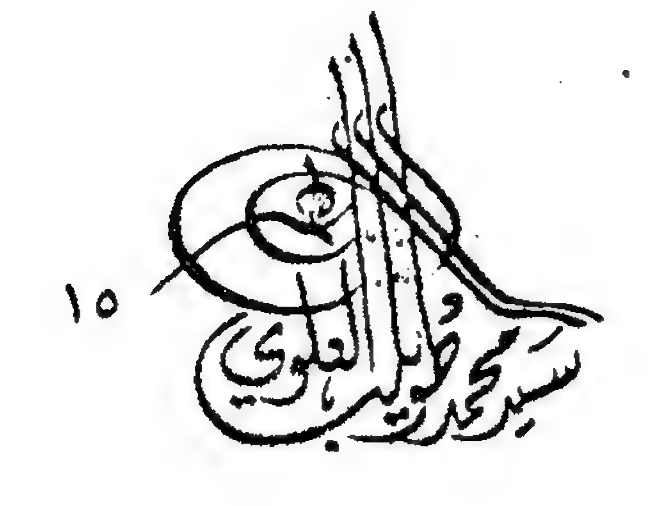
(٢) أخرجه أبو داود وابن حبان والحاكم وغيرهم ·

(٣) سورة آل عمران ١٠٦ ·

يلتبسون بهم فى ظاهر الحال فلا بد للمؤمن من أن يعرف حالهم حتى يتميز عنهم ويصون عقيدته عما هم عليـــه من البدع ، ولا يكون كمن وصفه الله حيث قال : ﴿ وَمَا يُؤمِنُ أَكثَرُهُم بالله إلا وَهُم مُشرِكُون ﴾(١) وقد قال رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من الكبر - أى الكفر ، ولا يبقى فى النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان »(٢) وإنما يحصل مثقال ذرة من الإيمان باعتقاد صحيح سليم عن جميع شوائب البدع والإلحاد وأنواع الكفر وما لم يتبين العاقل أوصاف البدع وأهلها لم يتقرر له حقيقة الإيمان المستخلص عن جميعها وكلام النبى ﷺ صدق ، ووعده حق ، وهذا الذى أخبر عن وجود فرق الضلال فيما بين المسلمين لا محالة كائن · وقد اختلف مشايخ أهل التحقيق من علماء المسلمين فيه فقال بعضهم : لم يتكامل وجود هذه الفرق من أهل البدع بين المسلمين بعد ، وإنما وجد بعضهم وسيوجد بعدهم قبل يوم القيامة جميعهم فإن ما أخبر الرسول ﷺ كائن لا محالة · وقال الباقون وهم الذين يتتبعون التواريخ ويفتشون عن المقالات المنقولة من أرباب المذاهب المتسمة بسمة الإسلام أن تمام هذه الفرق الضالة قد وجدت فى زمرة الإسلام ووجب على المرء المحصل أن يميز عقيدته عن عقائدهم الفاسدة ، ودينه عن أديانهم الضالة ، وقد ظهر فى بلاد الإسلام أقوام من أهل البدع يخدعون العوام ويلبسون عليهم الأديان ، وينتسبون إلى فريقى أهل السنة والجماعة أصحاب الحديث والرأى ويستظهرون بصدور لا يعرف حالهم من صدور أهل الإسلام ليتقوى بهم على خداع أهل الغرة من المسلمين ويظهرون به للأغمار أن لهم الغلبة والقوة ولا يعرف الجاهل بأحوالهم · إن الباطل قد يكون له جولة ثم يسقط كما سارت به الأمثال على لسان الكافة « أن الباطل يجول جولة ثم يضمحل » وكما يقال : « الحق ابلج ، والباطل لجلج » وقال تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ اللهُ الذينَ آمَنوا بالقول الثَابت فى الحَياةِ الدُنيا وفى الآخرة وَيَضِلُّ اللهُ الظَالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاء ﴾(٣) .

فاردت أن أجمع كتابًا فارقًا بين الفريقين ، جامعًا بين وصف الحق وخاصيته والإشارة إلى حججه ووصف الباطل وحد شبهه ليزداد المطلع عليه استيقانًا فى دينه ، وتحقيقًا فى يقينه ، فلا ينفذ عليه تلبيس المبطلين ، ولا تدليس المخالفين للدين ·

(١) سورة يوسف ١٠٦ ·
(٢) أخرجه مسلم ·
(٣) سورة إبراهيم ٢٧ ·



وقسمته بحـــول الله وقوته على خمسة عشر بابًا جامعة لبيان أوصاف عقائد أهل الدين ، وفضائح أهل الزيغ والملحدين ، والله تعالى ولّيُ التوفيق لإتمامه بفضله وانعامه أنه على ما يشاء قدير ، وبالفضل والإحسان جدير ٠

الباب الأول : فى بيان أول خلاف ظهر فى الإســـلام بعد وفاة رسول الله ﷺ ، وما ظهر من الخلاف فى أيام الصحابة أو قريبًا منهم ٠

الباب الثانى : فى بيان فرق الأمة على الجملة ٠

الباب الثالث : فى تفصيل مقالات الروافض وبيان فضائحهم ٠

الباب الرابع : فى بيان مقالات الخوارج وبيان فضائحهم ٠

الباب الخامس : فى تفصيل مقالات القدرية الملقبة بالمعتزلة وبيان فضائحهم ٠

الباب السادس : فى تفصيل مقالات المرجئة وبيان فضائحهم ٠

الباب السابع : فى تفصيل مقالات النجارية وبيان فضائحهم ٠

الباب الثامن : فى تفصيل مقالات الضرارية وبيان فضائحهم ٠

الباب التاسع : فى تفصيل مقالات البكرية وبيان فضائحهم ٠

الباب العاشر : فى تفصيل مقالات الجهمية وبيان فضائحهم ٠

الباب الحادى عشر : فى تفصيل مقالات الكرامية وبيان فضائحهم ٠

الباب الثانى عشر : فى تفصيل مقالات المشبهة وبيان فضائحهم ٠

الباب الثالث عشر : فى بيان فرق ينتسبون إلى دين الإسلام ولا يعدون فى جملة المسلمين ، ولا يكــونون من جملة الاثنتين والسبعين وهم أكثر من عشرين فرقة ٠

الباب الرابع عشر : فى بيان مقالات أقوام من الملحدين كانوا قبل ظهور دولة الإسلام وإنما أذكر جملة منهم ٠

الباب الخامس عشر : فى بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة وبيان ما لهم من المفاخر والمحاسن والآثار فى الدين ، وذكرت فى كل باب ما يقتضيه شرطه على حد الاقتصار والاعتدال مصونًا من الإملال والإكثار بفضل الله وتوفيقه ٠

* * *

الباب الأول

فى بيان أول خلاف ظهر بعد المصطفى وفى أيام الصحابة أو قريبًا من عهدهم

اعلم أن المسلمين وقت النبى ﷺ وبعد وفاته كانوا على طريق واحدة لم يكن بينهم خلاف ظاهر ، ومن كان بينهم من المخالفين المنافقين ما كان يتمكن من إظهار ما كان يستسره من أخباره ، فكان أول خلاف ظهر بين المسلمين اختلافهم فى وفاة رسول الله ﷺ حتى قال قوم منهم : إنه لم يمت ، ولكنه رفع كما رفع عيسى بن مريم · وارتفع هذا الخلاف ببركات أبى بكر الصديق رضي الله عنه[1] حين صعد المنبر وخطب خطبة وتلا عليهم قوله تعالى : ﴿ إنَّك ميت وإنهم ميّتون ﴾[2] ثم قال: « مَنْ كانَ يَعبد مُحمدًا فإن محمدًا قــد مَات ، ومن كان يعبدُ ربّ مُحمـد فإنه حيٌّ لا يَموت »[3] فسكنت النفوس ، واطمأنت القلوب ، واذعنت له الرقاب ، واعترفت الكافة بما ظهر من الأمر وزال الخلاف .

الثانى : انهم اختلفوا فى موضع دفنه ﷺ : قال قوم : إنه يدفن بمكة لأنها مولده ، وبها قبلته ، وبها مشاعر الحج ، وبها نزل عليه الوحى ، وبها قبر جده إسماعيل عليه السلام وقال آخرون : انه ينقل إلى بيت المقدس فإن به تربة الأنبياء ومشاهدهم صلوات الرحمن عليهم ·

وقال أهل المدينة : أنه يدفن فى المدينة لأنها موضع هجرته ، وأهلها أهل نصرته · فزال هذا الخلاف ببركة الصديق حين روى أن رســول الله ﷺ قال :

---

(١) هو عبد الله بن أبى قحافة التيمى القرشى أول الخلفاء الراشدين ولد بمكة ، ونشأ سيدًا من سادات قريش ، وعينًا من كبار موسريهم ، وعالمًا بانساب القبائل وأخبارها ، وكان العرب يلقبونه (عالم قريش) بويع بالخلافة يوم وفاة النبى ﷺ سنة ١١هـ فحارب المرتدين وافتتحت فى أيامه الشام وقسم كبير من العراق ولد سنة ٥١ قبل الهجرة وتوفى بالمدينة سنة ١٣ هـ ·

(٢) سورة الزمر ٣٠ · (٣) أخرجه البخارى فى تاريخه ·

« الانبياء يدفنون حيث يقبضون »[١] فقبلوا منه روايته ورجعوا إلى قوله ودفنوه فى حجرته ٠

الثالث : اختلافهم فى باب الإمامة ٠ فقالت الانصار منا إمام ومنكم إمام ، وطال بينهم الكلام فى ذلك حتى صعد الصديق ﷺ المنبر وخطب ثم تلا عليهم قوله تعالى : ﴿ للفقراء المُهاجرين الذينَ أُخرجوا من دِيارهم وأموالهم يبْتَغون فَضْلاً مِنَ الله ورضْوانًا ، ويَنْصُرُونَ الله ورَسُلَه أولئكَ هُمُ الصادِقُون ﴾[٢] قال فسمانا الصادقين ثم أمر المؤمنين - أى الله تعالى - أن يكونوا مع الصادقين بقوله تعالى : ﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمنوا اتقوا اللهَ وكُونُوا مَعَ الصَّادِقين ﴾ وروى لهم أن رسول الله ﷺ قال : « الأئمة من قريش »[٣] فصدقوه فى روايته ، ونزلوا على قضيته واتفقوا على قوله فزال هذا الخلاف أيضًا ببركة الصديق ، ثم حدث فيه خلاف قوم من الخوارج حيث قالوا بجواز الخلافة فى غير قريش كما نذكره إن شاء الله تعالى ٠

الخلاف لا يكون خطرًا إلا إذا كان فى أصول الدين ، ولم يكن اختلاف بينهم فى ذلك بل كان اختلاف من يختلف فى فروع الدين مثل مسائل الفرائض فلم يقع خلاف يوجب التفسيق والتبرى ٠ هكذا جرى الأمر على السداد أيام أبى بكر وعمر[٤] وصدر من زمان عثمان[٥] ثم أختلف فى أمر عثمان وخرج عليه قوم منهم فكان من أمره ما كان ٠

---

(١) وردت بمعناه أحاديث كثيرة فى الموطأ وطبقات ابن سعد وغيرهما ٠

(٢) سورة الحشر ٨ ٠

(٣) مع شهرة هذه الحكاية بين المتكلمين لم يثبت احتجاج أبى بكر بهذا الحديث يوم البيعة ، وإن كان الحديث واردًا بسند جيد عند الطبرانى وغيره كما يظهر من تلقيح الفهوم فى تنقيح صيغ العموم للحافظ العلائى ٠

(٤) هو أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل القرشى العدوى ٠ ثانى الخلفاء الراشدين ، وأول من لقب بأمير المؤمنين ، وهو أحد العمرين اللذين كان النبى صلى الله عليه وسلام يدعو ربه أن يعز الإسلام بأحدهما ولد سنة ٤٠ قبل الهجرة ومات مقتولا بيد أبى لؤلؤة فيروز الفارسى المجوسى سنة ٢٣ هـ ٠

(٥) هو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية من قريش ٠ أمير المؤمنين ذو النورين ثالث الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة ولد سنة ٤٧ قبل الهجرة ومات مقتولاً سنة ٣٥ هـ لقب بذى النورين لأنه تزوج بنتى النبى ﷺ رقية ثم أم كلثوم ٠

ثم بعد ذلك حدث الاختلاف فى أمر على[1] وفى حال أصحاب الجمل وصفين ، وفى حال الحكمين وظهر من ذلك خلاف الخوارج فى أيام على ﷺ كما سنذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وظهر فى وقته ايضًا خلاف السبأية من الروافض وهم الذين قالوا أن عليًا آله الخلق حتى احرق على جماعة منهم ، وظهر بعد ذلك سائر أصناف الروافض كما نذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وظهر فى أيام المتأخرين من الصحابة خلاف القدرية ، وكانوا يخوضون فى القدر والاستطاعة كمعبد الجهنى[2] وغيلان الدمشقى[3] وجعد بن درهم[4] . وكان ينكر عليهم من كان قد بقى من الصحابة كعبد الله بن عمر[5] وعبد الله ابن عباس[6] وعبد الله بن أبى أوفى[7]

---

(1) هو أبو الحسن على بن أبى طالب بن عبد المطلب الهاشمى القرشى أمير المؤمنين ، رابع الخلفاء الراشدين وإحد العشرة المبشرين بالجنة وابن عم النبى ﷺ وصهره وأحد الشجعان الأبطال ، ومن أكابر الخطباء والعلماء بالقضاء . ربى فى حجر النبى ﷺ ولم يفارقه . ولد سنة ٢٣ قبل الهجرة ومات مقتولاً سنة ٤٠ هـ .

(2) هو ابن خالد الجهنى البصرى اختلفوا فى اسم أبيه وهو أول من تلكم فى القدر . رأى من يتعلل فى المعصية بالقدر ، فأراد أن يرد عليه وأخطأ الطريق وقال : « لا قدر والأمر أنف » فعم كلامه فنبذه الصحابة والتابعون حيث ضل طريق الرد على العاصى . قال أبو حاتم : قدم المدينة فأفسد بها ناسًا . أخرج له ابن ماجة خرج مع ابن الأشعث فقتله الحجاج بعد سنة ثمانين .

(3) هو ابن مسلم القبطى . أخذ مذهب القدر عن معبد ، واستبانه عمر بن عبد العزيز ثم قتله هشام بن عبد الملك ، وكان من بلغاء الكتاب أفسد بعض علماء مكة .

(4) هو استاذ مروان بن محمد الجعدى آخر ملوك بنى أمية وكان أول من قال بخلق القرآن ، وقد ذبحه خالد بن عبد الله القسرى فى عيد الأضحية على المشهور .

(5) ابن الخطاب العدوى : صحابى من أعز بيوتات قريش فى الجاهلية غزا افريقية مرتين الأولى مع ابن أبى سرح ، والثانية مع معاوية بن حديج سنة ٣٤ هـ . كف بصره فى آخر حياته ولد سنة ١٠ قبل الهجرة ومات سنة ٧٣ هـ .

(6) ابن عبد المطلب القرشى الهاشمى : حبر الأمة الصحابى ، كف بصره فى آخر عمره ولد سنة ٣ قبل الهجرة ، وتوفى سنة ٦٨ هـ .

(7) صحابى ابن صحابى توفى بالكوفة سنة ٨٧ هـ ﷺ .

وجابر[١] وأنس[٢] وأبى هريرة[٣] وعقبة بن عامر الجهنى[٤] وأقرانهم . وكانوا يوصون إلى اخلافهم بأن لا يسلموا عليهم ولا يعودوهم إن مرضوا ، ولا يصلوا عليهم إذا ماتوا . ثم ظهر بعدهم فى زمان الحسن البصرى[٥] بالبصرة خلاف واصل بن عطاء الغزال[٦] فى القدر ، وفى القول بمنزلة بين المنزلتين ، ووافقه عمرو بن عبيد[٧] فيما أحدثه من البدعة فطردهم الحسن البصرى من مجلسه فاعتزلوه باتباعهم جانبًا من المسجد فسموا معتزلة لاعتزالهم مجالس المسلمين[٨] وقولهم بمنزلة بين المنزلتين وزعمهم أن الفاسق الملى لا مؤمن ولا كافر ، وأن الفساق من أهل الملة خرجوا من الإيمان ولم يبلغوا الكفر وأنهم مع الكفار فى النار خالدين مخلدين لا يجوز لله تعالى أن يغفر لهم ، وأنه لو غفر لهم لخرج من الحكمة . ولما اظهروا هذه المقالة هجرهم المسلمون وخذلوهم كما كان قد أوصى إليهم أسلافهم من الصحابة .

ثم ظهر خلاف النجارية فى أيام المأمون الخليفة واستعد جماعة منهم بالرى ونواحيها ، ثم ظهر أيضًا دعوة الباطنية[٩] من حمدان قرمط ، وعبد الله بن ميمون

---

(١) جابر بن عبد الله الأنصارى : صحابى جليل توفى بالمدينة المنورة سنة ٧٨هـ رضي الله عنه .

(٢) هو انس بن مالك بن النضر الأنصارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخادمه ولد فى المدينة سنة ١٠ قبل الهجرة وتوفى فى البصرة سنة ٩٣ هـ رضي الله عنه .

(٣) هو عبد الرحمن بن صخر الدوسى : صحابى جليل أكثر من رواية الحديث جداً توفى سنة ٥٧ هـ رضي الله عنه .

(٤) صحابى توفى فى حدود سنة ٦٠ هـ رضي الله عنه .

(٥) هو ابن يسار البصرى : إمام مشهور له ترجمة واسعة فى الكتب توفى سنة ١١٠ هـ مستهل رجب عن ٨٩ سنة .

(٦) له ترجمة واسعة عند ابن خلكـــان أخذ عن أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ، والحسن البصرى ، ومنه انتشر الاعتزال بالبصرة بانضمام عمرو بن عبيد إليه وقيل بالعكس توفى سنة ١٣١ هـ .

(٧) هو زاهد المعتزلة بالبصرة يثنى عليه أبو جعفر المنصور ، ولا يرضاه المحدثون من أهل السنة توفى سنة ١٤٢ هـ .

(٨) أقدم من رأينا كلامه هذه الحكاية فى سبب تلقيبهم بالمعتزلة هو أبو منصور البغدادى وسبق قول أبى الحسين الملطى فى المقدمة .

(٩) وتفصيل أحوالهم فى كشف أسرار الباطنية .

القداح ولا يعدون من فرق المسلمين فإنهم فى الحقيقة على دين المجوس كما شرحنا أديانهم فى كتاب « الأوسط » .

ثم ظهر فى زمان محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر[1] بخراسان خلاف الكرامية كما نذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى .

* * *

---

(١) هو أمير خراسان وابن أميرها توفى سنة ٢٥٣ هـ .

الباب الثانى

فى بيان فرق الأمة على الجملة

اعلم أن الله حقق فى افتراق هذه الأمة ما أخبر به الرسول ﷺ من افتراق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة ، واحدة منها ناجية والباقون فى النار . فأما الأثنتان والسبعون فعشرون منهم الروافض من جملتهم **الزيديون** ، **وهم ثلاث فرق الجارودية والسليمانية** ، **والابترية** ، ومن جملتهم **الكيسانية** ، وهم فرقتان كما نبينه فيما بعد .

ومن جملة الروافض **الإمامية** . وهم خمس عشرة فرقة . **المحمدية** ، **والباقرية** ، **والناووسية** ، **والشميطية** ، **والعمارية** ، **والإسماعيلية** ، **والمباركية** ، **والموسوية** ، **والقطعية** ، **والاثنا عشرية** ، **والهشامية** ، **والزرارية** ، **واليونسية** ، **والشيطانية** ، **والكاملية** . فهذه جملة فرق الروافض الذين يعدون فى زمرة المسلمين .

فأما **البيانية والمغيرية** ، **والمنصورية** ، **والجناحية** ، **والخطابية** ، **والحلولية** منهم فلا يعدون فى زمرة المسلمين لأنهم كلهم يقولون بآلهية الأئمة كما نفصله فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وعشرون منهم **الخوارج** وهم : **المحكمة الأولى** ، **والأزارقة** ، **والنجدات والصفرية والعجاردة والإباضية** . **فالعجاردة منهم فرق كالخازمية**[1] ، **والشعيبية** ، **والشيبانية** ، **والمعبدية** ، **والرشيدية** ، **والمكرمية** ، **والحمزية** ، **والإبراهيمية** ، **والواقفية** .

والإباضية منهم أربع فرق . **الحفصية** ، **والحارثية** ، **واليزيدية** ، وأصحاب طاعة لا يراد بها الله تعالى ولا يعد اليزيدية من فرق الإسلام لأنهم جوزوا فسخ شريعة الإسلام وذلك خلاف إجماع المسلمين . ومن جملة **العجاردة** فرقة يقال لهم **الميمونية** ولا يعدون من فرق المسلمين لأنهم يجوزون التزويج ببنات البنات ويبيحونه وذلك خلاف ما عليه المسلمون .

وعشرون منهم **القدرية المعتزلة** كل فريق منهم يكفر سائرهم وهم : **الواصلية** ، **والهذلية** ، **والعمروية** ، **والنظامية** ، **والاساورية** ، **والمعمرية والاسكافية** ، **والجعفرية**

---

(١) الخازمية بالخاء المعجمة كما فى الأنساب واللباب .

والبشرية ، والمردارية ، والهشامية ، والثمامية ، والجاحظية ، والخابطية ، والحمارية ، والخياطية ، والشحامية · واصحاب صالح قبة ، والمؤنسية والكعبية ، والجبائية ، والبهشمية ، وفرقتان من هذه الجملة لا يعدان من فرق الإسلام · وهما الخابطية والحمارية ، كما نذكره فيما بعد ·

وثلاث فرق هم المرجئة · فريق منهم يجمعون بين الإرجاء فى الإيمان وبين القول بالقدر كأبى شمر[١] ومحمد بن شبيب البصرى[٢] ، والخالدية فهؤلاء مرجئون قدريون ، وفريق منهم يجمعون القول بالإرجاء فى الإيمان ، وبين قول جهم كما سنذكره فيما بعد فهؤلاء هم مرجئون جهميون ·

وفريق جوزوا القول بالإرجاء ولا يقولون بالجبر ولا بقدر وهم فيما بينهم خمس فرق · اليونسية ، والغسانية ، والثوبانية ، والتومنية ، والمريسية · فصارت المرجئة على هذا التفصيل سبع فرق ·

وفرقة هم البكرية ، وفرقة هم النجارية المقيمون بالرى ونواحيها وهم أكثر من عشر فرق فيما بينهم · كالبرغوثية ، والزعفرانية · والمستدركة وغيرهم ويعدون فرقة واحدة ، وفرقة هم الضرارية وفرقة هم الجهمية وفرقة هم كرامية خراسان وهم ثلاث فرق : الحقائقية ، والطرائقية ، والإسحاقية ، ويعدون فرقة واحدة لأن بعض فرقهم لا يكفر بعضًا · فهؤلاء الذين ذكرناهم اثنتان وسبعون فرقة ·

والفرقة الثالثة والسبعون هى الناجية وهم : أهل السنة والجماعة من أصحاب الحديث والرأى وجملة فرق الفقهاء الذين اختلفوا فى فروع الشريعة التى لا يجرى فيها التبرى والتكفير وهم من أخبر النبى ﷺ عنهم بقوله : « الخلاف بين أمتى رحمة »[٣] والله ولى العصمة من كل إلحاد وبدعة ·

* * *

(١) بكسر الشين وسكون الميم كما فى الأنساب وهو ممن جمع بين البدعتين الإرجاء ونفى القدر منبوذ عند الفريقين وهو رأس الشمرية من المبتدعة ، وكان من أصحاب النظام معتزلى فيكون من رجال منتصف القرن الثالث ·

(٢) نسب إلى جده وهو ممن جمع بين البدعتين الإرجاء ، ونفى القدر · غير مرضى عند الفريقين · وكان من أصحاب النظام أيضًا فيكون من رجال منتصف القرن الثالث ·

(٣) لم يرد بهذا اللفظ والمشهور على الألسن (اختلاف أمتى رحمة) وتفصيل ذلك فى كشف الخفاء ·

الباب الثالث

فى تفصيل مقالات الروافض وبيان فضائحهم

إعلم أن الروافض يجمعهم ثلاث فرق . **الزيدية**[١] ، **والأمامية** ، **والكيسانية** .

فأما **الزيدية** منهم فثلاث فرق . **الجارودية** ، **والسليمانية والابترية** . فأما **الجارودية** فهم أتباع أبى الجارود[٢] وكان مذهبه : أن النبى ﷺ نص على إمامة على بالصفة لا بالاسم ،وكان من مذهبه أن الصحابة كفروا كلهم بتركهم بيعة على ، ومخالفتهم النص الوارد عليه ، وكان يقول : أن الإمام بعده الحسن بن على ، ثم بعده الحسين بن على ، وتكون بعدهما الإمامة شورى فى أولادهما . فمن خرج من أولادهما شاهراً سيفه داعياً إلى دينه ، وكان عالمًا ورعًا فهو الإمام .

وزعم قوم من **الجارودية** أن الإمام المنتظر محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب[٣] ويقولون إنه لم يمت ولم يقتل .

وزعم قوم منهم : أن المنتظر محمد بن القاسم صاحب الطالقان[٤] وإنه لم يمت ولم يقتل .

وزعم قوم منهم : أن المنتظر يحيى بن عمر الذى قتل بالكوفة[٥] وهم لا يصدقون بقتله .

---

(١) هم أتباع زيد بن على زين العابدين عليهما السلام ولم يكن الإمام زيد يتبرأ من الشيخين بل كان يرى المصلحة فيما فعل الصحابة ولم يكن يتكلم فى الصحابة ومن يفعل خلاف ذلك لا يكون من أتباعه وإن أدعى لإنتساب إليه زوراً . فلا يحسن عد الزيدية مطلقًا من الروافض وإمامهم من أبعد خلق الله عن الرفض بل الروافض هم الذين رفضوه على إجلاله للشيخين كما هو معروف وسيأتى من المصنف .

(٢) هو زياد بن المنذر من غلاة الشيعة ينتسب إلى زيد بن على عليه السلام زوراً هلك بعد سنة ١٥٠ هـ .

(٣) هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب الهاشمى المعروف بالنفس الزكية . خرج على المنصور وقتل سنة ١٤٥هـ وله ثلاث وخمسون سنة رضي الله عنه .

(٤) هو محمد بن القاسم بن على بن عمر بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضي الله عنه . قام فى الطالقان أيام المعتصم ، ثم قتل . راجع مقاتل الطالبيين .

(٥) هو أبو الحسين يحيى بن عمر بن يحيى بن حسين بن زيد بن الحسين رضي الله عنهم . قام =

وأما **السليمانية** : فهم أتباع سليمان بن جرير الزيدى[1] وكان يقول : أن الإمامة شورى ومتى ما عقدها اثنان من اخيار الأئمة لمن يصلح لها فهو إمام فى الحقيقة ، وكان يقر بإمامة أبى بكر ، وعمر ، ويجوز إمامة المفضول ، وكان يقول : أن الصحابة تركوا الأصلح بتركهم بيعة على فإنه كان أولى بها ، وكان إعراضهم عنه خطأ لا يوجب كفراً ولا فسقًا ، وهؤلاء كانوا يكفرون عثمان بسبب ما أخذ عليه من الأحداث وكفرهم أهل السنة والجماعة بتكفيرهم عثمان . وربما يدعى هؤلاء **جريرية** .

فأما **الأبترية** منهم فهم أتباع الحسن بن صالح[2] بن حى[3] وكثير النواء الملقب بالأبتر[4] وقول هؤلاء كقول السليمانية . **غير أنهم يتوقفون فى عثمان ، ولا يقولون فيه خيراً ولا شراً ، وقد أخرج مسلم بن الحجاج حديث الحسن بن صالح بن حى[5] فى المسند الصحيح لما أنه لم يعرف منه هذه الخصال فأجراه على ظاهر الحال .**

واعلم أن **السليمانية والأبترية** يكفـرون **الجارودية** منهم لتكفيرهم أبا بكر وعمر ومن تابعهما من الصحابة وجميع فرق الزيدية يجمعهم القول بتخليد أهل الكبائر فى النار ، ووافقـوا القدرية فى هـذا المعنى ، ووافقوا الخوارج أيضًا فى أن فسـاق الملة كفار يخلدون فى النار مع الكفار ويقنطون من رحمة الله و ﴿ لا يَيأس مِنْ رُوحِ اللهِ إلا القَومُ الكافِرونَ ﴾[6] وهؤلاء الفرق الثلاث إنما يسمون زيدية لقولهم بإمامة زيد بن على[7] بن الحسين بن على فى وقته ، وإمامة ابنه يحيى بن

= بالكوفة سنة ٢٥٠ هـ فبعث إليه محمد بن عبد الله بن طاهر جيشًا فقتله فى تلك السنة وحمل رأسه إلى المستعين بالله .

(١) هو رئيس السليمانية من الزيدية، وقد تسمى جريرية ، كان يقدم على عثمان ﷺ . والجارودية يزيدهم شراً لإقدامهم على الشيخين بخلاف الصالحية والتبرية فى الأمرين .

(٢) ولذلك قد تسمى الفرقة المذكورة الصالحية .

(٣) كوفى من ثور همدان . أحد الاعلام ، أخرج له مسلم والبخارى فى الأدب وأصحابه السنن توفى سنة ١٦٩ هـ . والجمهـور على توثيقه ، وإليه تنسب الصالحية من الزيدية . وهى أقرب فرق الشيعة إلى السنة .

(٤) من رجال الميزان توفى فى حدود سنة ١٦٩ هـ .

(٥) راجع ترجمته فى التهذيب وهو برىء من الإيهام الذى فى كلام المصنف وعذره تعويله فى ذلك على شيخه . وليس أصحاب الأصول الستة ممن يخفى عليهم حاله .

(٦) الآية ٨٧ سورة يوسف .

(٧) زيد بن على بن الحسين بن على ﷺ وعن آبائه ، وهو الإمام المشهور من شيوخ =

زيد[1] فى وقته ، وكان أمر زيد هذا أنه بايعه خمسة آلاف من أهل الكوفة فأخذ يقاتل بهم يوسف بن عمر الثقفى[2] عامل هشام بن عبد الملك[3] فلما اشتد بهم القتال قال الذين بايعوه آه ما تقول فى أبى بكر وعمر ؟ فقال زيد : اثنى عليهما جدى على ، وقال فيهما حسنًا ، وإنما خروجى على بنى أمية فإنهم قاتلوا جدى عليًا ، وقتلوا جدى حسينًا ، فخرجوا عليه ورفضوه فسموا رافضة بذلك السبب وهجروه كلهم ولم يبق منهم إلا نضر بن خزيمة العبسى[4] ومعاوية بن اسحاق بن زيد بن حارثة[5] ، مع مقدار مائتى رجل فأتى القتل على جميعهم ، وقتل زيد ودفن فإخرج بعده من القبر وأحرق وهرب ابنه يحيى بن زيد إلى خراسان وصار إلى ناحية جوزجان وخرج على نصر بن سيار والى خراسان فبعث نصر بن سيار إليه سلم بن أحوز المازنى[6] فى ثلاثة آلاف من المقاتلة فاستشهد يحيى بن زيد فى ذلك القتال ومشهده بجوزجان ·

وأما **الكيسانية** : فهم أتباع مختار بن أبى عبيد الثقفى الذى كان قام يطلب ثأر الحسين بن على بن أبى طالب وكان يقتل ممن يظفر به ممن كان قاتله بكر بلاء وهؤلاء **الكيسانية** فرق يجمعهم القول بنوعين من البدعة ·

أحدهما : تجويز البداء على الله تعالى · تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ·

الثانى : قولهم بإمامة محمد بن الحنفية[7] ثم اختلفوا فى سبب إمامته فمنهم

= أبى حنيفة · بعث إليه أبو حنيفة بثلاثين ألف درهم حينما قام · توسع فى ترجمته المقريزى فى الخطط · استشهد بالكوفة سنة ١٢١ هـ ·

(١) يحيى بن زيد بن على بن الحسين ﷺ · قتل فى معركة بجوزجان سنة ١٢٦ ومثل به سلم بن أحوز قبحه الله ·

(٢) هو ابن عم الحجاج والى العراق بعد خالد القسرى قتل فى السجن بدمشق سنة ١٢٧ هـ ·

(٣) أحد ملوك بنى امية ، توفى فى ربيع الآخر سنة ١٢٥ هـ بعد أن ولى الحكم عشرين سنة ، ومدرسة نور الدين الشهيد بالشام بنيت على عرصة داره ·

(٤) هو من جملة من استشهد مع زيد بن على عليه السلام سنة ١٢١ هـ ·

(٥) استشهد مع زيد عليه السلام سنة ١٢١ هـ ·

(٦) هو قاتل جهم بن صفوان وأحد قواد نصر بن سيار والى خراسان فى أواخر الدولة الأموية · توفى فى حدود سنة ١٣٢ هـ · وسلم بفتح السين وسكون اللام كما فى فتح البارى وغيره ومن يقول مسلم أو سالم فهو واهم ·

(٧) هو نجل على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، فقيه ، جليل · توفى سنة ٨١ هـ ·

من قال ، أن سبب إمامته أن على بن أبى طالب ﷺ دفـع الراية إليه يوم الجمل وقال له :

اطعنهم طعن أبيك تحمد   لا خير فى حرب إذا لم توقد
(بالمشرقى والقنا المشرد)

ومنهم من قال : أن سبب إمامته أن الإمامة كانت لعلى ثم للحسن ثم للحسين وقد أوصى حسين بها لأخيه محمد بن الحنفية فى الوقت الذى كان يهرب من المدينة ويقصد مكة إذ كان مطالبًا ببيعة يزيد بن معاوية وهؤلاء الذين يقولون بإمامة محمد بن الحنفية ·

وقوم منهم يقال لهم الكربية : أصحاب أبى كرب الضرير[١] يقولون : أن محمد بن الحنفية لم يمت ولم يقتل وأنه فى جبل رضوى وعنده عين من الماء وعين من العسل يتناول منهما وعنده أسد ونمر تحفظانه من الأعداء إلى أن يؤذن له فى الخروج وهو المهدى المنتظر عندهم ·

وقوم من الكيسانية أقروا بموته ثم اختلفوا فقال منهم قوم : أن الإمامة بعده رجعت إلى ابن اخيه على بن الحسين زين العابدين[٢] وقال قوم أنها رجعت إلى ابنه أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية[٣] ثم قال قوم رجعت بعد أبى هاشم إلى محمد بن عبد الله بن عباس بوصيـة أبى هاشم له بها وهذا قول ابن الراوندى وأتباعه ·

وقال قوم رجعت إلى بيان بن سمعان التميمى[٤] وهؤلاء قوم يلقبون بالبيانية وهم من جملة الغلاة يدعون آلهية بيان بن سمعان ويزعمون أن روح الإله حل فى ابى هاشم ثم رجع إلى بيان ·

---

(١) أبو كرب الضرير · رئيس الكربية من غلاة الكيسانية ·

(٢) هو الإمام العظيم المستغنى عن الوصف ، وفيه قال الفرزدق « هذا الذى تعرف البطحاء وطأته » توفى سنة ٩٤ هـ · ودفن بالبقيع ﷺ ·

(٣) هو من شيوخ واصل بن عطاء وممن ينسب إلى الاعتزال كما فى مفتاح السعادة وغيره توفى سنة ٩٨هـ· وأخرج له أصحاب الأصول الستة ووثقه ابن سعد والنسائى وغيرهما ·

(٤) ظهر بالعراق بعد المئة الأولى وادعى حلول جزء آلهى فى على ، ثم فى ابن الحنفية ثم فى أبى هاشم ابن محمد بن الحنفية ، ثم فى نفسه · أحرقه خالد بن عبد الله القسرى سنة١١٩ هـ ·

وقال قوم بل رجعت إلى عبد الله بن عمرو بن حرب[١] وكانوا يدعون آلهيته ، وكان كثير الشاعر[٢] والسيد الحميرى من جملة الكيسانية كانا ينتظران محمد بن الحنفية ولهما فى ذلك أشعار كثيرة فمما قاله السيد الحميرى[٣] فى معناه ·

ألا قل للوصى فدتك نفسى أطلت بذلك الجبل المقاما

أضر بمعشر والوك منا وسموك الخليفة والإماما

وعادوا فيك أهل الأرض طرًا مقامك عندهم ستين عاما

وأول من قام ببدعة الكيسانية ودعا إلى إمامة محمد بن حنفية المختار بن أبى عبيد[٤] أخذ فى طلب ثأر الحسين بن على وظفر باعدائه · ولما تم له الظفر فى حروب كثيرة اغتر بنفسه فأخذ يتكلم بأسجاعٍ الكهنة ولما بلغ خبر كهانته إلى محمد بن الحنفية خاف أن يقع بسببه فتنة فى الدين وهم ليقبض عليه ، فلما علم به المختار وخاف على نفسه منه اختار قتله بحيلة فقال لقومه :

المهدى محمد بن الحنفية وأنا على ولايته · غير أن للمهدى علامة وهى أن يضرب عليه بالسيف فلا يحيك فيه السيف ، وأنا اجرب هذا السيف على محمد بن الحنفية ، فإن حاك فيه فليس بمهدى ·

فلما بلغ إلى محمد بن الحنفية هذا الخبر خاف أن يقتله بما ذكرناه من حيلته فتوقف حيث كان ثم أن السبأية خدعوا المختار وقالوا له : أنت حجة الزمان ، وحملوه على دعوى النبوة فادعاها ، وزعم أن اسجاعه وحى يوحى إليه ، ثم قويت شوكته ، واستفحل أمره ، حتى قصد جندًا من جنود مصعب بن الزبير[٥] فهزمهم

---

(١) هو رئيس فرقة الحربية من الغلاة لعله فى جملة من أهلكه القسرى ·

(٢) هو كثير عزة الشاعر المشهور توفى بالمدينة سنة ١٠٥ وكان كيسانى المعتقد وكانت الأموية يتقون لسانه ·

(٣) هو شاعر الشعية اسماعيل بن محمد توفى ببغداد سنة ١٧٩ ، وكان يرى الرجعة وكان الدارقطنى يحفظ ديوانه ·

(٤) هو المعروف بكيسان ، حفيد عظيم القريتين مسعود انتقم الله للحسين السبط ﷺ بالمختار وإن لم تكن نية المختار خالصة ، قتله مصعب بن الزبير فى رمضان سنة ٦٧ عن سبع وستين سنة ، وهو رأس الكيسانية من الغلاة ·

(٥) ولاه أخوه عبد الله العراقين فسار إليه عبد الملك بن مروان فقتله سنة ٧٢ هـ · رحمه الله ·

وأسر جماعة منهم فيهم سراقة بن مرداس البارقى[١] فلما قدم إلى المختار اختار وقـال : لم تهزمنا جندك ، ولا أسرنا قومك ، ولكن الملائكة الذين جاؤا لنصرتك ونصرة جندك هم الذين هزمونا ، فاعف عنا فإنا لم نعلم أنك على الحق ، والآن فقد علمناه ، فعليك أقسم بحق أولئك الملائكة الذين كانوا على أفراس بلق قائمين بنصرتك أن تعفو عنا . فعفا عنهم وعاد سراقة إلى جند مصعب ابن الزبير بالبصرة وأنشأ هذه الأبيات وبعث بها إلى المختار .

ألا بلغ أبا إسحاق أنى ... رأيت البلق دهمًا مصمتاتِ

أرى عينى ما لم ترأياه ... كلانا عالم بالترهاتِ

كفرت بوحيكم وجعلت نذرًا ... علىّ قتالكم حتى المماتِ

واعلم أن السبب الذى جوزت الكيسانية البداء على الله تعالى . أن مصعب بن الزبير بعث إليه عسكرًا قويًا ، فبعث المختار إلى قتالهم احمد بن شميط[٢] مع ثلاثة آلاف من المقاتلة وقال لهم : أوحى إلى أن الظفر يكون لكم فهزم ابن شميط فيمن كان معه فعاد إليه فقال : اين الظفر الذى قد وعدتنا ؟ فقال له المختار : هكذا كان قد وعدنى ثم بدا فإنـه سبحانه وتعـالى قد قال : ﴿ يَمْحوا اللهُ ما يَشاء ويُثْبِتُ وَعِنْدَه أمُّ الكتاب ﴾[٣] . ثم خرج المختـار إلى قتال مصعب ورجع مهزومًا إلى الكوفة فقتلوه بها .

واعلم أن الكيسانية اختلفوا فى حبس محمد بن الحنفية بجبل رضوى ، فمنهم من قال كان ذلك عقوبة له على خروجه بعد قتل الحسين بن على إلى يزيد بن معاوية[٤] وطلب الأمان منه ، وقبوله العطاء من قلبه ، وعلى أنه خرج من مكة فى أيام ابن الزبير[٥] وقصد عبد الملك بن مروان[٦] ثم انصرف من الطريق وعدل إلى

---

(١) نسبة إلى جبل بارق باليمين بنزله الازد فارس مشهور ، وشاعر معروف .

(٢) هو من قواد المختار قتله مصعب بن الزبير فى موقعة سنة ٦٧ هـ .

(٣) سورة الرعد - ٣٩ .

(٤) ذلك الظالم المعروف ولابن الجوزى رسالة فى استنزال اللعنات عليه هلك سنة٦٤هـ .

(٥) هو عبد الله بن الزبير ﷺ أحد العبادلة وهو أول مولود من المهاجرين بالمدينة بعد الهجرة مات بمكة شهيداً سنة ٧٣ هـ .

(٦) الملك الأموى المشهور هلك فى شوال سنة ٨٦ .

الطائف وكان بها عبد الله بن عباس فتوفى عبد الله بن عباس وصلى عليه بها محمد ابن الحنفية ودفنه هناك ، ثم قصد اليمن فلما بلغ شعب رضوى توفى هناك ودفن . والذين يقولون بانتظاره ينكرون موته ، ويزعمون أنه غيب عن الناس إلى أن يؤذن له فى الخروج .

وقال قوم من **الكيسانية** لا ندرى سبب جبسه هناك ولله فى حبسه سر لا يعلمه إلا هو . هذا تفصيل قول **الكيسانية** من الروافض . أما الإمامية منهم فهم خمس عشرة فرقة .

أحداها الكاملية : وهم أتباع أبى كامل[1] يقولون أن الصحابة كلهم كفروا بتركهم بيعة على ، وكفر على أيضًا بتركه قتالهم إذ كان واجبًا عليه أن يقاتلهم كما قاتل أهل صفين والجمل ، وكان بشار بن برد الشاعر[2] منهم لما سئل عن الصحابة فقال : كفروا . فقيل له ما تقول فى على ؟ فأنشد قول الشاعر :

وما شر الثلاثة أم عمرو   بصاحبك الذى لا تصحبينا

وبشار هذا زاد على **الكاملية** بنوعين من البدعة .

أحداهما : أنه كان يقول بالرجعة قبل القيامة كما كان يقولها **الرجعية** من الروافض .

والثانى : أنه كان يقول بتصويب إبليس فى تفضيل النار على الأرض ولذلك قال :

الأرض مظلمة والنار مشرقة   والنار معبودة مذ كانت النار

ووفق الله سبحانه المهدى بن منصور الخليفة[3] حتى غرقه واتباعه فى دجلة ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم .

الثانية المحمدية : وهم يقولون بانتظار محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن

---

(١) هو رئيس فرقة الكاملية من الرافضة ومن جملة من يتابعه بشار الشاعر الأعمى .

(٢) هو بشار بن برد العقيلى أشعر المولدين على الإطلاق . أصله من طخارستان (غربى نهر جيحون) ونشأ فى البصرة وقدم بغداد . نسبته إلى امرأة عقيلية قيل أنها أعتقته من الرق، ولد سنة ٩٥ هـ . ومات ضربًا بالسياط سنة ١٦٧ هـ .

(٣) هو محمد بن عبد الله ثالث خلفاء الدولة العباسية توفى سنة ١٦٩ هـ .

بن على بن أبى طالب ويقولون إنه لم يمت، وإنه حى فى جبل حاجر من ناحية نجد ، وإنه يقيم هناك إلى أن يؤذن له فى الخروج فيخرج ويملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، وكان المغيرة بن سعيد العجلى[1] على هذا المذهب وكان يدعو الناس إليه · ودخل فى دعوته جماعة من أهل المدينة ، وأهل مكة وأهل اليمن ، فجمع منهم عسكراً وغلب على نواحى البصرة ، واستولى فريق من جنده على نواحى المغرب · وكان ذلك منهم فى زمن المنصور[2]. فبعث إليهم عيسى بن موسى[3] بجيش عظيم ، فاستشهد محمد بن عبد الله بن الحسن بالمدينة ، واختلف أصحاب المغيرة فى حاله · فمنهم من أقر بقتله وخرجوا على المغيرة وقالوا : أنه كذب فى قوله يملك الأرض فإنه قتل وما ملك ، ومنهم من قال : أن المغيرة صدق فيما ذكر أن محمداً لم يقتل وإنما غاب عن أعين الناس فى جبال حاجر إلى أن يؤذن له فى الخروج فيخرج ويملك الأرض ويبايعه بين الركن والمقام سبعة عشر رجلاً يجيئون لأجله ، ويعطى كل واحد منهم حرفاً من حروف اسم الله الأعظم فهم يهزمون العساكر بذلك ، وهؤلاء يزعمون ان الذى قتله عيسى بن موسى بالمدينة كان شيطاناً تصور فى صورة محمد وأنه لم يقتل فى الحقيقة · وأصحابنا يقولون لهم جوابكم أن ترتكبوا مثل هذه الخرافات ، فهلا انتظرتم الحسين بن على[4] وقلتم أنه لم يقتل ، وهلا انتظرتم على بن أبى طالب وقلتم أن الذى قتله ابن ملجم[5] كان شيطاناً تصور بصورة عليّ ·

الثالثة الباقرية : وهؤلاء يقولون إن الإمامة كانت فى أولاد على إلى أن انتهى

---

(١) هو شيخ المغيرية من الغلاة قتله خالد القسرى حرقاً بالنار سنة ١١٩ هـ·

(٢) هو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عباس ﷺ ثانى خلفاء العباسية أنباؤه معروفة توفى سنة ١٥٨ هـ ·

(٣) ولى عهد السفاح العباسى بعد أخيه المنصور ، خلعه المهدى توفى سنة ١٦٨ هـ ·

(٤) هو أبو عبد الله الحسين بن على بن أبى طالب الهاشمى القرشى العدنانى السبط الشهيد ابن فاطمة الزهراء · فى الحديث الشريف : الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة · نشأ فى بيت النبوة وإليه نسبة الحسينيين ولد عليه السلام فى المدينة المنورة سنة ٤ هجرية واستشهد بكربلاء سنة ٦١ هـ فى أيام الظالم يزيد بن معاوية ·

(٥) هو عبد الرحمن بن ملجم المرادى الحميرى فاتك ثائر هلك سنة ٤٠ لعنه الله بعد اغتياله لعلى عليه السلام ·

الأمر إلى محمد بن على بن الحسين الباقر[١] وهم ينتظرونه ولا يصدقون بموته ؛ ويقولون : إن سبب إمامته أن النبى ﷺ أخبر جابر بن عبد الأنصارى أن سيطول عمره ، ويدرك أيامه . وقال له اقرأ منى عليه السلام ، وكان جابر آخر من مات بالمدينة من الصحابة ؛ وكان قد كف بصره فى آخر عمره فجاءت جارية ووضعت فى حجره صبيًا ، وقالت هذا على بن الحسين بن على فأدّى جابر الأمانة ، وبلغه سلام جده ، وتوفى جابر فى ليلته ، فرد هؤلاء أن رسول الله ﷺ ، أخبر عمر وعليًا بأنهما يدركان رجلا اسمه أويس القرنى[٢] وأمرهما أن يبلغاه سلام رسول الله ﷺ وذلك لا يوجب أن يكون هو المهدى المنتظر فإنه استشهد فى حرب صفين . كذلك التسليم على محمد بن على لا يوجب كونه مهديًا منتظرًا .

الرابعة الناووسية : وهم أتباع رجل من أهل البصرة كان ينسب إلى ناووس كان هناك وهم يسوقون الإمامة فى أولاد على إلى جعفر بن محمد الصادق[٣] ويزعمون أنه لم يمت وإنه المهدى المنتظر ، وجماعة من **السبأية** يوافقونهم فى هذا القول ويزعمون أنه كان يعلم كلما يحتاج إلى علمه من دين ، أو دنيا ، عقلى ، وشرعى ، ويقلدونه فى جملة أبواب الدين ، حتى لو سئل واحد منهم عن جواز الرؤية على الله تعالى ، وعن نفى خلق القرآن ، أو عن إثبات الصفات ، أو غير ذلك لكان جوابه أن يقول . أنا نقول فيه بقول جعفر ، ولا ندرى ما قول جعفر فيه ، غير أنهم يتفقون فى تكفير أبى بكر وعمر ، ولو طردوا أصلهم فى تقليده لأجابوا به أيضًا عليه .

الخامسة الشميطية : فالشميطية منهم هم اتباع يحيى بن شميط[٤] وهؤلاء

---

(١) هو من أئمة أهل البيت عليهم السلام توفى سنة ١١٤ هـ .

(٢) هو اويس بن عامر بن جزء بن مالك القرنى من بنى مراد ، أحد النساك العباد من التابعين شهد واقعة صفين مع على عليه السلام ، ويرجح الكثيرون أنه قتل فيها سنة ٧٣ هـ .

(٣) هو أبو عبد الله جعفر بن محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين السبط الهاشمى القرشى سادس الأئمة الأثنى عشر عند الإمامية ، لقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب قط مات سنة ١٤٨هـ رضي الله عنه .

(٤) يرى المقريزى أنه الاحمس رأس الشميطية من الرافضة بعثه المختار أميرًا على جيش البصرة لقتال مصعب بن الزبير (فقتل بالمذار سنة ٦٧ هـ) لكنى أظن المقريزى واهمًا فى ذلك راجع ترجمة أحمد بن شميط ، وتنقيح المقال فى ترجمة يحيى بن أبى سمط .

يقولون أن الإمامة صارت من جعفر إلى ابنه محمد بن جعفر وأنها تدور فى أولاده وان المنتظر واحد من أولاده ·

السادسة العمارية : منهم وهؤلاء يقولون أن الإمامة صارت من جعفر إلى أكبر أولاده عبد الله الذى كان يدعى أفطح ، وهؤلاء يدعون الأفطحية بسببه ·

السابعة الاسماعيلية : وهم يزعمون أن الإمامة صارت من جعفر إلى ابنه إسماعيل ، وكذبهم فى هذه المقالة جميع أهل التواريخ لما صح عندهم من موت إسماعيل قبل أبيه جعفر ، وقوم من هذه الطائفة يقولون بإمامة محمد بن اسماعيل وهذا مذهب الإسماعيلية من الباطنية ·

الثامنة الموسوية : منهم وهؤلاء يزعمون أن الإمامة صارت بعد جعفر إلى ابنه موسى بن جعفر ، وأنه حى لم يمت ، وأنه المنتظر ويقولون أنه دخل دار الرشيد[1] ولم يخرج ونحن نشك فى موته · وهذا القول منهم يوجب عليهم أن يشكوا فى إمامته كما شكوا فى حياته ، على أن هذا القول هوس منهم ، لأن مشهد موسى بن جعفر[2] مشهور ببغداد فى الجانب الغربى يزار ويتبرك به ، ولهؤلاء الموسوية لقب آخر وهو أنهم يدعون الممطورة لأن زرارة بن اعين قال لهم يومًا : أنتم أهون فى عينى من الكلاب الممطورة أراد الكلاب التى ابتلت بالمطر ، والناس يطردونهم ويتحرزون منهم ·

التاسعة المباركية : وهم أيضًا يقولـــون بإمامة محمد بن اسماعيل كما نذكره بعد ·

العاشرة القطعية : منهم سموا بذلك لأنهم ساقوا الإمامة بعد جعفر إلى ابنه موسى ، ثم قطعوا بموت موسى وقالوا أن المهدى المنتظر محمد بن الحسن بن على ابن على الرضا بن موسى الكاظم وهؤلاء يدعون الاثنى عشرية لأنهم ادعوا أن الإمام المنتظر هو الثانى عشر من أولاد على بن أبى طالب ، ثم اختلف هؤلاء فى سنة وفاة أبيه · فنهم من قال : أنه كان ابن أربع سنين ، ومنهم من قال : ابن ثمان سنين · ثم قال قوم منهم : إنه كان إمامًا وأدى الطاعة فى ذلك الوقت ، وكان عالمًا بجميع

---

(١) هو هارون (الرشيد) بن محمد المهدى خامس خلفاء الدولة العباسية وله وقائع كثيرة مع ملوك الروم وهو صاحب وقعة البرامكة · ولد سنة ١٤٩هـ ومات بطوس سنة ١٩٣هـ ·

(٢) هو الإمام موسى الكاظم رضي الله عنه مشهده معروف ببغداد توفى سنة ١٧٣ هـ ·

معالم الدين ، وقال قوم : إنه كان إمامًا على معنى أنه سيصير إمامًا إذا بلغ ، وأنه غاب عن أعين الناس إلى أن يؤذن له فى الخروج .

الحادية عشرة : الهشامية منهم وهم فريقان أصحاب هشام بن الحكم الرافضى[١] وأصحاب هشام بن سالم الجواليقى[٢] والفريقان جميعًا يدينون بالتشبيه والتجسيم ، وإثبات الحد والنهاية . حتى قال هشام بن الحكم : إنه نور يتلألأ كقطعة من السبيكة الصافية ، أو كلؤلؤة بيضاء . والجواليقى يقول بالصورة وإثبات اللحم ، والدم ، واليد ، والرجل ، والأنف ، والأذن ، والعين ، وإثبات القلب . والعاقل بأول وهلة يعلم أن من كانت هذه مقالته لم يكن له فى الإسلام حظ .

الثانية عشرة : أحد هذين الفريقين من الهشامية .

الثالثة عشر : الزرارية منهم وهم اتباع زرارة بن أعين[٣] وقد كان على مذهب القطعية الذين كانوا يقولون بإمامة عبد الله بن جعفر ، ثم انتقل عنه فكان يقول بمذهب الموسوية ، وكان يقول : إن الله تعالى لم يكن عالمًا ، ولا قادرًا ، ثم خلق لنفسه علمًا ، وحياة ، وقدرة ، وإرادة ، وسمعًا ، وبصرًا وجرى على قياس قولهم قوم من بصرية القدرية فقالوا : كلام الله مخلوق له ، وإردته مخلوقة له ، وزاد عليه الكرامية فقالوا إن إرادته وإدراكاته ، حادثة .

الرابعة عشرة : **اليونسية** وهم اتباع يونس بن عبد الرحمن القمى[٤] وكان فى الإمامة على مذهب القطعية ، وكان مفرطًا فى التشبيه حتى كان يقول : أن حملة العرش يحملون إله العرش وهو أقوى منهم ، كما أن الكركى تحمله أرجله وهو أقوى من أرجله ، والعاقل لا يستجرىء أن يقول مثل هذا الكلام .

الخامسة عشرة : **الشيطانية** منهم وهم أتباع محمد بن على بن النعمان الرافضى[٥] الذى كان يلقب بشيطان الطاق ، وكان فى الإمامة على مذهب القطعيه ،

---

(١) مات بعد نكبة البرامكة مستترًا ، وقيل أنه أدرك زمن المأمون وله أنباء فى الرفض والتجسيم ربما تكون بعضها مولدة لصلته بالبرامكة .

(٢) متقدم على هشام بن الحكم زمنًا ، وأنباؤه فى التجسيم والرفض معروفة .

(٣) توفى سنة ١٥٠ هـ ويقال أنه رجع عن التشيع .

(٤) مترجم فى تنقيح المقال .

(٥) هو شيطان الطاق تسمى به ، والشيعة يسمونه مؤمن الطاق صاحب نوادر معاصر لأبى حنيفة .

وكان يقول إن الله تعالى لا يعلم الشر قبل أن يكون ، كما كان يقوله هشام بن الحكم وقد كان يوافق هشامًا الجواليقى فى كثير من بدعه .

واعلم أن **الزيدية والإمامية** منهم يكفر بعضهم بعضًا ، والعداوة بينهم قائمة دائمة **والكيسانية** يعدون فى **الإمامية** ، واعلم أن جميع من ذكرناهم من فرق الإمامية متفقون على تكفير الصحابة ويدعون أن القرآن قد غير عما كان ووقع فيه الزيادة والنقصان من قبل الصحابة[1] ويزعمون أنه قد كان فيه النص على إمامة على فأسقطه الصحابة عنه . ويزعمون أنه لا اعتماد على القرآن الآن ولا على شىء من الأخبار المروية عن المصطفى ﷺ ، ويزعمون أنه لا اعتماد على الشريعة التى فى أيدى المسلمين وينتظرون إمامًا يسمونه المهدى يخرج ويعلمهم الشريعة وليسوا فى الحال على شىء من الدين ، وليس مقصودهم من هذا الكلام تحقيق الكلام فى الإمامة ، ولكن مقصودهم إسقاط كلفة تكليف الشريعة عن أنفسهم ، حتى يتوسعوا فى استحلال المحرمات الشرعيـة ، ويعتذروا عند العوام بما يعدونه من تحريف الشريعة . وتغيير القرآن من عند الصحابة ، ولا مزيد على هذا النوع من الكفر . إذ لا بقاء فيه على شىء من الدين .

وأما **الهشامية** : فإنهم أفصحوا عن التشبيه بما هو كفر محض باتفاق جميع المسلمين ، وهم الأصل فى التشبيه وإنما أخذوا تشبيههم من اليهود حين نسبوا إليه الولد ، وقالوا : ﴿ عُزَيْرٌ ابن الله ﴾[2] وأثبتوا له المكان ، والحد ، والنهاية ، والمجىء ، والذهاب . تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا . ولهذا المعنى شبه النبى ﷺ الروافض باليهود فقال : « الروافض يهود هذه الأمة »[3] . وقال الشعبى[4] ان الروافض شر من اليهود والنصارى ، فإن اليهود سئلوا عن أحبار ملتهم فقالوا : أصحاب موسى ، والنصارى سئلوا عن أحبار ملتهم فقالوا : الحواريون الذين كانوا مع عيسى عليه السـلام وسئلت الرافضـة عن شر هذه الأمة فقالوا : أصحاب محمد

---

(١) وهذا وذاك شأن الغلاة منهم وإلا فالسيد المرتضى وأخوه والطبرسى وأمثالهم يردون على اللاغطين بمثل ذلك .

(٢) سورة التوبة ٣٠ .

(٣) لم أره فى شىء من كتب الحديث المعول عليها وكنا نود أن لو لم نر المتكلمين الأقوياء فى الحجة يتساهلون فى الرواية .

(٤) هو عامر بن شراحيل من كبار التابعين توفى سنة ١٠٤ هـ .

ﷺ . فلا جرم يكون سيف الحق مسلولاً عليهم إلى يوم القيامة ، ولا يرى لهم قدم ثابت ، ولا كلمة مجتمعة ، ولا راية منصوبة ، ولا ينصرهم أحد إلاّ صار مخذولاً لشؤم بدعتهم ، والعجب أنهـم يتكلمون فى الصحابة ، ويسيئون القول فيهم ، ولا يتأملون كتاب الله حيث اثنى عليهم بقوله سبحانه : ﴿ مُحمد رَسُول الله والذين مَعَهُ أشداء على الكفار رُحماء بَيْنهُم تَرَاهُم رُكَّعا سُجَّدًا يبتغُون فَضْلاً مِنَ الله ورضْوانًا سيماهُم فى وُجوهِهم من أثرِ السُجود ذلك مَثَلهم فى التوراَةِ وَمَثَلهم فى الإنجيل ﴾[1] إلى آخر السورة . فأثنى عليهم كما ترى فأخبر أن صفتهم مذكورة فى التوراة والإنجيل كما أخبر به ﴿ كَزَرْعٍ أخْرَجَ شَطْأه فَآزَرَهُ فاستَغلظ فاستَوى على سُوقه يُعجبُ الزُرَّاعَ لِيَغيظَ بِهمُ الكُفَّار ﴾[2] حتى قال أبو إدريس المفسر أن ظاهر هذه الآية يوجب أن الروافض كفار ، لأن فى قلوبهم غيظًا من الصحابة وعداوة لهم ، ألا تراه يقول ﴿ لِيُغيظَ بِهُم الكفَّار ﴾ فبين أن من كان فى قلبه غيظ منهم فهو من الكفار .

وروى عن ابن عباس رضي الله عنه ان النبى ﷺ قال : « سيكون فى آخر الزمان قوم لهم نبز يقال لهم الروافض يرفضون الإسلام فاقتلوهم فانهم مشركون »[3] وروى عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يا على تكون[4] أنت فى الجنة ، وشيعتك يكونون فى الجنة ، وسيكون بعدى قوم يدعون ولايتك ، يدعون الرافضة فإن وجدتهم فاقتلهم فإنهم مشركون » : فقال على وما علامتهـم يا رسول الله ؟ فقال : لا يكون لهم جمعة ولا جماعة ويشتمون أبا بكر وعمر » .

واعلم أن هذه المقاتلة التى رويناها عن الروافــض ليست مما يستدل على فسادها ، فإن العاقل ببديهة العقل يعلم فسادها وينكر عليها ، فلا يمكن أن تحمل منهم هذه المقالات إلا على أنهم قصدوا بها إظهار ما كانوا يضمرونه من الإلحاد والشر

(١ ، ٢) سورة الفتح ٢٩ .

(٣) ولفظ الطبرانى (سيكون فى أمتى قوم يتحلون حب أهل البيت لهم نبز يسمون الرافضة قاتلوهم فإنهم مشركون) . قال الهيثمى اسناده حسن .

(٤) ولفظ الطبرانى فى الأوسط (يا على أنت وأصحابك فى الجنة إلا إنه ممن يزعم أنه يحبك أقوام يرفضون الإسلام ثم يلفظونه ؛ يقرأون القرآن لا يجاوز القرآن ترانيهم ، لهم نبز يقال لهم الرافضة فإن أدركتهم فجاهدهم فإنهم مشركون . قلت يا رسول الله ما العلامة فيهم ؟ قال لا يشهدون جمعة ولا جماعة ويطعنون على السلف الأول) قال الهيثمى وفى سنده الفضل بن غانم وهو ضعيف .

بموالاة قوم من أشراف أهل البيت ، وإلا فليس لهم دليل يعتمدون عليه ، ويجعلون خرافات مقالاتهم إليه ، حتى أنهم لما رأوا الجاحظ يتوسع فى التصانيف ويصنف لكل فريق . قالت له الروافض صنف لنا كتابًا فقال لهم : لست أدرى لكم شبهة حتى أرتبها وانصرف فيها . فقالوا له : إذا دللتنا على شىء نتمسك به . فقال لا أرى لكم وجهًا إلا أنكم إذا أردتم أن تقولوا شيئًا مما تزعمونه تقولون أنه قول جعفر بن محمد الصادق ، لا أعرف لكم سببًا تستندون إليه غير هذا الكلام . فتمسكوا بحمقهم وغباوتهم بهذه السوءة التى دلهم عليها ، وفكلما أرادوا أن يختلقوا بدعة أو يخترعوا كذبة نسبـوها إلى ذلك السيد الصادق ، وهو عنها منزه وعن مقالتهم فى الدارين برىء . حتى حكى عنه أنه قال : كادت الروافض أن تنصر عليًا فنسبته إلى العجز ، وكادت المعتزلة أن توحد ربها فشركته ، وأرادت أن تعدل ربها فجورته أو لفظ هذا معناه .



الباب الرابع

فى تفصيل مقالات الخوارج وبيان فضائحهم

اعلم أن الخوارج عشرون فرقة كما ترى بيانهم فى هذا الكتاب وكلهم متفقون على أمرين لا مزيد عليهما فى الكفر والبدعة ٠

أحداهما : أنهم يزعمون أن عليًا ، وعثمان ، وأصحاب الجمل ، والحكمين ، وكل من رضى بالحكمين كفروا كلهم ٠

والثانى : أنهم يزعمون أن كل من أذنب ذنبًا من أمة محمد ﷺ فهو كافر ، ويكون فى النار خالدًا مخلدًا ٠ إلا النجدات منهم فإنهم قالوا : إن الفاسق كافر على معنى أنه كافر نعمة ربه ٠ فيكون إطلاق هذه التسمية عند هؤلاء منهم على معنى الكفران لا على معنى الكفر ٠ ومما يجمع جميعهم أيضًا تجويزهم الخروج على الإمام الجائر ، والكفر لا محالة لازم لهم لتكفيرهم أصحاب رسول الله ﷺ ٠

الفرقة الأولى : منهم المحكمة الأولى(١) وأول من قال منهم لا حكم إلا لله عروة بن حدير(٢) أخو مرداس الخارجى وقيل أن أول من قاله يزيد بن عاصم المحاربى(٣) وقيل أنه رجل من بنى يشكر كان مع على رضي الله عنه بصفين ولما اتفق الفريقان على التحكيم ركب وحمل على أصحاب على وقتل منهم واحدًا ، ثم حمل على أصحاب معاوية وقتل منهم واحدًا ، ثم نادى بين العسكرين أنه برىء من على ومعاوية وأنه خرج من حكمهم فقتله رجل من همدان ٠ ثم أن جماعة ممن كانوا مع على رضي الله عنه فى حرب صفين استمعوا منه ذلك الكلام ، واستقرت فى قلوبهم تلك الشبهة ، ورجعوا مع على إلى الكوفة ، ثم فارقوه ورجعوا إلى حروراء ، وكانوا اثنى عشر ألف رجلاً من المقاتلة ومن هنا سميت الخوارج حرورية ، وكان زعيمهم

---

(١) سموا محكمة لقولهم لا حكم إلا لله ٠ (كلمة حق أريد بها باطل) ٠

(٢) هكذا فى الأصل وفى كثير من كتب الملل ، وأما كتب الرجال فتذكر فيها بدل حدير (ادية) وهى جدة جاهلية له ٠

(٣) خارجى من المحكمة الأولى هلك فى النهروان ٠

يومئذ عبد الله بن الكواء[١] وشبث ابن ربعى[٢] وخرج إليهم على وناظرهم فظهر بالحجة عليهم ، فاستأمن إليه ابن الكواء فى ألف مقاتل ، واستمر الباقون على ضلالهم ، وخرجوا إلى النهروان وأمروا عليهم رجلين منهم .

أحداهما : عبد الله بن وهب الراسى[٣] والثانى : حرقوص بن زهير البجلى[٤] ، وكان يلقب بذى الثدية ورأوا فى طريقهم حال خروجهم إلى النهروان عبد الله بن خباب بن الأرث[٥] فقالوا له حدث لنا حديثًا سمعته من أبيك عن رسول الله ﷺ . فقال : سمعت أبى يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم ، والواقف فيها خير من السائر ، والماشى فيها خير من العادى ، ومن أمكنه أن يكون مقتولاً فيها فلا يقصدن أن يكون قاتلاً »[٦] ، أو لفظ هذا معناه فلما سمعوا منه هذا الخبر قصدوا قتله ، وقتله رجل منهم اسمه مسمع ، وجرى دمه على وجه الماء قائمًا كالشراك حتى انهال من إحـــدى شطى النهر إلى الآخر ، ثم قصدوا بيته وقتلوا أولاده وأمهات أولاده بالنهروان ، وكثر عددهم وقويت شوكتهم فقصدهم على رضي الله عنه فى أربعة آلاف رجل وكان مقدمهم عدى بن حاتم الطائى[٧] وينشد لهم أشعاراً يترغمون بها فى مذمتهم ومدح علي رضي الله عنه ، فلما ازدلفوا إليهم بعث على رضي الله عنه إليهم رسولاً أن ادفعوا إلىّ قاتل عبد الله بن خباب فقالوا : كلنا قتله ، ولو ظفرنا بك لقتلناك أيضًا . فوقف عليهم على رضي الله عنه بنفسه ، وقال لهم يا قوم : ماذا نقمتم منى حتى فارقتمونى لأجله . قالوا قاتلنا بين يديك يوم الجمل ، وهزمنا أصحاب الجمل ، فأبحت لنا أموالهم ، ولم تبح لنا نساءهم

---

(١) هو اليشكرى من الخوارج ثم استأمن بنصح على كرم الله وجهه .

(٢) كان قائد الميسرة فى حرب على كرم الله وجهه للخوارج ، ثم خان والتحق بهم ولقى جزاء عمله .

(٣) من رؤساء الخوارج قتل سنة ٣٨ هـ فى موقعة النهروان .

(٤) من رؤساء الخوارج قتل سنة ٣٨ هـ على الأصح فى واقعة النهروان ، وهو معروف بذى الثدية .

(٥) صحابى ابن صحابى قتله الخوارج سنة ٣٨ قبل موقعة النهروان .

(٦) والحديث بمعناه فى الصحيحين ، عن أبى هريرة وحكاية قتله فى الإصابة رضي الله عنه وأخزى الخوارج .

(٧) من معمرى الأصحاب مات سنة ٦٨هـ عن مئة وعشرون سنة .

وذراريهم ، وكيف تحل مال قوم وتحرم نساءهم وذراريهم ، وقد كان ينبغى أن تحرم الأمرين أو تبيحهما لنا ، فاعتذر على ﷺ بأن قال : أما أموالهم فقد أبحتها لكم بدلاً عما اغاروا عليه من مال بيت المال الذى كان بالبصرة قبل أن وصلت إليهم ، ولم يكن لنسائهم وذراريهم ذنب فإنهم لم يقاتلونا وكان حكمهم حكم المسلمين ، ومن لا يحكم له بالكفر من النساء والولدان لم يجز سبيهم واسترقاقهم ، وبعد لو أبحت لكم نسائهم من كان منكم يأخذ عائشة[1] فى قسمة نفسه ؟ فلما سمعوا هذا الكلام خجلوا وقالوا : قد نقمنا منك سبباً آخر وهو أنك يوم التحكيم كتبت اسمك فى كتاب الصلح أن أمير المؤمنين على بن أبى طالب ومعاوية[2] حكما فلانًا ، فنازعك معاوية وقال لو كنا نعلم انك أمير المؤمنين ما خالفناك ، فمحوت اسمك . فإن كان إمامتك حقًا فلم رضيت به .

فاعتذر أمير المؤمنين ، وقال : إنما فعلت كما فعل النبى عليه السلام حين صالح سهيل بن عمرو[3] وكتب فى كتاب الصلح . هذا ما صالح محمد رسول الله سهيل بن عمرو فقال له سهيل : لو علمنا أنك رسول الله ما خالفناك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، فأمر النبى ﷺ حتى كتب : هذا ما صالح محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ، فقال لى رسول الله ﷺ : « إنك ستبتلى بمثله يومًا » فالذى فعلته بإذنه واقتداء به . ثم قالت الخوارج له : لم قلت للحكمين إن كنت أهلاً للخلافة فقررانى ، ولم شككت فى خلافتك . حتى تكلمت بهذا الكلام ، ولو كنت شاكًا لما أدعيت الخلافة . فقال على : إنما أردت أن أنصف الخصم ، وأسكن النائرة ، ولو قلت للحكمين أحكما لى لم يرض بذلك معاوية ، وهكذا فعل النبى ﷺ مع نصارى نجران حين دعاهم إلى المباهلة فقال : ﴿ فَمَن حاجّك فيه من بَعد ما جَاءكَ من العلمِ فَقُل تعالوا نَدعُ أبناءنا وأبناءكم ونسَاءنا ونساءكُم وأنفسَنا وأَنفُسكم ثُم نَبتهِل فَنَجعل لَعنَة الله على الكاذبين ﴾[4] وهذا إنما قاله على سبيل الإنصاف لا على سبيل التشكيك ، وهو كقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ يَرزُقُكُم مِنَ السَموات والأَرضِ قل

---

(١) أم المؤمنين ﷺ توفيت سنة ٥٧ هـ .

(٢) هو ابن أبى سفيان من مسلمة الفتح توفى سنة ٦٠ هـ.

(٣) تولى أمر الصلح بالحديبية من جهة قريش ثم أسلم وحسن إسلامه ﷺ توفى سنة ١٨ هـ .

(٤) آل عمران ٦١ .

الله وإنا أوْ إيَّاكُم لعلى هدى أوْ فى ضلالٍ مُبين ﴾[1] . ولهذا المعنى حكَّم النبى ﷺ سعدَ بن معاذ[2] فى بنى قريظة ؛ والحَق فى الحقيقة كان لرسول الله ﷺ .

ثم إن حكم رسول الله حكم بالعدل ، وحكمى الذى حكمته خدع فكان من الأمر ما كان فلما سمعت الخوارج هذه الحجج القاطعة استأمن ثمانية آلاف منهم ، وثبت على قتاله أربعة آلاف منهم . فقال إلى الذين استأمنوا إليه منهم امتازوا اليوم منى جنبًا ، وقاتل بمن كان معه وقال لأصحابه لما أراد أن يبتدىء القتال : لا يقتل منا عشرة ، ولا ينجو منهم عشرة ، واشتغلوا بالقتال فلم يقتل يومئذ من أصحاب على أكثر من تسعة أنفس ، وخرج حرقوص بن زهير فى وجه على رضي الله عنه وقال : والله لا نريد بقتالك إلا وجه الله تعالى ، والنجاة فى الآخرة فتلا عليه : ﴿ قُلْ هَل نُنَبِّئكَم بالأخْسرينَ أعمالاً ، الذينَ ضَلَّ سَعْيُهُم فى الحياةِ الدُنيا وهُمْ يحسبون أنهم يحسنون صُنعًا ﴾[3] ثم حمل عليهم وقتل عبد الله بن وهب فى المبارزة ، والتحم القتال حتى لم يبق من جملة الخوارج إلا تسعة فوقع اثنان منهم إلى سبحستان ، واثنان إلى اليمن ، واثنان إلى عمان ، واثنان إلى الجزيرة ، وواحد إلى ناحية الاكبار ، وخوارج هذه النواحى من أتباع هذه التسعة وأمر على رضي الله عنه أصحابه بطلب ذى الثدية فوجدوه قد هرب واستخفى فى موضع فظفروا به ، وتفحصوا عنه فوجدوا له ثديًا كثدى النساء . فقال على رضي الله عنه : صدق الله وصدق رسوله ، وأمر بقتله فقتل . وقد كان مر على النبى ﷺ ذو الثدية وهو يقسم غنائم بدر فقال له : أعدل يا محمد . فقال له عليه الصلاة والسلام : « خبت وخسرت إذًا من يعدل ثم قال : « إنه يخرج من ضئضىء هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية »[4] .

هذه قصة **المحكمة الأولى** وهم يكفرون بتكفيرهم عليًا ، وعثمان ، وتكفيرهم فساق أهل الملة ، ثم خرج بعدهم جماعة من الخوارج بأرض العراق فكان على رضي الله عنه يبعث إليهم السرايا ويقاتلهم إلى أن استأثر الله بروحه ، ونقله إلى جنته ، وبقيت

---

(١) سورة سبأ ٢٤ .

(٢) سيد الأوس صحابى جليل رضي الله عنه توفى سنة خمس ، اهتز العرش لوفاته .

(٣) سورة الكهف ١٠٣ و١٠٤ .

(٤) أخرجه الشيخان وغيرهما بألفاظ متقاربة وعادة المصنف فى الغالب رواية الحديث بالمعنى . راجع جمع الفوائد ٢ / ٢٨٨ .

الخوارج على مذهب المحكمة الأولى إلى أن ظهرت فتنة الأزارقة منهم ، فعند ذلك اختلفوا كما نذكره إن شاء الله تعالى .

الفرقة الثانية منهم : هم **الأزارقة** وهم أتباع رجل منهم يقال له أبو راشد نافع ابن الأزرق الحنفي . ولم يكن للخوارج قوم أكثر منهم عدداً ، وأشد منهم شوكة ، ولهم مقالات فارقوا بها **المحكمة الأولى** ، وسائر الخوارج : منها أنهم يقولون ، أن من خالفهم من هذه الأمة فهو مشرك ، والمحكمة كانوا يقولون إن مخالفهم كافراً ، ولا يسمونه مشركاً ومما اختصوا به أيضاً انهم يسمون من لم يهاجر إلى ديارهم من موافقيهم مشركاً ، وإن كان موافقاً لهم في مذهبهم . وكان من عاداتهم فيمن هاجر إليهم أن يمتحنوه بأن يسلموا إليه أسيراً من أسراء مخالفيهم وأطفالهم ويأمروه بقتله . ويزعمون أيضاً أن أطفال مخالفيهم مشركون ، ويزعمون أنهم يخلدون في النار .

وأول من أظهر هذه البدع الزائدة على أولئك رجل منهم يدعى عبد ربه الكبير[1] وقيل عبد ربه الصغير ، وقيل عبد الله بن الوضين[2] وكان نافع بن الأزرق يخالفه حتى مات . ثم رجع إلى مذهبه وقد أطبقت **الأزارقة** على أن ديار مخالفيهم ديار الكفر ، وإن قتل نسائهم وأطفالهم مباح ، وأن رد أماناتهم لا تجب لنص كتاب الله تعالى حيث قال : ﴿ إنَّ الله يأمُرُكُم أن تُؤدُّوا الأمانات إلى أهلها ﴾[3] وزعموا أيضاً أن الرجم لا يجب على الزاني المحصن ، خلافاً لإجماع المسلمين وقالوا : أن من قذف رجلاً محصناً فلا حد عليه ، ومن قذف امرأة محصنة فعليه الحد ، وقالوا : إن سارق القليل يجب عليه القطع ، وهذه بدع زادوا بها على جميع الخوارج ﴿ فبَاءوا بِغَضَبٍ على غضب ولِلْكافرينَ عَذابٌ مُهين ﴾[4] وهذه الأزارقة غلبوا على بلاد الأهواز ، وأرض فارس ، وكرمان ، في أيام عبد الله بن الزبير حين بعث عاملاً له على البصرة فأخرج سرية إلى قتالهم وهم ألف مقاتل فقتلهم الخوارج ، ثم بعث إليهم بثلاثة آلاف من المقاتلة فظفر الخوارج أيضاً بهم ، فبعث

---

(١) بايعه الخوارج الذين انشقوا من قطري بن الفجاءة كما تجد تفصيل ذلك في الكامل للمبرد .

(٢) من رؤوس الأزارقة مات في حدود سنة ٦٠ هـ .

(٣) سورة النساء ٥٨ . (٤) سورة البقرة ٩٠ .

عبد الله بن الزبير من مكة كتابًا وجعل قتالهم إلى المهلب بن أبى صفرة[١] حتى جمع عسكرًا عظيمًا وهزم نافع بن الأزرق[٢] وجعدة وقتل نافع فى تلك الهزيمة ، وبايعت الأزارقة بعده رجلاً آخر منهم فهزمه المهلب أيضًا ، وقتلوه فى الهزيمة فبايعوا قطرى ابن الفجاءة[٣] التميمى[٤] وسموه أمير الموت ، وكان المهلب يقاتلهم حتى هزمهم وانحازوا إلى سابور من بلاد فارس ، وجعلوا ذلك دار هجرتهم وكان المهلب وأولاده يقاتلونهـم تسع عشرة سنة بعضها فى زمان عبد الله بن الزبير ، وبعضها فى زمان عبد الملك بن مروان .

ولما ولى الحجاج بن يوسف[٥] العراق أقر المهلب على قتالهم وكان يقاتلهم إلى أن ظهر بينهم الخلاف ، وخالف عبد ربه الكبير قطريًا وخرج إلى جيرفت كرمان فى سبعة آلاف رجل ، وخالفه أيضًا عبد ربه الصغير وانحاز إلى ناحية من نواحى كرمان ، وكان المهلب يقاتل قطريًا بناحية سابور إلى أن هزمه فخرج إلى كرمان ، وكان المهلب يسير على أثره ويقاتله حتى هزمه إلى الرى ، ثم كان يقاتل عبد ربه الصغير[٦] حتى كفى شغله وقتله ، وبعث الحجاج عسكرًا عظيمًا إلى الرى فقاتلوا قطريًا فانهزم منهم إلى طبرستان وتبعوه حتى قتلوه وكفى الله تعالى شغله ، وكان قد هرب فى جملة من قومه إلى قومس عبيدة بن الهلال اليشكرى[٧] فقصده جند الحجاج حتى قتلوه ، وطهر الله وجه الأرض من جملة الأزارقة ولم يبق منهم واحد .

الفرقة الثالثة منهم : النجدات وهم أتباع نجدة بن عامر الحنفى[٨] وكان من

---

(١) أمير خراسان الداهى صاحب الحروب والفتوح مات سنة ٨٢ هـ .

(٢) شيخ الأزارقة من الخوارج له أسئلة فى القرآن عن ابن عباس ﷺ فجاوبه من شعر العرب وهى مدونة فى باب من الإتقان للسيوطى . ولبعض السلف جزء خاص فى ذلك رأيته فى ظاهرية دمشق وأكثر الطبرانى منها فى الكبير قتل سنة ٦٥ هـ .

(٣) اسم أمه على ما ذكره المسعودى ويقول المجد انها اسم والده .

(٤) هو البطل المعروف عثر به فرسه فمات سنة ٧٩ وأتى برأسه إلى الحجاج .

(٥) هو الثقفى الظالم المشهور هلك سنة ٩٥ هـ .

(٦) هو أول من هاج ضد قطرى بن الفجاءة من الخوارج حتى عمت الفتنة بينهم واستمر قتال بعضهم لبعض إلى أن سهل على المهلب ابادتهم .

(٧) من أصحاب قطرى قتله سفيان بن الأبرد سنة ٧٧ هـ فى قومس .

(٨) رأس النجدات من الخوارج قتله أصحابه سنة ٦٩ هـ - وإنما قيل لاتباعه النجدات لتفرق من النسبة إلى النجد .

حاله أنه لما سمى نافع بن الأزرق من كان قد امتنع من نصرته مشركًا ، وأباح قتل نساء مخالفيهم وأطفالهم ، خرج عليه قوم من اتباعه وصاروا إلى اليمامة وبايعوا نجدة وقالوا : أن من يقول ما قاله نافع فهو كافر ثم افترق هؤلاء ثلاث فرق ، وخرجوا على نجدة فصار فريق منهم مع عطية بن الأسود الحنفى[1] إلى سجستان · وخوارج سجستان أتباع هؤلاء ولذلك كانوا يدعون **العطوية** ، وصار فريق منهم تبعًا لرجل كان يقال له أبو فديك[2] وكانوا يقاتلون نجدة حتى قتلوه وإنما خرج هؤلاء عليه لأنهم أخذوا عليه أشياء منها أنه بعث جندًا للغزو فى البر وجندًا فى البحر ، ثم فضل فى العطاء من بعثه فى البحر فأنكروا عليه وقالوا : لم يكن من حقه أن يفضل هؤلاء ·

والثانى أنهم قالوا : إنك بعثت جندًا إلى المدينة حتى اغاروا عليها وسبوا جارية من أولاد عثمان بن عفان ، وكاتبه فى ذلك المعنى عبد الملك بن مروان فاشتراها عمن كانت فى يده وبعثها إلى عبد الملك بن مروان ، فأخذوا عليه هذا · وقالوا : أنه رد جارية غنمناها إلي عدونا وقالوا له تب فتاب ·

وقال قوم : أنه كان معذورًا فيما فعل وقالوا له كان لك أن تجتهد ولم يكن لنا أن نستتيبك فتب عن توبتك فتاب · واختلفوا عليه كما ذكرنا إلى أن قتله أبو فديك وبعث عبد الملك بن مروان جندًا إلى أبى فديك فقتل وكفى الله المسلمين شرهم · وبدع **النجدات** كثيرة ومن اطلع على ما ذكرناه من حالهم لم يخف عليه أمرهم ·

الفرقة الرابعة هم : **الصفرية** وهم اتباع زياد بن الأصفر[3] وقولهم كقول **الأزارقة** فى فساق هذه الأمة ، ولكنهم لا يبيحون قتل نساء مخالفيهم ولا أطفالهم ·

وقال فريق منهم كل ذنب له حد معلوم فى الشريعة لا يسمى مرتكبه مشركًا ولا كافرًا ، بل يدعى باسمه المشتق من جريمته · يقال سارق ، وقاتل ؛ وقاذف ، وكل ذنب ليس فيه حد معلوم فى الشريعة مثل الإعراض عن الصلاة فمرتكبه كافر ، ولا يسمون مرتكب واحد من هذين النوعين جميعًا مؤمنًا ·

وقال فريق منهم أن المذنب لا يكون كافرًا إلى أن يحده الوالى ويحكم بكفره ،

---

(١) كان من أصحاب نجدة أرسله إلى سجستان فاظهر مذهبه بمرو منابذًا له فعرفت أتباعه بالعطوية ·

(٢) كان من أصحاب نجدة ثم خالفه إلى أن قتله ·

(٣) هو رئيس الصفرية بالضم ويقال : الأصفرية كالبترية والأبترية ·

وهؤلاء الفرق الثلاث من الصفرية يقولون بإمامة رجل كان اسمه أبو بلال مرداس الخارجى ويقولون بعده بإمامة عمران بن حطان السدوسى ، وكان خروج أبى بلال فى أيام يزيد بن معاوية بناحية البصرة على عامله عبيد الله بن زياد[١] فبعث إليه زرعة ابن مسلم العامرى[٢] فى ألفى مقاتل ، وكان زرعة يميل إلى رأى الخوارج فلما اصطف العسكران قال زرعة : يا أبا بلال إنى أعلم أنك على الحق ، ولكننا لو لم نقاتلك يحبس عبيد الله بن زياد عطاءنا عنا . فقال أبو بلال : ليتنى فعلت كما أمرنى به أخى عروة فإنه أمرنى أن أستعرض الناس بالسيف ، فأقتل كل من استقبلنى ، ثم هزمه أبو بلال فبعث عبيد الله بن زياد إلى قتال أبى بلال عبادا التميمى[٣] حتى حمل رأسه إلى عبيد الله بن زياد فدعا عبيد الله عروة[٤] أخاه وقال له : يا عدو الله أمرت أخاك أن يستعرض المسلمين قد انتقم الله تعالى منه ، وأمر بصلب عروة . ثم ان الصفرية بعد أبى بلال بايعوا عمرو بن حطان[٥] وكان رجلاً شاعرًا نسابة ، وكان يرثى مرداسًا ومن جملة ما رثاه به قوله :

انكرت بعدك ما قد كنت أعرفه ... ما الناس بعدك يا مرداس بالناس

وكان من شقاوته أنه رثى عبد الرحمن بن ملجم بقوله :

انى لأذكـــره يومًا فأحـــسبه ... أوفى البـرية عنـــد الله ميزانًا

ومن كان اعتقاده على هذه الجملة لم تعترض أهل الديانة فى كفره شبهة .

الفرقة الخامسة منهم : العجاردة وهم اتباع عبد الكريم بن عجرد[٦] وكان من اتباع عطية بن أسود الحنفى ، ومما اتفق عليه **العجاردة** قولهم : أن كل طفل بلغ فإنه

---

(١) هلك سنة ٨٧ هـ .

(٢) هو من قواد عبيد الله بن زياد فى عهد يزيد هزمه الخوارج سنة ٥٨ هـ وهو مذكور فى كامل المبرد باسم أسلم بن زرعة .

(٣) هو عباد بن أخضر التميمى من قواد عبيد الله بن زياد فى عهد يزيد . وكان قتله سنة ٦١ هـ .

(٤) هو عروة بن جدير المعروف بابن جدير المعروف بابن أدية باسم جدة له . كان من رؤوس الخوارج نجا من حرب النهروان ثم قتله زياد أو ابنه سنة ٥٨ هـ .

(٥) من أخبث الخوارج ملك سنة ٨٤ .

(٦) هو رئيس العجاردة من الخوارج .

يدعى إلى أن يقر بدين الإسلام ، وقبل أن يبلغ يتبرأون عنه ولا يحكمون له بحكم الإسلام فى حالة طفوليته . وخاصة مذهبهم أن الأزارقة كانوا يبيحون أموال مخالفيهم حتى يقتل صاحب المال أولاً ، وهؤلاء الذين ينتحلون هذا المذهب افترقوا .

فمنهم الخازمية : وهم الأكثرون منهم ، وافقوا أهل السنة فى القدر ، والاستطاعة ، والمشيئة . فيقولون لا خالق إلا الله ، ولا يكون إلا ما يريد ، والاستطاعة مع الفعل ، ويقولون : بتكفير القدرية بهذه المسائل التى ذكرناها ، ولكن يكفرون عثمان ، وعليًا ، والحكمين .

ومنهم الشعيبية وكان سبب ظهورهم أن زعيمهم نازع رجلاً من الخوارج يقال له ميمون وكان على شعيب[1] مال فطالب به شعيبًا . فقال شعيب أؤديه إن شاء الله تعالى . فقال ميمون الآن شاء الله ذلك ألا تراه قد أمر به :

فقال شعيب : لو كان الله شاء لم أقدر على مخالفته . فظهر بسبب ذلك الخلاف بين العجاردة فى مسألة المشيئة . فكتبوا هذه القصة إلي عبد الكريم بن عجرد وهو محبوس فى حبس السلطان ، فكتب فى جوابه نحن نقول ما شاء الله كان ، وما لم يشاء لم يكن ، ولا نلحق به سوءاً ، وقال ميمون : من قال أنه لم يرد أن يؤدى إلى حقى فقد ألحق به سواءاً ، وقال شعيب : بل وافقنى فى الجواب ألا تراه يقول وما لم يشأ لم يكن ؛ ورجع الخازمية إلى قول شعيب والحزمية منهم إلى قول ميمون القدرى ، وهو الذى يجوز نكاح بنات البنين وبنات البنات ، وهذا خلاف اجماع المسلمين ، وهذا منه كفر زاده على قوله بالقدر .

ومنهم الخلفية وكان خلف[2] هذا من اتباع ميمون القدرى ثم تاب ورجع عن أقواله إلى مذهب أهل السنة والجماعة فى باب القدر والمشيئة والاستطاعة وخوارج مكران وكرمان بايعوه على ذلك ، وكان حمزة الخارجى القدرى يقاتلهم ففقدوا خلقًا فى بعض تلك الحروب ، فهم من معرفته فى شك ثابتون على دعوى إمامته ، ولم يقاتلوا بعد فقده أحدًا فإن من مذهبهم أنهم لا يقاتلون إلا إذا كان بينهم الإمام ، وصاروا إلى مذهب الأزارقة فى شىء واحد ، وهو قولهم : أن أطفال مخالفيهم يكونون فى النار .

---

(١) هو شعيب بن محمد من الخوارج .

(٢) هو رئيس الخلفية من خوارج كرمان .

ومنهم **المعلومية** ويدعى فريق منهم **المجهولية** : والفريقان جميعًا كانا من جملة الخازمية . ثم المعلومية خالفوهم وزعموا أن من لم يعلم الله بجميع أسمائه فهو جاهل به والجاهل به كافر ، وزعموا أيضًا أن أفعال العباد لا تكون مخلوقة لله ، وزعموا أن من كان منهم على دينهم وخرج على أعدائه بالسيف فهو الإمام ، **والمجهولية** يقولون من عرف الله ببعض أسمائه يكون عالمًا به ، ولا يشترطون معرفة جميع أسمائه ، ويكفرون **المعلومية** بهذا السبب .

ومنهم **الصلتية** : وهم اتباع صلت بن عثمان وقيل صلت بن أبى الصلت[١] وهؤلاء يقولون أنا نوالى كل من كان على مذهبنا ولكننا نتبرأ عن أطفالهم إلى أن يبلغوا ونعرض عليهم الإسلام فيقبلوه يريدون به عرض مذهبهم وقبوله .

ومنهم **الحمزية** : وهم أتباع حمزة[٢] وهو الذى صدر منه الفساد الكبير فى نواحى سجستان ، وديار خراسان ، وكرمان ، ومكران ، وقهستان . وهزموا كثيرًا من العساكر وكان فى الأصل على دين **الخازمية** ثم خالفهم فى القدر ،والاستطاعة ، ورجع إلى قول **القدرية** . وكان يزعم أن مخالفيهم من هذه الأمة مشركون ، وأن غنائمهم لا تحل لنا ، وكان يأمر بإحراق الغنائم وعقر دواب مخالفيهم ، وظهرت فتنته فى أيام هارون الرشيد وبقى إلى أن مضى برهة من أيام المأمون[٣] ثم صار مقتولاً على أيدى غزاة نيسابور .

ومنهم **الثعالبة** : وهم اتباع ثعلبة بن مشكان[٤] وهؤلاء كانوا يقولون بإمامة عبد الكريم بن عجرد ويقولون إنه كان الإمام إلى أن خالفه ثعلبة فى حكم الأطفال فصار على زعمهم كافرًا ، وكان ثعلبة إمامًا وكان سبب اختلافهم أن رجلاً من **العجاردة** خطب بنت ثعلبة فقال له أظهر لنا مهرًا وقدره فبعث الخاطب إلى أم البنت وقال : تعرفينى عن أمرها هل بلغت هذه البنت ، وهل قبلت الإسلام ؟ فإن كانت بالغة وللإسلام قابلة على الشرط لم يبال كم كان مهرها . . فقالت الأم هى مسلمة .

---

(١) وفى المقريزى عثمان بن أبى الصلت .

(٢) هو حمزة الخارجى القدرى خرج فى عهد الرشيد بخراسان جمع بين البدعتين الخروج والقدر ، واستمرت فتنه إلى زمن المأمون .

(٣) توفى بطرسوس سنة ٢١٨ هـ .

(٤) وفى المقريزى والشهرستانى ثعلبة به بن عامر .

فلما بلغ هذا الخبر إلى ثعلبة اختار أن يتبرأ من أطفال المسلمين ، وخالف فى هـذا عبد الكريم بن عجرد وبسبب هذا الخلاف تبرأ أحدهما عن صاحبه وكان يكفر كل منهما صاحبه ·

ومنهم **المعبدية** : وهؤلاء يقولون بإمامة معبد بعد ثعلبة وخالف معبد **الثعالبة** بأن قال : يجوز أخذ الزكاة من العبيد ويجوز دفعها إليهم ، وزعم بأن من لم يوافقه فى هذه المقالة فهو كافر واتباعه يكفرون جملة **الثعالبة والثعالبة** يكفرونهم ·

ومنهم **الأخنسية** : وهم أتباع رجل اسمه أخنس[1] وكان على مذهب **الثعالبة** فى موالاة الأطفال ثم خنس من بينهم وزعم أنه يجب التوقف فى جميع من كان فى دار التقية إلا من عرفنا منه نوعًا من الكفر فحينئذ نتبرأ عنه ، ومن عرفنا منه الإيمان فنواليه ، وكان يقول : أن قتل مخالفيهم فى السر لا يجوز ، ولا يجوز ابتداء أحد من أهل القبلة بالقتال حتى يدعوه أولا إلى مذهبهم ·

ومنهم **الشيبانية** : وهم أتباع شيبان بن سلمة الخارجى[2] وهم كانوا يعينون أبا مسلم فى حروبه وكان يذهب إلى مذهب المشبهة وساير **الثعالبة** ثم خالفهم وقال : كل زرع يسقى بنهر ، أو عين ، ففيه نصف العشر · وقال كل زرع سقى بالسماء ففيه عشر كامل ·

ومنهم **المكرمية**[3] وهم اتباع أبى مكرم[4] وكان يقول : من ترك الصلاة فقد كفر لا لأنه ترك الصلاة ولكن لأنه يكون جاهلاً بالله تعالى · وكان يقول : أن المذنبين كلهم جاهلون بالله · وكان يقول : فى الموالاة والمعادلة بالموافاة · وكان يقول : أن الاعتبار بما سبق فى كتاب الله تعالى ·

الفرقة السادسة : الإباضية وهم اتباع عبد الله بن إباض[5] ثم هم فيما بينهم

---

(١) هو أخنس بن قيس ·

(٢) ساعد أبا مسلم فهجره الخوارج ·

(٣) بضم الميم وسكون الكاف وفتح الراء على ما فى انساب السمعانى ·

(٤) وفى الشهرستانى مكرم بن عبد الله العجلى ·

(٥) كان خروجه فى عهد مروان الجعدى آخر ملوك بنى امية ووهم اللالكائى فى شرح السنة حيث ذكر معاصرته لأبى الهذيل · وإباض بكسر الهمزة كما فى انساب السمعانى · ويقول أبو الحسين الملطى عن الإباضية انهم أصحاب إباض بن عمرو خرجوا من سواد =

فرق وكلهم يقولون أن مخالفيهم من فرق هذه الأمة كفار لا مشركون ولامؤمنون ، ويجوزون شهادتهم ويحرمون دماءهم فى السر ويستبيحونها فى العلانية ، ويجوزون مناكحتهم ، ويثبتون التوارث بينهم ، ويحرمون بعض غنائمهم ويحللون بعضها ، يحللون ما كان من جملة الأسلاب والسلاح ، ويحرمون ما كان من ذهب أو فضة ويردونها إلى أربابها .

ومن **الإباضية** قوم يقال لهم **الحفصية** : وهم اتباع حفص بن أبى المقدام وكان يقول : ليس بين الكفر والإيمان إلا معرفة الله فمن عرفه فهو مؤمن ، وإن كان كافراً بالرسول وبالجنة والنار ، واستحل جميع المحرمات كالقتل ، والزنا ، واللوط ، والسرقة ، فهو كافر ولكنه برىء من الشرك وهؤلاء يقولون فى عثمان كما تقول الروافض فى أبى بكر وعمر . ويقولون فى على نزل قوله تعالى : ﴿ ومنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبكَ قَوْلُه فى الحياةِ الدنيا ويُشهِد اللهَ على ما فى قَلْبِه وهُو ألدُّ الخِصام ﴾[1] . وفى عبد الرحمن بن ملجم قوله تعالى : ﴿ ومنَ النَاسِ مَن يَشْرِىَ نَفْسَه ابتِغاء مَرضاةِ الله واللهُ رَءوفٌ بِالعِبادِ ﴾[2] : وهذا من أتم الفضائح والبدع .

ومن **الإباضية** قوم يقال لهم **الحارثية** : وهم أتباع الحارث بن مزيد الإباضى وكانوا يقولون بقول **القدرية** فى القدر والاستطاعة وسائر **الإباضية** كانوا يكفرونهم بسبب ذلك .

ومن **الإباضية** فريق يقال لهم أصحاب طاعة لا يراد الله بها ، وهؤلاء يقولون بجواز طاعات كثيرة من العبد لا يقصد بها طاعة ربه كما كان يقوله أبو الهذيل المعتزلى وكان من قصتهم : أن رجلاً من **الإباضية** اسمه إبراهيم أضاف جماعة من أهل مذهبه وكانت له جارية على مذهبه قال لها قدمى شيئًا فأبطأت فحلف ليبيعها من الأعراب ، وكان فيما بينهم رجل اسمه ميمون ذكرناه فى **العجاردة** فقال له تبيع جارية مؤمنة من قوم كفار . فقال تعالى : ﴿ وأحَلَّ اللهُ البَيعَ وحرَّم الرِبا ﴾[3] . وعليه كان أصحابنا

= الكوفة ، فقتلوا الناس ، وسبوا الذرية . وقتلوا الأطفال ، وكفروا الأمة ، وأفسدوا فى العباد والبلاد . فمنهم اليوم بقايا بسواد الكوفة أ هـ . يعنى فى القرن الرابع فتكون قدوتهم إباضًا أبا عبد الله ونسبتهم إليه . ويقول ابن قتيبة إنه من بنى مرة بن عبيد من بنى تميم .

(١ ، ٢) سورة البقرة ٢٠٤ و ٢٠٧ .

(٣) سورة البقرة ٢٧٥ .

وطال الكلام بينهما حتى تبرأ كل واحد منهما من صاحبه ، وتوقف قوم منهم فى كفرهما وكتبوا إلى علمائهم فرجع الجواب بجواز ذلك البيع وبوجوب التوبة على ميمون[1] وعلى كل من توقف فى نصر إبراهيم · فمن ها هنا افترقوا ثلاث **الإبراهيمية ، والميمونية ، والواقفية ·**

وظهر بعدهم قوم آخرون يقال لهم **البيهسية** أصحاب أبى بيهس هصيم بن عامر[2] وهؤلاء يقولون أن ميمونا كفر بقوله : إن بيع تلك الجارية من كفار يكونون فى ديار التقية حرام ، وكفروا الواقفية أيضًا لتوقفهم فى كفر ميمون ، وكفروا إبراهيم لتبريه من هؤلاء **الواقفية** ·

ثم قالت **البيهسية** : لا يطلق على المذنب أنه كافر أو مؤمن حتى يدفع إلى السلطان ويقيم عليه الحد · وقال بعضهم : متى ما كفر الإمام كفر رعيته أيضًا · وقال قوم منهم أن السكر كفر إذا كان معه ترك الصلاة ·

الفرقة السابعة : منهم **الشبيبية** وهم اتباع شبيب بن يزيد الشيبانى[3] وكان كنيته أبو الصحارى : وقد تسمى هذه الفرقة **صالحية** لانتسابهم إلى رجل اسمه صالح بن مسرح التميمى الخارجى[4] وكان شبيب هـذا من أصحابه وصار بعده واليًا على عسكره ، وكان خروجه فى أيام الحجاج وخالف صالحًا فى تجويز إمامة النساء إذا قمن بأمر الرعية كما ينبغى وخرجن على مخالفيهم · وكان أتباعه يقولون : أن غزالة أم شبيب كانت هى الإمام بعد شبيب إلى أن قتلت ·

وكان السبب فى قولهم بإمامة أم شبيب أن شبيبًا لما دخل الكوفة أمر أمه حتى صعدت منبر الكوفة وخطبت ، وكان من قصة شبيب فى أول أمره أنه قصد بالشام روح بن زنباع[5] ونزل عنده والتمس منه أن يسأل أمير المؤمنين حتى يجعل عطاءه

---

(١) هو ابن عمران كما فى شرح المواقف ، والمقريزى · وفى الشهرستانى ابن خالد ·

(٢) كان فى زمن الحجاج وقتل فى المدينة ·

(٣) هو من قواد صالح بن مسرح وإليه تنسب الشبيبية من الخوارج مات غريقًا سنة ٧٧هـ

(٤) هو من متقشفى الصفرية بالموصل قتله الحارث بن عميرة أحد قواد الحجاج سنة ٧٦هـ وخلفه شبيب ·

(٥) هو أمير فلسطين كان ذا منزلة عند عبد الملك بن مروان توفى سنة ٨٤ هـ ·

مساويًا لعطاء أهل الشرف ، فسأله ذلك . فقال عبد الملك بن مروان : هذا رجل لا أعرفه . فقال شبيب يوشك أن يعرفني . وجمع الصالحية من الخوارج مع أصحابه من بني شيبان وغلب على حد كسكراى المداين فبعث الحجاج إليه ألف فارس فهزمهم فبعث إليه ألفين فهزمهم وكان لا يزال يزيد في العساكر يبعثهم إليه وهو يهزمهم حتى هزم عشرين جيشًا من عساكره في مدة سنتين . ثم هجم على الكوفة بالليل مع ألف فارس من الخوارج ، وكانت معه أمه غزالة وامرأته جهيزة مع مئة وخمسين امرأة ، فتقلدن السيوف ، واعتقلن الرماح ، فقتل حراس الكوفة ، وأمر أمه حتى صعدت المنبر وخطبت فقال خزيمة ابن فاتك الأسدي[1] في وصف تلك الحالة :

أقامت غزالة سوق الضراب   لأهل العراقيين حولا قميطا

سمت للعراقين في جندها   فلاقى العراقان منها اطيطا

وصبر الحجاج تلك الليلة في داره حتى اجتمع جنده لوقت الصبح وصلى في مسجد الكوفة صلاة الصبح بجنده ، وقرأ في الصلاة سورة البقرة ، وآل عمران . فقصد الحجاج بأربعة آلاف فارس ، والتحم القتال بينهما في سوق الكوفة حتى قتل أكثر أصحاب شبيب ، وفر مع من بقي من أصحابه ، وانحاز إلى ناحية الأنبار . وخرج الحجاج على أثره فانهزم إلى ناحية الأهواز فبعث الحجاج على أثره سفيان بن الأبرد[2] مع ثلاثة آلاف من المقاتلة فلحقوه في موضع يقال له دجيل ، فقصد شبيب أن يعبر جسر دجيل[3] فأمر سفيان قومه أن يقطعوا حبال الجسر ففعلوا فانقلب الجسر وغرق شبيب وهو يقول : ﴿ ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيم ﴾[4] .

ثم أمر سفيان بإعادة الجسر وعبره وقصد من بقي من أصحابه ، وكانوا قد بايعوا أم شبيب فلم يزل بهم حتى قتل أكثرهم . وقتل أم شبيب وأمر الغواصين حتى أخرجوا شبيبًا من الماء ، وبعث برأسه وبمن كان قد أسر من أصحابه إلى الحجاج . قال بعض أولئك الأسراء اسمع مني بيتين اختم بهما عملي وأنشأ يقول :

---

(١) من رجال الأغاني .

(٢) هو من قواد الحجاج .

(٣) يعني دجيل أهواز وكان غرق شبيب سنة ٧٧ هـ ويحكى حكاية أخرى في سبب غرقه ولا شأن لنا بها .

(٤) سورة ياسين ٣٨ .

أبرأ إلى الله من عمرو وشيعته ومن على ومن أصحاب صفين

ومن معاوية الطاغى وشـيعته لا بارك الله فى القوم الملاعين

فأمر الحجاج بقتله ، وقتل جماعة من أولئك الأسراء . هذه جملة فرق الخوارج وبلغ ما ليس بمتداخل من أقاويلهم عشرين مقالة فهم إذًا عشرون فرقة كما سطرناه فى أول الكتاب ، ومن عجائب حال الخوارج أنهم خرجوا على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وقالوا : لم خرجت من بيتها والله تعالى يقول: ﴿ وَقَرْنَ فى بُيُوتكُنَّ ﴾[1] ثم صاروا تبعًا لغزالة ، وجهيزة[2] ، وجوزوا إمامتهما ، فهلا تلوا هذا الآية عليهما ومنعوهما من الفتنة غير أن الخذلان لا قياس عليه ﴿ وَاللهُ يَهدى من يَشَاء إلى صراطٍ مستقيم ﴾[3] .

* * *

(١) سورة الأحزاب ٣٣ .

(٢) كانت من سبى الروم .

(٣) سورة البقرة ٢١٣ .

الباب الخامس

فى تفصيل مقالات المعتزلة القدرية وبيان فضائحهم

قد بينا قبل أنهم ينقسمون إلى عشرين فرقة . فمما اتفق عليه جميعهم من مساوى فضائحهم نفيهم صفات البارى[1] جل جلاله حتى قالوا : أنه ليس له سبحانه علم ، ولا قدرة ، ولا حياة ، ولا سمع ، ولا بصر ، ولا بقاء ، وأنه لم يكن له فى الأزل كلام ، ولا إرادة ، ولم يكن له فى الأزل اسم ، ولا صفة ، لأن الصفة عندهم هو وصف الواصف ، ولم يكن فى الأزل واصف . والاسم عندهم التسمية . ولم يكن فى الأزل مسمى . إذ لم يكن له كلام فى الأزل عندهم وهذا يوجب أن لا يكون لمعبودهم اسم ولا صفة ، هذا قولهم فى صانع العالم وبديهة العقل تقتضى فساده لإحاطة العلم باستحالة كون من لا علم له ، ولا قدرة له ، ولا سمع له ، ولا بصر له ، صانعًا للعالم ، ومدبرًا للخليقة ، ومما اتفق جميعهم غير الصالحى من فضائحهم قولهم : ان المعدوم شىء حتى قالوا : أن الجوهر قبل وجوده جوهر والعرض عرض ، والسواد سواد ، والبياض بياض ، ويقولون : إن هذه الصفات كلها متحققة قبل الوجود . وإذا وجد لم يزدد فى صفاته شىء . بل هو الجوهر والعرض ، والسواد فى حال الوجود على حقائقها المتحققة فى حال العدم ، وهذا منهم تصريح بقدم العالم . ومن كان قوله فى الصانع على ما وصفناه ، وفى الصفة عليمًا ذكرناه ، لم يبق له اعتقاد صحيح ، ولم يكن دعواه فى التلبس بالديانة إلا تلبيسًا منه على أهل الديانة ليسلم من سيوف المسلمين المسلطة عليهم إلى يوم القيامة .

ومما اتفقوا عليه من فضائحهم قولهم : إن الله تعالى لا يرى ، وأنه لا يرى نفسه . وقال كثير منهم أنه لا يرى شيئًا ولا يبصر بحال ، وليس معبودهم على هذا

---

(١) والقول الفصل فى هذا ورود إطلاق المشتقات عليه تعالى ، ولا يعقل ذلك بدون ثبوت مبدأ الاشتقاق له سبحانه وإنكار إطلاق الأسماء الحسنى عليه تعالى يكون كفرًا لكن لا يوجد من ينكر ذلك بين فرق المسلمين سوى جهم . ومبدأ الاشتقاق أمر نسبى لا يوجد من ينفيه . ولذا قال القاضى عضد الدين فى المواقف : (لا ثبت فى غير الإضافة) وهذا يحد من نزاع القوم . والزامات المصنف على المعتزلة أشد من صنيع شيخه عبد القاهر الذى يقول عنه بعض الباحثين أنه جارى فى ذلك (فضيحة المعتزلة) للراوندى كما يظهر من انتصار الخياط .

القول إلا كما نهى إبراهيم الخليل عليه السلام أباه عن عبادته حين قال : ﴿ إِذْ قَالَ لأبيهِ يا أَبَتِ لِمَ تَعْبدُ ما لا يَسْمَعُ ولا يُبصِر ولا يُغنى عَنْكَ شيئًا ﴾[1] .

ومما اتفقوا عليه من فضائحهم قولهم : إن كلام الله تعالى مخلوق له يخلق لنفسه كلامًا فى جسم من الأجسام فيكون فيه متكلمًا ، وأنه لم يكن متكلمًا قبل أن خلق لنفسه كلامًا ، ليت شعرى كيف يكون كلام المتكلم مسموعًا من غيره ، ولو كان الأمر على ما قالوه لكان الأمر والنهى والشرع لذلك الجسم الذى خلق فيه الكلام ، وذلك خلاف قوله تعالى: ﴿ إنَّما قَولُنا لِشَىء إذا أَرَدْناهُ أن نَقُول لَهُ كُنْ فَيَكُون ﴾[2] . وزعموا أن الكلام هو المكتوب فى الصحف والمقروء بالألسنة غير الكلام الذى نزل به جبريل على المصطفى عليهما الصلاة والسلام بل كان ذلك عرضًا معلومًا ، وهذا الذى يتلى ويكتب عرض آخر وجد متجددًا وهذا خلاف قول الأمة قبلهم .

ومما اتفقوا عليه قولهم : أن افعال العباد مخلوقة لهم ، وأن كل واحد منهم ومن جملة الحيوانات كالبقة ، والبعوض ، والنملة ، والنحلة ، والدودة ، والسمكة ، خالق[3] خلق أفعاله . وليس البارى خالقًا لأفعالهم ولا قادر على شىء من أعمالهم ، وأنه قط لا يقدر على شىء مما يفعله الحيوانات كلها . ففعل الذباب ، والبقة ، والجراد ، أفعالاً هى خالقة لها ، وليس البارى سبحانه قادرًا عليها ، فأثبتوا خالقين لا يحصون ولا يحصرون ، حتى أن مذبة لو تحركت على دن من الخل تطاير عنها أكثر من ألف خالق أو قريبًا منها . وقد فارقوا بهذه المقالة لسان الأمة ، فإن الأمة كلهم قبلهم كانوا يقولون لا خالق إلا الله كما يقولون لا إله إلا الله ، وخالفوا بهذا أيضًا قوله سبحانه وتعالى : ﴿ أمْ جَعَلوا للهِ شُركاء خَلقوا كَخَلْقِه فَتَشابه الخَلْقُ

---

(1) سورة مريم ٤٢ .

(2) سورة النحل ٤٠ .

(3) وأول من ابتدع نسبة الخلق إلى المخلوق هو الجبائى من بين المعتزلة وتشغيباته فى ذلك معروفة . وقال المسعودى فى بيان مذهبهم فى أفعال العباد : أنه تعالى لم يكلفهم ما لا يطيقونه ولا أراد منهم ما لا يقدرون عليه وإن أحدًا لا يقدر على قبض ولا بسط إلا بقدرة الله التى أعطاهم إياها وهو الملك لها دونهم يفنيها إذا شاء ولو شاء لجبر الخلق على طاعته ومنعهم اضطراريًا عن معصيته ولكان على ذلك قادرًا غير أنه لا يفعل إذ كان فى ذلك رفع للمحنة وإزالة للبلوى أ هـ .

عَلَيهم قُلِ اللهُ خَالقُ كلِّ شيءٍ وَهُو الواحِدُ القهَّار ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ فأرونى مَاذا خَلَقَ الذينَ مِنْ دُونه ﴾[2] فلو كان لغيره خلق على الحقيقة لبطل تحقيق هذه المطالبة ، ولم يكن لهذا الإنكار عليهم حقيقة .

ومما قالوا ، أن أفعال الحيونات خارجة من قدرة الله تعالى ولم يوجبوا تخصيصاً فى وصف كونه قادراً فقد مهدوا بذلك طريق القول بالتثنية كما بيناه « فى الأوسط » .

ومما اتفقوا عليه من فضائحهم قولهم : أن حال الفاسق الملى منزلة بين منزلتين ، لا هو مؤمن ، ولا هو كافر ، وإنه إن خرج من الدنيا قبل ان يتوب يكون خالداً مخلداً فى النار مع جملة الكفار ، ولا يجوز لله تعالى أن يغفر له أو يرحمه ، ولو أنه رحمه وغفر له يخرج من الحكمة وسقط من منزلة الآلهية بغفران الشرك به . قال تعالى : ﴿ إنَّ اللهَ لا يَغفرَ أنْ يُشركَ به ويغفر ما دُونَ ذَلكَ لِمَنْ يَشاء ﴾[3] يرد قولهم هذا قوله تعالى : ﴿ قُلْ يا عبادى الَّذينَ أسرفوا على أنفُسِهم لا تَقْنطوا مِن رَحمة الله إن الله يَغفرُ الذُنوبَ جَميعاً إنه هُوَ الغَفُورُ الرحيم ﴾[4] . وقوله تعالى : ﴿ إنهُ لا ييْأس مِن رُوحِ الله إلا القَوم الكافِرون ﴾[5] . وليت شعرى كيف حجروا على الله فى مقدوره وحظروا عليه التصرف فى مطلق ملكه ، وكيف منعوه العفو فيما يثبت له فى عبده من حقه .

ومما اتفقوا عليه من مساوىء مقالاتهم قولهم : أن الله تعالى لم يرد أن يكون الزنا ، واللواط ، والقتل ، ومعصية العصاة ، وكفر الكافرين ، وجميع الفواحش قبيحة مذمومة . وهذا يوجب أن تكون جميعها مرضية حسنة ، أو يكون عن جميعها غافلاً ساهيًا ، وهذا خلاف قوله تعالى : ﴿ ومَا تَشاءوُن إلاّ أن يَشَاء اللهُ إن اللهَ كَانَ عَليمًا حكيمًا ﴾[6] . وخلاف قوله تعالى : ﴿ لا تَأخُذُه سِنَةٌ ولا نَوْم ﴾[7] وخلاف ما اتفق عليه العقلاء من أن من لم يرد أن يكون القبيح قبيحًا والمذموم مذمومًا ولم يرد أن يكون كفر الكافرين ، ومعصية العصاة ، وظلم الظالمين ، وزنا الزناة ، مذمومة غير مرضية كان فى السفه والجاً ، وعن حكم الحكمة خارجًا .

---

(1) سورة الرعد ١٦ .
(2) سورة لقمان ١١ .
(3) سورة النساء ٤٨ .
(4) سورة الزمر ٥٣ .
(5) سورة يوسف ٨٧ .
(6) سورة الإنسان ٣٠ .
(7) سورة البقرة ٢٥٥ .

ومما اتفقوا عليه من فضائحهم قولهم : إن كثيراً من الأشياء تجب على العبد من غير أن يكون من أمر الله تعالى فيه أمر · مثل النظر ، والاستدلال ، وشكر المنعم ؛ وترك الكفر والكفران ، ثم يقولون : إن هذا العبد إذا أتى بهذه الأشياء على قضية عقله دون أمر ربه سبحانه وجب على الله تعالى أن يثيبه من غير أن يكون من قبله فيه أمر ، أو خبر ، أو وعد ، أو وعيد ، أو تكليف · ثم إذا أتى به وجب على العبد شكره ، فإذا شكره وجب[1] على الله ثوابه ، وهكذا يدور الأمر بين العبد والرب · وهذا يوجب أن لا يتمكن الرب - على قولهم - من أن يخرج الرب من واجبات العبد · تعالى الله عن قولهم · من غير أن يكون عليه تكليف أو شريعة مرتبة عليه · وعلى قياس هذا يكون كل واحد منهما مؤديًا للواجب ولا يكون لأحدهما فضل على الآخر · وزادوا على هذا فقالوا : إذا خلق الله شيئًا من الجماد وجب عليه أن يخلق حيًا ، وأن يتم عقله حتى يستدل ويعتبر ويستحق الثواب بأداء المستحق ، ومن قضى واجبًا لم يستحق عليه شيئًا كمن يقضى دينًا لم يستحق على صاحبه فضلاً على هذا فقالوا : إن كل ما يناله العبد من ربه من النعم فإنما يناله باستحقاق منه ، لا بفضل من الله تعالى ·

فاستنكفوا من أن يروا لله تعالى فضلاً على أنفسهم وقالوا : إن اسنى المنازل منزلة الاستحقاق ·

ومما اتفقوا عليه من فضائحهم قولهم : أن العبد لا يحصل له صفة الإيمان حتى يعلم جميع ما هو شرط فى اعتقادهم، ويبلغ فى معرفته درجة علمائهم كأبى الهذيل ، والنظام ، وغيرهما ، ويقدر فيه على تقرير الدلالة ويتمكن من المناظرة والمجادلة ، ومن لم يبلغ تلك الدرجة كان كافراً لا يحكم له بالإيمان ولهذا حكموا بالكفر على جميع عوام المسلمين · ولذلك زعموا أن علماء مخالفيهم كفرة كلهم ، وكفر كل فريق منهم جميع فرقهم · وهذا يوجب أن لا يكون عند كل واحد منهم مؤمن سواه ؛ وأن يكون منفرداً بدخول الجنة مع ما ورد من الأخبار فى كثرة أهل الجنة ، ولأجل هذه المقالة قال علماء أهل الحق وأئمتهم أن المعتزلى بالتقليد كافراً بالإجماع ·

ثم زادوا على هذا ما هو افضح منه فانكروا من مفاخر رسول الله ﷺ ما كان مختصًا به زائداً على الأنبياء كوجود المعراج ، وثبوت الشفاعة له يوم القيامة ،

---

(١) وأين الوجوب على الله من الوجوب عن الله الذى يقول به الماتريدية ؟ ·

ووجود حوض الكوثر ، وانكروا ما ورد فى هذه الأبواب من الآثار والأخبار وانكروا عذاب[1] القبر أيضًا وانكروا قول عمر : إنى اعـوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر ، مع اتفاق أهل النقل على رواية هذا الخبر على الاستفاضة · وقول جميع المسلمين : ﴿ ومنْهم مَن يَقُول ربَّنا آتنا فى الدنُيا حَسَنةً وفى الآخرة حَسَنة وقنا عذابَ النار ﴾[2] وفى عذاب القبر قد بلغتَ الأخبار حد التواتر فى المعنى وإن كان كل واحد منها لم يبلغ حد التواتر فى اللفظ · فانكروا ما فى ذلك من نصوص القرآن كقوله تعالى فى صفة آل فرعون : ﴿ النار يعرضـون عليهـا غدوًا وعشيًا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾[3] واعلم أن ما ذكرناه من فضائحهـم مما يعم جميعهم واتفقت عليه كلمتهم ونذكر بعد هذا ما اختص به كل واحد من فرقهم من المخازى والفضائح إن شاء الله عز وجل · وقد ذكرنا أنهم ينقسمون إلى عشرين فرقة ·

الفرقة الأولى : منهم **الواصلية** اتباع واصل بن عطاء الغزال وهو رأس المعتزلة وأول من دعا الخلق إلى بدعتهم وذلك أن معبدًا الجهنى[4] ، وغيلان الدمشقى كانا يضمران بدعة القدرية ويخفيانها عن الناس ولما أظهرا ذلك فى أيام الصحابة لم يتابعهما على ذلك أحد وصارا مهجورين بين الناس ولما أظهرا ذلك السبب إلى أيام الحسن البصرى · وكان واصل فى غرار من القولين يختلف إليه الناس وكان فى السر يضمر اعتقاد معبد ، وغيلان وكان يقول بالقدر والمسلمون كانوا فى فساق أهل الملة على قولين · فكانت الصحابة والتابعون وجميع أهل السنة يقولون أنهم مؤمنون موحدون بما معهم من الاعتقاد الصحيح ، فاسقون عصاة بما يقدمون عليه من المعصية وأن أفعالهم بالأعضاء والجوارح لا تنافى إيمانًا فى قلوبهم ، وكان الخوارج يقولون

---

(١) حديث أم سلمة فى الاستعـاذة من عذاب القبر أخرجه الطبرانى مرفوعًا فى الأوسط ، ويسعى المقبلى جهده فى « العلم الشامخ » فى تبرئتهم من انكار عذاب القبر ·

(٢) سورة البقرة ٢٠١ ·

(٣) سورة غافر ٤٦ ·

(٤) قال اللالكائى فى شرح السنة : أخبرنا عبد الله بن عبيد · ثنا أحمد بن سليمان · ثنا جعفر بن محمد ومحمد بن اسماعيل قالا ثنا صفوان بن صالح · ثنا عمرو بن شعيب · قال سمعت الأوزاعى يقول : أن أول من نطق فى القدر رجل من أهل العراق يقال له سوسن كان نصرانيًا فأسلم ثم تنصر فأخذ عنه معبد الجهنى وأخذ غيلان عن معبد ·

أنهم كفرة مخلدون فى النار مع الكفار ٠ فخالف واصل القولين وقال ان الفاسق لا مؤمن ولا كافر وأنه فى منزلة بين المنزلتين ٠

وحكمهم فى الآخرة أنهم مخلدون فى النار مع الكفار وأن من خرج منهم من الدنيا قبل أن يتوب لم يجز لله تعالى أن يغفر له فخالف فى هذا القول جميع المسلمين واعتزل به دين المسلمين فطرده الحسن البصرى من مجلسه فاعتزل جانبًا مع اتباعه فسموا معتزلة لاعتزالهم مجلسه واعتزالهم قول المسلمين[١] ولما أظهر واصل هذه البدعة واعتزل جانبًا وافقه عمرو بن عبيد على هذه البدعة ، ولم يقدرا على اظهار قولهما ٠ فلما عرف الناس من واصل قوله بالقدر وكانوا يكفرونه بالقول الأول الذى ابتدعه فى فساق أهل الملة كانوا يضربون به المثل ويقولون : مع كفره قدرى ٠ فصار ذلك مثلا سائرًا بين الناس يضربونه لكل من جمع بين خصلتين فاسدتين ٠ وكان قوله موافقًا لقول الخوارج فى تخليد العصاة فى النار مخالفًا لهم فى القول بمنزلة بين المنزلتين ٠ والمعتزلة بعده تمسكوا بهذا القول ولهذا قيل فى المعتزلة أنهم مخانيث الخوارج ونسبهم اسحاق بن سويد[٢] إلى الخوارج فى شعره فقال :

برئت من الخوارج لست منهم ⁂ من الغزال منهم وابن باب
ومن قوم إذا ذكروا عليًا ⁂ يردون السلام على السحاب

ثم احدث واصل بدعة ثالثة وذلك أن المسلمين كانوا فى على وأصحابه وفى أصحاب الجمل الذين كانت فيهم عائشة وطلحة[٣] والزبير على قولين ٠ فكانت الخوارج تقول : أن عائشة وطلحة والزبير كفروا بمقاتلتهم عليًا وكان على يومئذ على

---

(١) هذا أوضح من قول شيخه ويروى المقريزى فى تسميتهم بهذا أقوالاً ٠ منها قول الحسن (هؤلاء اعتزلوا) ومنها ان قتادة هو الذى سماهم معتزلة بعد وفاة الحسن وهذا خلاف ما فى ابن خلكان ٠ ومنها قول ابن منبه (اعتزل عمرو بن عبيد وأصحاب له الحسن فسموا المعتزلة ومثله فى أنساب السمعانى ، وذكر المسعودى أن تسميتهم معتزلة لقولهم باعتزال الفاسق عن منزلتى المؤمن والكافر أ هـ ٠ والمشهور عندهم أن واصلاً أخذ الاعتزال عن أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وسبق قول أبى الحسين الملطى فى نشأتهم ولولا أنهم كانوا يسمون أنفسهم بهذا الاسم لما قال عبد الجبار ما نقله الرازى عنه ٠

(٢) شاعر معروف ٠

(٣) هو ابن عبيد الله القرشى ﷺ أحد العشرة المبشرة قتله مروان بن الحكم سنة ٣٦ يوم الجمل ٠

الحق ولكنه كفر بعد ذلك بالتحكيم . وكان الباقون من الأمة يقولون : إن فريقى حرب الجمل كانوا مؤمنين مسلمين ، ولكن الحق كان مع على ﷺ ، والآخرون كانوا على خطأ اجتهاد لا يلزم به الكفر ، ولا الفسق ، ولا التبرى والعداوة . ثم إن واصل بن عطاء خالف الفريقين وزعم أن فريقى حرب الجمل كانوا فساقًا لا بعينه ، ورتب على هذا فقال : لو شهد عندى رجلان من هذا العسكر ورجل من ذلك العسكر لم أقبل ، فقيل له شهد من هـذا العسكر على ، والحسن ، والحسين ، وابن عباس ، وعمار بن ياسر[١] ﷺ . ومن ذلك العسكر عائشة ، وطلحة ، والزبير[٢] ، هل تقبل شهادتهم ؟ فقال : لو شهدوا جميعهم على باقة بقل لم أقبل . هذا قول شيخ المعتزلة الذى به يفتخرون فى أعلام الدين وأعيان الصحابة ، وليس العجب من المعتزلة حين بايعوه وافتخروا به وبقوله بل العجب من الروافض حين افتخروا بقوله وانتحلوا مذهبه ، وهذا قوله فى على وأصحابه ، وكيف يوالون عليًا وأولاده ، ويذهبون إلى مذهب هذا الشيخ الضال الذى يقول فى أولاده ما ذكرناه .

الفرقة الثانية : منهم **العمرية** وهم اتباع عمرو بن عبيد بنى تميم ، وكان يوافق واصلا فيما ذكرنا من بدعته وزاد عليه أن قال : كلا الفريقين من أصحاب حرب الجمل فسقوا وهم خالدون مخلدون فى النار وهؤلاء لا يقبلون شهادة واحد من فريقى حرب الجمل .

الفرقة الثالثة : منهم **الهذلية** ، وهم اتباع أبى الهذيل[٣] محمد بن الهذيل المعروف بالعلاف وكان من موالى عبد القيس ، وله فضائح كثيرة فيما أحدثه من البدع حتى كفر بتلك البدع جميع الأمة ، وكفر أيضًا سائر المعتزلة ، وصنف المردار من المعتزلة كتابًا فى تكفير أبى الهذيل ، وكذا الجبائى ، وذكروا فى تصنيفيهما أن قوله يؤدى إلى قول الدهرية .

---

(١) صحابى جليل قتلته الفئة الباغية يوم صفين سنة ٣٧ هـ ﷺ .

(٢) هو ابن العوام ﷺ أحد العشرة المبشرة قتله ابن جرموز غدراً سنة ٣٦ هـ .

(٣) قال المسعودى : توفى سنة ٢٢٧ هـ ، وفى عيون التواريخ أنه توفى سنة ٢٣٥ عن مئة سنة بعد وفاة النظام بنحو خمس سنين ، ويحاول أبو الحسين الخياط تبرئته من كثير مما يرميه به الراوندى فى « فضيحة المعتزلة » ويقول أبو الحسين الملطى : وأبو الهذيل هذا لم يدرك فى أهل الجدل مثله .

فمن جملة فضائحه قوله بتناهي مقدورات الباري جل جلاله حتى إذا انتهت مقدوراته لا يقدر على شيء . قال : وإذا دخل ذلك الوقت فنى نعيم أهل الجنة ، وعذاب أهل النار ، حتى لا يقدر الباري سبحانه وتعالى عندهم على أن يزيد في نعيم أهل الجنة ذرة ، ولا أن يزيد في عذاب أهل النار ذرة وتفنى قدرة أهل الجنة حتى لو كان قد مد واحد من أهل الجنة يده إلى شيء من ثمارها ودخل تلك الحالة لم يقدر الباري تعالى أن يوصل تلك الثمرة إلى يده ، ولا على أن يقدر العبد على أن يوصل يده إليها . وأهل الجنة كلهم يبقون همودًا ، جمودًا ، ساكنين ، لا يقدرون على حركة ، ولا على نطق وينقطع عذاب أهل النار في ذلك الوقت . وهذا قول منه يبطل الرغبة والرهبة ، ويهدم فائدة الوعد والوعيد ، ولئن قصد بعض أصحابه أن يستر عليه هذه الفضيحة ، ويخفي هذه البدعة لم يمكنه . لأنه ذكرها في تصانيف له مثل كتاب « الحجج » وغيره من الكتب التي صنفها على الدهرية وطرقهم بهذه المقالة إلى تمهيد إلحاد الدهرية وطول لسانهم على المسلمين بارتكابهم هذه البدعة .

ومن فضائحه قوله : بطاعة لا يراد بها الله تعالى وركب على هذه البدعة فقال : ليس في الدينا زنديق ولا دهري إلا وهو قطب لله تعالى في كثير من الأشياء ، ولم يكن له قصد التقرب إلى الله عز وجل لأنه لا يعذبه .

ومن فضائحه قوله : بأن علم الباري هو هو ، وقدرته هي هو ، ولو كان كما قاله لم يكن عالمًا ، ولا قادرًا ، ولكن علمه قدرته ، وقدرته علمه ، وكان لا يتحقق الفرق بينهما إذا كانا يرجعان إلى ذات واحدة .

ومن فضائحه قوله : في أن كلام الله تعالى ما هو إلا عرض لا في محل . ولو جاز هذا لجاز أن يكون سائر الأعراض لا في محل ، ولكن ما لا محل له يكون متكلمًا به لا هو ولا غيره ، ولا يمكنه أن يقول أن فاعل الكلام هو المتكلم به ، لأن كلام أهل الجنة وأهل النار وجميع أفعالهم مخلوقة له تعالى في الآخرة ، فلا يمكنه أن يقول أنه متكلم بكلامهم ، وله من الفضائح ما لا يحتمل هذا المختصر بيانه .

الفرقة الرابعة : فيهم **النظامية** اتباع أبي اسحاق إبراهيم بن سيار الذي كان يلقب بالنظام[1] ؛ والمعتزلة يقولون : إنما سمي نظامًا لأنه كان حسن الكلام في النظم والنثر ، وليس كذلك وإنما سمي به لأنه كان ينظم الخرز في سوق البصرة ويبيعها ،

---

(١) هو ابن أخت أبي الهذيل وعنه أخذ الاعتزال يعد من أذكياء المعتزلة إلا أنه ظنين متهم كثير الوقيعة في أهل الحديث ، أول من نفى القياس والإجماع وبتشغيباته فيهما انخدع الخوارج ، والظاهرية ، والشيعة ، توفي في حدود سنة ٢٣١ هـ .

وكان فى حداثة سنه يصحب الثنوية والسمنية الذين يقولون بتكافىء الأدلة ، وفى حال كهوليته كان يصحب ملحدة الفلاسفة ، وكان قد أخذ منهم قولهم بأن أجزاء الجزء لا تتناهى ، ولا يزال يمكن أن يفصل من الخردلة الواحدة شيئًا بعد شيء ، ما لا ينتهى إلى جزء واحد لا جزء له ، ولزمه على هذا قدم العالم · وهذا ركوب منه ما ما لا يقبله عقل اصلاً · إذ لو كان يمكن أن يفصل من الخردلة من الأجزاء ما لا يتناهى وكان ممكنًا ذلك فى الجبل العظيم بطل الفرق بينهما ، ولا يمكنه أن يعتذر عنه بأن الأجزاء المفصولة من الجبل تكون اعظم من المفصولة من الخردلة ، لأن الخردلة اذا كان يمكن أن يفصل عنها ما لا يتناهى فلا يزال يفصل منها ويجمع حتى يتركب ويتراكم ويصير مثل الجبل وأضعافه ، وكلمه ابو الهذيل فى هذه المسألة فقال : لو كان كل جزء من الجسم لا نهاية له لكانت النملة إذا دبت على البقلة لا تنتهى إلى طرفها ، فقال : إنها تطفر بعضًا ، وتقطع بعضًا ، وهذا منه كلام لا يقبله عقول العقلاء · لأن ما لا يتناهى كيف يمكن قطعه بالطفرة ، فصار قوله هذا مثلاً سائرًا يضرب لكل من تكلم بكلام لا تحقيق له ولا يتقرر فى العقل معناه ·

ومن فضائحه قوله : يجب على الله تعالى أن يفعل بالعبد ما فيه صلاح العبد ، لأنه لو لم يفعل به ما فيه صلاحه لكان قد بخل عليه · وركب على هذا فقال : كل ما فعله الله بالكفار فهو صلاحهم، ولم يكن فى مقدوره أصلح مما فعل ·

وقد بينا نحن أن الوجوب على الله تعالى محال ، وكل عاقل يعلم ان الكافر لا صلاح له فى كفره ، ولا ما يحل به من تبعات فعله ، فعلى هذا يجب أن يكون حجة الله منقطعة حتى لا يكون له على عبيده حجة ، ويصور ذلك فى ثلاثة ولدوا دفعة واحدة بطنًا واحدًا ؛ فأمات الله أحدهم في حال الطفولية ، وبلغ منهم أثنان فكفر أحدهما ، وآمن آخر ، فيدخل الله يوم القيامة فى الجنة من مات فى حال الطفولية ، ولا يبلغه منها الدرجة العظيمة ، ويدخل الذى آمن الجنة ويعطيه الدرجة العظيمة ، ويدخل الذى كفر النار · فيقول الطفل الذى مات فى صغره : لم لم تبلغنى درجة الذى آمن بعد البلوغ ؟ فيقول له : لأنه آمن وأنت لم تؤمن · فيقول الذى مات طفلاً : هلا بلغتنى حال البلوغ حتى كنت أؤمن بك كما آمن هو ؟ فيقول الله تعالى له : لم أبلغك حال البلوغ لأنى علمت أنك لو بقيت لكفرت فاخترمتك قبل البلوغ لأن صلاحك كان فيه حتى سلمت من النار · فإذا سمع الذى فى النار هذا الكلام

يقول : فلم لم تخترمنى قبل البلوغ حتى كنت أسلم من النار ، وكان يكون فيه صلاحى فنعوذ بالله من مذهب يؤدى إلى مثل هذه[1] الرذيلة .

ومن فضائحه قوله : فى القرآن أنه لا معجزة فى نظمه وكان ينكر سائر المعجزات مثل انشقاق القمر ، وإن كان قد نطق به القرآن فى قوله : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وانْشَقَّ القمر ﴾[2] وكذلك كان ينكر تسبيح الحصا فى يده ، ونبوع الماء من بين أصابعه ، وكان فى الباطن يميل إلى مذهب البراهمة الذين ينكرون جميع الأنبياء ، فتكلم بهذين المذهبين اللذين يبطل أحدهما حدث العالم ، والآخر يبطل ثبوت النبوة ، وكان لا يقدر على إظهار ما كان يضمره من الإلحاد ، وكان لا يعجبه أن يقبل كلف العبادات ، وكان يقول : إن الإجماع ليس بحجة ، والخبر المتواتر ليس بحجة . وكان يرد على الصحابة جميع ما تكلموا فيه واتفقوا عليه ، وكان سيرته الفسق والفجور ، فلا جرم كان عاقبته أنه مات سكران وكان قد قال صفة حاله :

ما زلت آخذ روح الزق فى لطف　　واستبيح دمًا من غيـــر مذبوح
حتى انثنيت ولى روحان فى بدن　　والزق مطروح جسم بلا روح

وكان آخر كلامه وما ختم به عمره أنه كان يده فى القزح وهو على علية فأنشأ يقول :

اشرب على طرب وقـل لمهـــدد　　هون عليك يكون ما هو كائن

فلما تكلم بهذا الكلام سقط من تلك العلية ومات بإذن الله تعالى[3] . وفرق الإسلام كلهم يكفرونه ، وأسلاف المعتزلة أيضًا يكفرونه وكفره ابو الهذيل فى كتاب « الأعراض » وصنف الإسكافى منهم كتابًا فى تكفيره ، وصنف جعفر بن حرب أيضًا

(١) ونقل الفخر الرازى عن أبى الحسين البصرى معارضة طويلة فى تفسيره ، استغنينا بالإشارة عن نقلها .　　(٢) سورة القمر ١ .

(٣) وفى انتصار أبى الحسين الخياط :ولقد أخبرنى عدة من أصحابنا أن إبراهيم - يعنى النظام - قال وهو يجود بنفسه : اللهم إن كنت تعلم أنى كنت تعلم أنى لم أقصر فى نصرة توحيدك ولم أعتقد مذهبًا من المذاهب اللطيفة إلا لأشد به التوحيد فما كان منها يخالف التوحيد فأنا برىء منه . اللهم فإن كنت تعلم أنى كما وصفت فاغفر لى ذنوبى وسهل على سكرة الموت . قالوا فمات من ساعته أ هـ . والبون بين الحكايتين شاسع والله من ورائهم محيط . وكانت وفاة النظام فى حدود سنة ٢٢١ هـ ، وفى تاريخ الصلاح الكتبى بعض توسع فى ترجمته وذكر أنه كان ابن أخت أبى الهذيل العلاف .

فى تكفيره ، فمن وقف من حاله على هذا القدر الذى وصفناه استغنى به عن ذكر سائر فضائحه ، ونسأل الله تعالى العصمة من كل بدعة ·

الفرقة الخامسة : منهم **الاسوارية** وهم أتباع على الاسوارى[1] وكان من أتباع النظام موافقًا له فى جميع ما ذكرناه من فضائحه وضلالاته ، وزاد عليه بأن قال : إن ما علم الله تعالى أن لا يكون لم يكن مقدوراً لله تعالى · وهذا القول منه يوجب أن تكون قدرة الله تعالى متناهية ، ومن كانت قدرته متناهية كانت ذاته متناهية ، والقول به كفر من قائله ·

الفرقة السادسة : منهم **المعمرية** اتباع معمر بن[2] عباد وكان رأسًا من رؤوس الضلال والإلحاد وكان يقول : إن الله تعالى لم يخلق من الأعراض من لون ، أو كون ، أو طعم ، أو رائحة ، أو حياة ، أو موت ، أو سمع ، أو بصر ، وأنه لم يخلق شيئًا من صفات الأجسام · وهذا خلاف قوله تعالى : ﴿ قُلِ اللهُ خَالِقَ كُل شىء وَهُو الواحد القَهار ﴾[3] وخلاف قوله تعالى فى صفة نفسه : ﴿ لَهُ مُلك السموات والأرضِ يُحيى ويُميت وَهُو على كُلٍّ شىء قدير ﴾[4] وكان يقول هذا الملحد : إن الله تعالى خلق الأجسام بفعل الأعراض بطبائعها · فقوله يوجب أن لا يكون لله تعالى كلام ؛ ولا نهى لأنه لا يقول كلام الله تعالى أزلى كما يقوله أهل السنة ، ولا يقول أنه مخلوق لله تعالى لأن عنده أنه لم يخلق الأجسام وأنه لم يخلق ما ليس بجسم ·

ومن بدعه أنه كان يقول : ليس الإنسان الصورة التى شاهدناها وإنما هو شىء فى هذه الصورة عالم ، قادر ، مختار ، يدبر التدبير ، لا متحرك ، ولا ساكن ، ولا متلون ، ولا مرئى ، ولا مدرك بالذوق ، والشم ، ولا بشىء من الحواس ، وأنه ليس فى مكان دون مكان ولم يذكر هذا إلاّ من يصف الإنسان بصفات خالقه ، ومن لا يطلق عليه ما لا يطلقه على خالقه · ويلزم على هذا القول أن لا يكون فى الدنيا من رأى إنسانًا قط · وهذا يوجب أن يقال أن الصحابة لم يروا رسول الله ﷺ وإن أحدًا لم ير نفسه ، ولا أباه ، ولا أمه ، ولا يراه غيره ؛ ومن كان هذه مقالته لم يكن معدودًا فى جملة العقلاء ، وأعجب من ذهابه إلى هذه المذاهب الفاحشة افتخار

---

(١) من أصحاب أبى الهذيل والنظام ·
(٢) من طبقة أبى الهذيل ·
(٣) سورة الرعد ١٦ ·
(٤) سورة الحديد ٢ ·

الكعبى به فى كتابه ، وإثباته إياه فى مشايخ المعتزلة ، ومثله لا يفتخر به إلا مثله ، وكل طير يقع مع شكله ، وقد وهبناه له ولا مثال كما قال الشاعر :

هل مشتر والسعيد بايعه　　　هل بائع والسعيد من وهبا

الفرقة السابعة : منهم **البشرية** وهم اتباع بشر[1] بن المعتمر ومن فضائحه قوله فى باب التولد : إن الإنسان يخلق اللون ، والطعم والرائحة ، والسمع ، والبصر ، وجميع الإدراكات على سبيل التولد وكذلك يخلق الحرارة ، والبرودة ، واليبوسة . وهو فى هذا القول مخالف لإجماع المسلمين ، لأن أهل السنة لا يقولون بالتولد أصلاً . والمعتزلة الذين يقولون بالتولد لا يفرطون فيه ، ولا يقولون بالتولد إلا فى الحركات والاعتمادات . فهذه له بدعة زائدة على بدعهم .

ومن ضلالته قوله : إن حركة الجسم توجد فى المكان الأول لا فى مكان ثان ولا واسطة بينهما ، وإذا لم يكن بين المكانين واسطة لم يكن هذا الكلام الذى يقوله معقولاً ولم يكن له حقيقة بحال .

ومن ضلالته قوله : أن الله إذا غفر ذنوب عبد من عباده ثم رجع إلى ذنب عذبه على هذا الذنب الثانى وعلى ما تقدم من ذنوبه التى غفرها له . قيل له فما تقول فى كافر تاب عن كفره ثم شرب الخمر ، ثم يموت قبل أن يتوب من شرب الخمر ؟ فقال يعاقب على شرب الخمر ، وعلى كفره الذى كان من قبل . فقيل له أتوجب أن يكون من شرب الخمر من المسلمين يناله فى العاقبة ما ينال الكفار من العقوبة قال : هذا قول . وهذا منه قول بخلاف إجماع المسلمين لأن المعتزلة وإن قالوا بمنزلة بين المنزلتين وإن الفاسق يخلد فى النار فإنهم لا يقولون أنه يعاقب فى النار على ما تاب منه من الذنوب والأفعال .

الفرقة الثامنة : منهم **الهشامية** اتباع هشام[2] بن عمرو الفوطى . وكان من جملة القدرية وزاد عليهم فى بدع كثيرة منها قوله : أنه لا يجوز لواحد من المسلمين أن يقول : ﴿ حَسْبُنَا اللهُ ونعمَ الوكيل ﴾[3] فخرق بهذا القول إجماع المسلمين . وزعم أنه لا يجوز أن يسمى وكيلاً خلاف قوله تعالى : ﴿ رَب المشرقِ والمغربِ لا إلَه إلا هُو فاتخذه وَكيلاً ﴾[4] وخلاف قول النبى ﷺ فيما ذكره من أسمائه سبحانه فإنه

---

(١) توفى فى حدود سنة ٢١٠ هـ .　　(٢) كان فى عصر المأمون .

(٣) سورة آل عمران ١٧٣ .　　(٤) سورة المزمل ٩ .

عد منها الوكيل[١] وهذا شيء وقع لهذا الجاهل لشدة غباوته وجهله بمواقع اللغة فإن الوكيل فى اللغة بمنزلة الكافى ويكون بمنزلة الحفيظ لقوله تعالى : ﴿ وَمَا أنتَ عَلَيهِم بوكيلٍ أو حفيظ ﴾[٢] .

ومن بدعه قوله : أن الله تعالى لم يؤلف بين قلوب المؤمنين ولم يضل الكافرين ، فقد قال تعالى : ﴿ لَو أنفَقتَ مَا فى الأرضِ جَميعًا ما ألَّفتَ بَين قُلوبِهِم ولكنَّ اللهَ ألَّفَ بَينَهم ﴾[٣] وقال تعالى : ﴿ يُثبِّتُ اللهَ الذينَ آمَنوا بالقولِ الثَّابتِ فى الحياة الدُّنيا وفى الآخرة ويُضِلُّ اللهُ الظالِمين ويَفْعَلُ الله مَا يَشاء ﴾[٤] وقالَ : ﴿ وَما يُضلُّ بِه إلا الفاسِقِين ﴾[٥] .

واعلم أن عباد بن سليمان[٦] كان من أصحابه وزاد عليه بدعة فقال : ما خلق الله سبحانه وتعالى كافراً قط . قال : لأن الكافر يشتمل على ذاته وكفره . قال : والله لا يخلق الكفر عندى . وقياس قوله يوجب أن لا يكون خالقًا لمؤمن ، لأن إيمان المؤمن لا يكون مخلوقًا عنده للبارى تعالى . وقال أيضًا : لأن الأعراض لا تدل على شيء وركب عليه فقال : إن انشقاق القمر ، وفلق البحر ، وقلب العصا حية ، لا يدل على شيء من معجزاتهم .

ومن فضائح الفوطى وبدعه قوله : أن الجنة والنار ليستا بمخلوقتين الآن ، وإن كان من قال إنهما مخلوقتان الآن فهو كافر ، وهذا القول منه زيادة على ضلالة المعتزلة . لأن المعتزلة لا يكفرون من قال بوجودهما ، وإن كانوا ينكرون وجودهما الآن . وكل من أنكر كون النار مخلوقة يقال له يوم القيامة ما أخبر الله عنه وهو قوله : ﴿ انطلِقوا إلى ما كُنتُم بِه تكذبون ﴾[٧] .

ومن جهالاته قوله : أن الجنة لا يكون فيها افتضاض إذ لا يكون هناك ألم . ولم يعرف هذا الأحمق أن القادر على أن يخلق الجنة ونعيمها ، وأن يزينها بالحور

---

(١) كما فى حديث الترمذى وغيره .
(٢) سورة الشورى ٦ .
(٣) سورة الأنفال ٦٣ .
(٤) سورة إبراهيم ٢٧ .
(٥) سورة البقرة ٢٦ .
(٦) هو من الطبقة السابعة من المعتزلة . كان من أصحاب هشام بن عمرو الفوطى . ربما تكون وفاته فى حدود سنة ٢٥٠ هـ : يقول أبو الحسين الملطى عنه : ملأ الأرض كتبًا وخلافًا وخرج عن حد الاعتزال إلى الكفر والزندقة .
(٧) سورة المرسلات ٢٩ .

العين ، قادر على أن يحفظهم من الألم عند الملاقاة وكان هذا المدبر يجوز قتل مخالفيه حيلة ، ومن جوز هذا فى المسلمين لم يتحاشَ المسلمون عن تجويزه فيه وفى اتباعه ٠

الفرقة التاسعة : منهم هم **المردارية** اتباع أبى موسى[١] المردار ٠ وكان يقال له راهب المعتزلة يشتغل بالترهب كما كان يشتغل به رهبان النصارى وكان فى الحقيقة مرداراً أحق الله فيه حقيقة لقبه كما قال الشاعر :

وقل ما أبصرت عيناك من رجل إلا ومعناه ان فكرت فى لقبه

وكان من أنواع ما ارتكبه من كفره قوله : إن الناس قادرون على أن يأتوا بمثل هذا القرآن وبما هو أفصح منه ٠ وكان يقول : أن كل من جالس السلاطين فهو كافر لا يرث المسلمين ولا يرثه المسلمون ٠

والباقون من المعتزلة كانوا يقولون : أن من جالس السلطان فهو فاسق لا مؤمن ولا كافر خالد مخلد فى النار ٠ وهذا خلاف قول المسلمين قبلهم ٠ وخلاف أصول أهل السنة وكان يقول : إن الله قادر على ان يظلم ويكذب ، ولو ظلم وكذب كان إلها ظالماً كاذباً ٠ هذا القول لا يليق إلا بدينه الرقيق الذى ليس له تحقيق ٠ وكان يقول : كل من قال بجواز رؤية البارى سبحانه فهو كافر ، ومن شك فى كفره فهو كافر لا إلى غاية ، وكل من أطلق مثل هذه المقالة فهو مخذول لا شك فى كفره ٠

الفرقة العاشرة : منهم **الجعفرية** وهم اتباع جعفر بن مبشر[٢] وجعفر بن حرب[٣] ٠ وهما كانا أصلين فى الجهالة والضلالة ٠ كان جعفر بن مبشر يقول : فساق هذه الأمة شر من اليهود ، والنصارى ، والمجوس ، والزنادقة ٠ مع قوله بأنهم موحدون فى منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر ٠ وكيف يعقل قول القائل أن الموحد شر من المشرك ، ومن كان هذا قوله كان حقيقاً بأن يقال بأنه شر من جميع الكفرة ٠ وكان يقول فى الفروع : إن رجلاً لو كان يخطب امرأة واجتمعا للعقد

---

(١) هو راهب المعتزلة أبو موسى عيسى بن صبيح ٠ أخذ الاعتزال عن بشر بن المعتمر وله غلو فى الاكفار ٠ قال السعودى : كان من كبارهم ومن أهل الديانة فيهم توفى فى حدود سنة ٢٢٦ هـ وله منزلة سامية بين معتزلة بغداد ٠

(٢) هو الثقفى توفى سنة ٢٣٤ هـ ٠

(٣) هو الهمدانى توفى سنة ٢٣٦ هـ ٠

بينهما ، فوثب عليها واطاعته فألم بها أن المرأة لا حد عليها . والرجل يجب عليه الحد وقوله فى المرأة خلاف إجماع المسلمين . وكان جعفر بن حرب على ضلالة استاذه المردار ، وزاد عليه بأن قال : إن بعضا من الجملة يكون غير الجملة . وهذا يوجب أن تكون الجملة غير نفسها . لأن كل بعض منها عنده غيرها فكان يقول : إن الممنوع من الفعل قادر على الفعل ، ولكنه لا يتمكن من الفعل . ولو جاز مثل هذا لجاز أن يقال إن العالم بالشىء عالم به . ولكنه لا يعرف شيئًا . وهذا متناقض فى نفسه .

الفرقة الحادية عشرة : منهم **الإسكافية** وهم أتباع محمد بن عبد الله الإسكافى[1] الذى اقتدى فى ضلالة القدرية بجعفر بن حرب وكان استاذه ثم زاد عليه فقال : إن الله تعالى قادر على ظلم الأطفال والمجانين ، وليس بقادر على ظلم العقلاء البالغين . ومن خرافاته أنه يقول : إن الله تعالى كلم عبده ، ولا يجوز أن يقال متكلم ، فكيف يجوز أن يكون مكلمًا ، ولا يجوز أن يكون متكلمًا . فإن منعه لأجل رواية لزمه أن يمنع كونه منكرًا . وقد ورد به القرآن والسنة .

الفرقة الثانية عشرة :منهم **الثمامية** اتباع أبى معن ثمامة[2] بن أشرس النميرى . وكان من مواليهم لا من نسبهم وكان زعيم القدرية فى أيام المأمون والمعتصم[3] والواثق[4] وزاد على اسلافه من ملاعين المعتزلة شيئين .

أحدهما قوله : بأن المعارف ضرورية كما تقوله الجاحظية ، وكان يقول : أن من لم يعرف الله سبحانه وتعالى ضرورة ليس عليه أمر ولا نهى ، وأن الله خلقه للسخرة والاعتبار . لا التكليف والاختبار كما خلق البهائم لذلك . ثم ركب على هذا فقال : عوام الدهرية والزنادقة فى الآخرة لا تكون فى جنة ولا نار ، وإن الله يجعلهم فى الآخرة ترابًا . وكذلك كان يقول فيمن مات فى حال الطفولية .

وبدعته الثانية إنه كان يقول : أن الأفعال المتولدة لا فاعل لها ، وهذا يؤدى إلى القول بنفى الصانع ، إذ لو جاز أن يكون فعل بلا فاعل لجاز أن يكون كل فعل بلا فاعل ، كما لو جاز أن تكون كتابة بلا كاتب ، جاز أن تكـــون كل كتابة بلا

---

(١) توفى سنة ٢٤٠ هـ .
(٢) توفى سنة ٢١٣ هـ .
(٣) هو الخليفة العباسى محمد بن هارون الرشيد توفى سنة ٣٢٧ هـ .
(٤) هو الخليفة العباسى هارون بن المعتصم توفى سنة ٢٣٢ .

كاتب . وكان يقول : أن دار الإسلام دار شرك لغلبة من يخالفه فى بدعته فى دار الإسلام ، وكان يقول لا يجوز سبى النساء من دار الكفر ، وأن من سبى امرأة ثم ألم بها فهو زان ، وأن ولده ولد الزنا . هذا منه إقرار بأنه من ولد الزنا لأنه كان من أولاد السبايا .

واعلم أن هذا المبتدع كان يظهر البدعة وكان فى الحقيقة ملحدًا ، ولكنه كان يستر إلحاده بما كان يظهر من موافقة أهل البدع . ثم كان يتغلب إلحاده الشىء بعد الشىء فى الأحايين . كما ذكره عبد الله بن مسلم بن قتيبة[1] فى كتاب « مختلف الحديث » أن ثمامة رأى يومًا ناسًا يسارعون إلى صلاة الجمعة مخافة ان تفوتهم الصلاة . فأقبل على عبد كان معه وقال : انظر إلى هؤلاء الحمير ماذا فعل بهم ذلك العربى . وكان يريد النبى ﷺ . وذكر الجاحظ فى كتاب « المضاحك » أن المأمون الخليفة كان قد ركب يومًا فرأى ثمامة وهو سكران قد وقع فى الوحل . فقال له أنت ثمامة ؟ فقال : أى والله فقال له : ألا تستحى ؟ فقال : لا والله . فقال . عليك لعنة الله . فقال تترى ثم تترى .

وأورد الجاحظ فى كتابه من نوادر إلحاده أن غلام ثمامة قال له قم فصل . فتغافل عنه . فقال له ثانيًا قم فصل . فتخلص . فقال : أما أنا فقد تخلصت إن تركتنى أنت ، وكان من شدة عداوته لأهل السنة أنه أغرى الواثق بأحمد بن نصر المروزى السنى الخزاعى[2] لأجل أنه كان يطعن على القدرية . ووافقه ابن الزيات ، وابن أبى دؤاد ، فلما قتله ندم على قتله وعاتبهم على ذلك فقال ابن الزيات[3] تطييبًا لقلب الواثق : إن لم يكن قتله صوابًا فقتلنى الله بين الماء والنار .

وقال ابن أبى دؤاد[4] : حبسنى الله فى جلدى إن لم يكن قتله صوابًا . وقال

---

(١) هو من أئمة العربية يذب عن أهل الحديث بيد أن له ميلاً إلى الحشوية فى مسائل توفى سنة ٢٧٦ هـ .

(٢) كان من أولاد الأمراء عالمًا صالحًا لم يجب فى محنة القرآن بل اغلظ للواثق فى الخطاب فقتل سنة ٢٣١ هـ . رحمه الله ولتقدم وفاة ثمامة بدهر لا تصح الحكاية .

(٣) هو محمد بن عبد الملك الوزير الظالم وزر للمعتصم والواثق والمتوكل ثم قبض عليه المتوكل فعذبه وسجنه حتى هلك سنة ٢٣٣ هـ .

(٤) هو القاضى أحمد بن أبى دؤاد المعتزلى القائم بامتحان أهـل الحديث فى خلق =

ثمامة : سلط الله على السيوف إن لم يكن قتله صوابًا · فاستجاب الله دعواتهم فأما ابن الزيات فإنه لما دخل الحمام خسف به الأرض ، ووقع فى الأتون ، وهلك فيه بين الماء والنار · وأما ابن أبى دؤاد فأصابه الفالج فبقى فى جلده محبوسًا إلى أن مات ، وأما ثمامة فرآه بنو خزاعة بمكة ·وقالوا هذا الذى سعى فى دم عالمنا أحمد بن نصر ، ثم أحاطوا به وتبادروه بالسيوف فقتلوه · ثم أخرجوا جيفته من الحرم حتى أكلته السباع · هذه كانت عاقبته فى الدنيا وسيناله شؤم بدعته فى الآخرة كما يستحقه ·

الفرقة الثالثة عشرة : منهم **الجاحظية** وهم اتباع عمرو بن بحر الجاحظ[1] فقد اغتر أصحابه بحسن بيانه فى تصانيفه ، ولو عرفوا ضلالته ، وما أحدثه فى الدين من بدعه وجهالاته لكانوا يستغفرون عن مدحه ، ويستنكفون عن الانتساب إلى مثله ·

فمن جهالاته المعروفة قوله : أن المعارف كلها طباع ، وأن كل من عرف شيئًا فإنما يعرفه بطبعه لا بأن يتعلمه ولا بأن يخلق الله تعالى له علمًا به ·

ومن جهالاته قوله : أن العباد لا يفعلون إلا الإرادة فقط · لا فعل لهم سواها ·

ومن بدعه قوله : لا يبلغ أحد من الناس إلا وهو عالم بالله تعالى · وهذا يوجب أن يكون جميع المنكرين لله تعالى عارفين به ، وهذا خلاف المعقول والشرع ، وأما قوله أن العبد لا يفعل إلا الإرادة فيوجب أن لا يكون العبد فعل صلاة ، ولا حجا · وأن لا يكون قد فعل من موجبات الحدود مثل السرقة والزنا شيئًا ·

وأما قوله أن المعارف ضرورية · فإنه يوجب ان لا يكون ثواب ولا عقاب على أفعاله الموجودة منه ، وهذا خلاف قول المسلمين ، وإنما صنف كتاب طبائع الحيوان لتمهيد هذه البدعة الشنعاء ، أراد أن يقرر فى نفوس من يطالعه هذه البدعة ، ويزينها فى عينه ، فيغتر بحسن ألفاظه المبتذلة فيها ،ويظن أنه إنما جمعه لنشر نوع من العلم ، ولا يعلم أنه إنما قصد به التمهيد لبدعته ، حتى إذا ألفه واستأنس به واعتقد مقتضاه

= القرآن · أخذ الاعتزال عن أبى الهذيل كما يقول أبو الحسين الملطى توفى سنة ٢٤٠ هـ · توسع ابن خلكان فى ترجمته ·

(١) هو عمرو بن بحر المعتزلى لم يصل إلينا من كتب أهل طبقته قدر ما وصل إلينا من مؤلفاته وله منزلة سامية عند أهل الأدب على ريغة يثق ابن حزم بنقله توفى سنة ٢٥٦ هـ ويقول عنه أبو الحسين الملطى : كان صاحب تصنيف ولم يكن صاحب جدل ·

انسلخ به عن دينه ، وقد ركب الجاحظ على قوله هذا قولا هو شر من هذا فقال : إن الله تعالى لا يدخل أحداً النار ، ولكن النار بطبعها تجذب إلى نفسها أهلها ، ثم تمسكهم فى جوفها خالداً مخلداً ، وهذا يوجب أن يقال فى الجنة مثل هذا . فقال أنها تجذب أهلها إلى نفسها بطبعها . فيبطل به الرغبة ، والرهبة ، والثواب ، والعقاب ، من الله تعالى حيث يقول : ﴿ ومِنهُم مَن يَقولُ ربَّنا آتِنا فى الدنيا حَسَنَة وفى الآخِرة حَسَنَة وقِنا عذابَ النار ﴾[1] واعلم أن الكعبى عده من مشايخ المعتزلة ، وافتخر بتصانيفه ، وزعم أنه عربى من بنى كنانة . ولو كان كما قاله لما صنف كتاباً فى مفاخر القحطانية على العدنانية والكنانية وما كان يجمع فيه ما هجا به القحطانية العدنانية ، وكان لا يستجيز انشادها فإن من كان ابن رشدة لا يرضى بهجاء أبيه ، ولو كان عربيًا لما صنف كتابه فى فضل الموالى على العرب . وأما تصانيفه فمن تعرف ما فيها ، وتأمل معانيها ، ومقاصده فيها . علم أنه لا يشتغل بتصنيف أمثالها إلا من لا خلاق له ولا مروءة ، فإن أعلى تصانيفه كتاب طبائع الحيوان وقد بينا مقصوده فيه ، وذلك من شر المقاصد وكيف ما كان ، وقد سرق أصوله من كتاب ارسطاطاليس[2] ومن كتاب « المداينى »[3] الذى صنفه فى منافع أصناف الحيوان ، ولم يورد فيه شيئًا من كيسه ولا من ذات نفسه إلا أبياتًا ضمها إليها قالتها العرب فى معانيها ، زين بها حشو كتابه ، وأودعه مناظرة الكلب والديك ؛ والكلب والهرة ، والكلب والذئب ، وما أشبه ذلك . والعاقل لا يضيع وقته بمثله ، فإن شغل الوقت بأمثاله نوع من المقت .

ومن كتبه كتاب « حيل اللصوص » يعلم اللصوص فيه الحيل التى يتوصلون بها إلى الفساد يمدحهم بالشطارة ، ويزعم أنها من مروءتهم ويمدحهم باختيارهم الغلمان على النسوان ، وبإنهم يعلبون بالنرد والشطرنج ، ويحثهم على القمار . ويزعم أنه من المروءة ومن الآداب المرضية ، ومن عد الدعارة والشطارة من المرؤة وزينها وحث

---

(١) سورة البقرة ٢٠١ .

(٢) هو الفيلسوف اليونانى المشهور تلمذ لأفلاطون نحو عشرين سنة ، ثم وزر للاسكندر المقدونى .

(٣) هو أبو الحسن على بن محمد الأخبارى المشهور صاحب المؤلفات ولم يذكر صاحب الفهرس كتاب الحيوان فى عداد مؤلفاته ، ويدعيه بعض المعتزلة ، توفى سنة ٢٢٥ هـ . عن مئة سنة .

عليها فقد خالف الشريعة والمروءة ، لأن المسلمين أطبقوا على أن من كانت هذه طريقته كان مذمومًا فى الشريعة والمروءة .

ومن كتبه ما صنفه فى غش الصناعات أفسد بذلك على المفسدين أموالهم وحث بذلك الناس على الغش والخيانة . ومن كتبه كتاب « الفتيا » طعن فيه على الصحابة كما يليق بديانته .

ومن كتبه ما صنفه فى وصف الكلاب ، والقحاب ، والمغنين ، وحيل الماكرين ولا يفتخر بمثل هذه الكتب إلا من كان مثله لا خلاق له فى دين ولا مروءة ، وكان مع هذه البدع الفاحشة الوحشة كريه المنظر حتى قال فى وصفه الشاعر :

لو يمسخ الخنزير مسخًا ثانيًا ... ما كان إلا دون قبح الجاحظ

شخص ينوب عن الجحيم بنفسه ... وهو القذى فى كل طرف لاحظ

الفرقة الرابعة عشرة : الشحامية أتباع أبى يعقوب[1] بن الشحام استاذ الجبائى فى ضلالة القدرية وجوز هو والعلاف مقدوراً بين قادرين كما قاله أهل السنة ، ولكنهم جوزوا إنفراد كل واحد منهما بخلقه بخلاف أهل السنة وخلاف قول أهل القدر .

الفرقة الخامسة عشرة : منهم الخياطية اتباع أبى الحسين الخياط[2] استاذ الكعبى فى ضلالته ، فقد أفرط فى قوله فى صفة المعدوم حتى زاد فيه على جميع القدرية ، فوصف المعدوم بأنه جسم فيلزمه[3] أن يجوز كون المعدوم رجلاً راكبًا جملاً وبيده سيف مسلط عليه يصول عليه ويلقنه مثل هذه البدع ، حتى أنه يتلقنها خوفًا منه ،

---

(١) هو يوسف بن عبد الله بن اسحاق الشحام من صغار أصحاب أبى الهذيل ويسميه أبو الحسين الملطى على بن محمد الشحام على خلاف ما عليه الجمهور . كان على ديوان الخراج أيام الواثق .

(٢) هو عبد الرحيم بن محمد من أصحاب جعفر بن مبشر ولعله توفى فى حوالى سنة ٢٩٠ هـ وكتاب الانتصار له مطبوع يرد به على « فضيحة المعتزلة » لابن الراوندى ويبرئهم عن كثير مما يعزوه إليهم . وهو كتاب مفيد فى تحقيق ما نسب إليهم وبه يتضح مذهب الرجل أكثر من أى كتاب اخر .

(٣) الزام طريف فليتدبر .

ويفصح عنها وينشرها توقيًا من صولته ، وقد تبرأ منه صاحبه الكعبى بسبب هذه البدعة واستفظعها منه ،وقال : وان القدرية وإن قالوا فى المعدوم أنه شىء وجوهر ، وعرض ، وسواد ، وبياض ، فإنهم لا يقولون أنه جسم وأنه قابل للأعراض ، وهذا القول منه يوجب كون الأجسام قديمة ، ويفضى به إلى نفى الصانع ، وقد ضلله الكعبى بهذه المسألة وبانكاره أخبار الآحاد . وقوله لا يحتج به فى أحكام الشريعة . وكفى الكعبى فخرًا أن يكون له مثل هذا الاستاذ الذى هو عنده ضال مبتدع ، وذلك ذل له فى الدنيا ، وله فى الآخرة عذاب عظيم .

الفرقة السادسة عشرة : منهم **الكعبية** اتباع عبد الله بن أحمد بن محمود البلخى المعروف بأبى القاسم الكعبى[1] . وكان يدعى فى كل علم ، ولم يكن خلص إلى خلاصة شىء من العلوم ، بل كان متحليًا بطرف من كل شىء كان يدعى فيه شيئًا من العلوم . وخالف قدرية البصرة فى أشياء .

منها : قوله بأن الله تعالى لا يرى نفسه ولا يرى غيره .

ومنها : قوله أن الله لا يسمع ، وكان يزعم أن معنى وصفه بأنه سميع ، بصير ، عالم بالمسموع والمرئى .

ومنها : أنه كان يزعم أن الله تعالى لا إرادة له ، وأن علمه يغنى عن إرادته . لأن معلومه كان لا محالة قصده أو لم يقصده ، وهذا القول منه يوجب نفى القدرة وكونه قادرًا ، إذ كان تقوله فى نفس الإرادة على أن معلومه كائن لا محالة . وأيضًا فإن الشاهد يقضى بخلاف مذهبه . وذلك أن القادر منا قد يقدر على شىء باستطاعة عرفية ولا يكون مقدوره واقعًا حتى يقصد فعله ويريده .

ومنها : أنه كان يقول بإيجاب الأصلح للعبد على الله تعالى . والإيجاب على الله تعالى محال لاستحالة موجب فوقه يوجب عليه شيئًا .

الفرقة السابعة عشرة : **الجبائية** أتباع أبى على الجبائى[2] وهو الذى أغوى أهل خوزستان ، وله من البدع الفاحشة ما لا يحصى .

---

(١) هو مؤلف كتاب المقالات المشهور أخذ الاعتزال عن أبى الحسين الخياط ، وكان الجبائى يفضله على شيخه توفى سنة ٣١٩ هـ .

(٢) هو محمد بن عبد الوهاب توفى سنة ٣٠٣ هـ له نحـــو أربعين ألف ورقة فى الكلام . وتفسيره فى مئة جزء كما يقول أبو الحسين الملطى .

منها : أن شيخ أهل السنة أبا الحسن الأشعرى رحمه الله تعالى[1] سأله يومًا عن حقيقة الطاعة فقال له : هى موافقة الإرادة . فقال له : هذا يوجب أن يكون الله تعالى مطيعًا لعبده إذا أعطاه مراده ؟ فقال نعم يكون مطيعًا ؟[2] وخالف الإجماع بإطلاق هذا اللفظ . لأن المسلمين اجمعوا قبله على أن من قال إن البارى سبحانه مطيع لعبده كان موصوفًا بالكفر فى عقده ، ولو جاز أن يقال أنه لعبده مطيع لجاز أن يقال أنه لعبده خاضع وخاشع .

ومنها : أنه كان يقول إن أسماء البارى تعالى يجوز أن تؤخذ قياسًا ، ويجوز أن يشتق له من أفعاله اسمًا لم يرد به السمع ولم يأذن فيه الشرع حتى قيل له يجوز أن يسمى محبل النساء ؟ قال : نعم . وهذه بدعة شنيعة فضيحة .

ومنها أنه كان يقول : إن العرض الواحد يجوز أن يكون فى محال كثيرة . وذلك أنه كان يقول : أن الكلام يكتب فى محل فيكون عرضًا موجودًا فيه ، ثم يكتب فى محل ثان فيصير أيضًا موجودًا فيه ، ومن غير أن ينتقل من المحل الأول أو يعدم فيه .

ومنها أنه كان يقول : إن الله تعالى ليس بقادر على أن يفنى شيئًا من أجسام العالم بانفراده ، ولكنه إن شاء أفنى العالم بفناء يخلقه لا فى محل فيفنى به جميع العالم . وهذا القول منه يوجب تخصيص قدرة البارى ببعض المقدورات وفيه التنبيه على صحة التثنية ويجوز كون الفناء لا فى محل فناء للقديم تخصيصًا لما وجد ، لا فى محل بما وجد ، لا فى محل كما خصوا الإرادة الحادثة ، لا فى محل بالقديم سبحانه لأنه لا فى محل .

---

(١) هو إمام أهل السنة أبو الحسين على بن اسماعيل الأشعرى نشأ فى الاعتزال ، ثم هداه الله إلى الحق فقام بالذب عن معتقد أهل السنة فى عهد استفحال شرور المعتزلة ، والحشوية كما شرحت ذلك فى مقدمة تبيين كذب المفترى لابن عساكر . توفى سنة ٣٢٤ هـ وقال ابن الأثير سنة ٣٣٢ هـ .

(٢) ما أشبه هذا بقول معضد بن يزيد العجلى المخضرم (نعم المرء ربنا لو أطعناه لما عصانا) من غير ملاحظة مؤدى كلامه فاستنكره ابن مسعود ﷺ جد الاستنكار كما فى الأسماء والصفات للبيهقى . وليس للجهل آخر .

الفرقة الثامنة عشرة : منهم البهشمية اتباع أبى هاشم[1] بن الجبائى . وأكثر المعتزلة اليوم على مذهبه لأن ابن عباد[2] كان يدعو إلى مذهبه ، ويسمى أصحابه الذمية . لتجويزه كون العبد مستحقًا للعقاب لا على فعل فعله ، وهذا يوجب أن المرء يكون عاصيًا لا على معصية فعلها ، ويوجب أن يكون مطيعًا لا على طاعة فعلها ، وكافرًا لا لكفر كفره .

وكان أبو هاشم هذا يقول :أن من تاب عن ذنب مع إصراره على ذنب آخر لا تصح توبته عما تاب حتى أن يهوديًا تاب عن كفره ولكنه منع حبة مثلاً عن مستحق لم تصح توبته عن اليهودية وهذا يوجب أن يؤخذ منه الجزية بعد ما أسلم ، وأن لا تحل ذبيحته ، ولا مناكحته ، إذا أسلم عن مجوسيته مع هذا الحالة . فهذا خلاف إجماع الأمة .

وكان يقول : أن التوبة عن الذنب بعد عجز المذنب عن الذنب لا تقبل . حتى لو كذب ثم قطع لسانه قبل أن يتوب أو زنى ، ثم قطع فرجه قبل أن يتوب لم تصح توبته . وهذا يوجب أن يكون الظالم الذى ظلمه لسانه منع ربه عن قبول توبته . وكان أبو هاشم هذا مع افراطه فى القول بالوعيد أفسق أهل زمانه حتى قال فى صفته شاعر من المرجئة :

يعيب القول بالارجاء حتى ... يرى بعض الرجاء من الجرائر
وأعظم من ذوى الارجاء جرمًا ... وعيدى أصر على الكبائر

وكان من جهالته قوله بالأحوال حتى كان يقول : إن العالم له حال يفارق به من ليس بعالم ، وللقادر حال به يفارق حال العالم ثم كان يقول : إن الحال ليست بموجودة ولا معدومة ولا مجهولة وأن العالم يعلم على حالة ولا يعلم حال العالم ولا حال القادر ، ولا يمكن الفرق بين حال العالم وبين حال القادر . إذ لا يعلم حال واحد منهما ، ومن لا يعلم من نفسه ما يقول كيف يقدر أن يعلمه غيره .

---

(١) هو عبد السلام بن محمد توفى سنة ٣٢١ هـ وضع مئة وستين كتابا فى الجدل وخالف أباه فى تسع وعشرين مسألة ، وأبوه خالف أبا الهذيل فى تسع عشرة مسألة . قاله أبو الحسين الملطى .

(٢) هو الصاحب اسماعيل وزير آل بويه ، الكاتب المشهور جمع بين الاعتزال والتشيع توفى سنة ٣٨٥ هـ .

واقتدى فى ذلك بقـــول الباطنية حيث قالوا : أن الصانع لا معدوم ولا موجود ، وما من ثابت إلا وهو فى الحقيقة موجود ، إذ لا واسطة بين العدم والوجود ، ولو ثبت بينهما واسطة لجاز أن يخرج الشىء من العدم إلى الثبوت · ثم من الثبوت إلى الوجود كما جاز أن يخرج من القيام إلى القعود ، ثم من القعود إلى الاضطجاع إذ كان القعود واسطة بين الطرفين ·

ومن ضلالاته قوله : أن الطهارة ليست بواجبة وكان يقول تجوز الطهارة بماء مغصوب ، ولا تجوز الصلاة فى أرض مغصوبة ، وكان يفرق بينهما بأن الطهارة غير واجبة والصلاة واجبة · وهذا القول منه خلاف إجماع الأمة · ثم كان يستدل على أن الطهارة ليست بواجبة لجواز أن يطهر غيره وهو صحيح ثم كان يرتب على هذا فيقول : أن الوقوف بعرفة ، والسعى والطواف ، ليست بواجبة لأن مشى دابته فى جميع ذلك ينوب عن مشيه · ويلزم على هذا أن يقول ان الزكوات والكفارات كلها ليست بواجبة لجواز ادائها بالوكلاء والنائبين · وهذا القول كفر منه خالف فيه جميع الأمة · وكان مع ارتكابه هذه البدع يكفر المعتزلة ، ويتبرأ منهم ، حتي كان يكفر أباه وتبرأ منه ، ولم يأخذ ميراثه بعد موته لتكفيره إياه وتبريه منه · وكان سائر المعتزلة يكفرونه أيضًا · وحالهم فى هذا المعنى كما وصفه الله تعالى من حال الكفار حيث قال : ﴿ إذْ تَبرأَ الذينَ اتبعـــوا مِنَ الذينَ اتَّبِعَوا ورَأوا العَذَابَ وتَقَطَّعت بِهُمُ الأسبابَ ﴾[1] ·

ومما يكشف عن افتضاحهم فى مذاهبهم وتبروء بعضهم من بعض ما حكاه أصحاب المقالات من أن سبعة من رؤوس القدرية اجتمعوا فى مجلس واحد وتناظروا فى أن الله تعالى هل يقدر على ظلم وكذب يختص به ، فافترقوا من هذا المجلس وكل منهم كان يكفر الباقين · وذلك لأن النظام سئل فى ذلك المجلس عنه فقال : انه ليس بقادر على ذلك إذ لو قدر عليه لم يأمن أن يقع منه ظلم أو كذب فيما مضى أو يقع ذلك فى المستقبل ، أو وقع أو يقع ذلك فى طرف من أطراف الأرض : فقال له على الأسوارى[2] : ينبغى على هذه العلة أن لا يقدر على خلاف المعلوم · والمخبر عنه فقال : هو لازم فما تقول أنت ؟ فقال الأسوارى أنا أقول أنه لا يقدر على

---

(١) سورة البقرة ١٦٦ ·

(٢) هو من الطبقة السابعة من المعتزلة صحب أبا الهذيل والنظام ، وكان من رجال منتصف القرن الثالث ·

الظلم والكذب ولا يقدر على خلاف المعلوم فقال له النظام : هذا الذى تقول كفر وإلحاد ، ثم قال له أبو الهذيل ما تقول فى فرعون[١] ، وفى كل من علم الله أنه لا يؤمن ، أو أخبر عنه أنه لا يؤمن إن قلت أنه لم يكن مقدوراً لهم أن يؤمنوا لزمك تكليف ما لا يطاق وأنت لا تقول به ، وإن قلت إنه كان مقدوراً لهم كان محالاً لأنه يؤدى إلى أن يكون العبد قادراً على تجهيله وتكذيبه ، تعالى الله عن قولهم . فقالوا له هذا الجـواب لازم فما تقول أنت ؟ فقال : أنا أقول أنه قادر على أن يظلم ويكذب ، وقادر أيضًا على خلاف المعلوم . فقال له : أرأيتك لو ظلم وكذب . فقال : أنه محال منه . فقالوا له : ما كان محالاً لا يكون مقدوراً . فتحير هؤلاء الثلاثة ولم يدروا كيف سبيل الجواب فقال بشر بن المعتمر[٢] كل ما أنتم عليه فهو تخليط . فقالوا له فايش تقول أنت ؟ هل يقـدر على أن يعذب طفلاً ليس له ذنب ؟ فقال : يقدر فقالوا : فلو عذبه كيف يكون حكمه . قال : يكون الطفل عاقلاً ، بالغًا ، عاصيًا ، مستحقًا للعقاب ، ويكون البارى عادلاً بتعذيبه . فقالوا له كيف يكون الطفل بالغًا ، وكيف يكون من فعل الظلم عادلاً به ؟ فتحير . فقال له المدار منهم أخذتم على استاذى بشر شيئًا منكرًا مستفظعًا ولكن يجوز أن يغلظ الاستاذ . فقال له بشر فما تقول أنت ؟ قال أقول : أنه قادر على الظلم والكذب . ولو وجد ذلك منه كان إلهًا ظالمًا كاذبًا . فقالوا له : ومن كان بهذه الصفة هل يكون مستحقًا للشكر والعبادة ، أو يكون مذمومًا ؟ فقال لا يكون مستحقًا للشكر والعبادة لا يكون إلهًا . فتحير . فقال زعيم من زعمائهم يقال له الأشج[٣] أنا أقول أنه قادر على أن يظلم ويكذب ، ولكنه إن ظلم وكذب كان عادلاً صادقًا . فقال الإسكافى كيف ينقلب الظلم عدلاً ؟ والكذب صدقًا ؟ فتحير . فقال له ما تقول أنت ؟ فقال : أنا أقول إن ظلم أو كذب لم تكن عقول العقلاء موجودة فى تلك الحالة فلا يتوجه عليه المذمة

---

(١) لقب من يتولى ملك مصر فى القديم . وفى اسم فرعون موسى عليه السلام اختلاف .

(٢) صاحب الاراجيز المعروفة له أربعون ألف بيت فى مذهبه ، أخذ الاعتزال عن عمرو بن عبيد وبشر بن سعيد صاحبى واصل ؛ حبسه الرشيد ثم أطلقه حيث قيل له أن ما يقوله فى الحبس من الشعر ويذيع بين الناس أضر . ومنه انتشر الاعتزال ببغداد توفى سنة ٢١٠ هـ .

(٣) من زعماء المعتزلة معاصر لبشر بن المعتمر .

والملامة لعدم وجود عقل عاقل ينكره عليه ، فقال جعفر بن حرب[1] كأنه يقول أنه قادر على ظلم المجانين · ولا يقدر على ظلم العقلاء ، فتحيروا وصاروا كلهم منقطعين متحيرين · وكان كل واحد يعتقد أن أقوال الباقين كلها كفر · فلما انتهت زعامتهم إلى الجبائى ، وابنه أبى هاشم قالا جميعًا هـذه مسألة لا يمكن أن يجاب عنها · ورضيا بالجهل فيما يرجع إلى وصف الاعتقاد ، ولو وافقهم التوفيق لتمسكوا بمذهب أهل الحق ، وتركوا التردد من باطل إلى باطل ولم يتمردوا فيه كما تمردوا فى مسألة العالم ، كانوا لا يزالون يترددون من باطل إلى باطل حتى انتهوا إلى القول بأحوال مجهولة ، واعترفوا بأنهم يهرفون بما لا يعرفون ، وينتحلون ما لا يعقلون ، وكما تمردوا على باطلهم فى مسألة الرؤية حتى انتهى بهم الكلام إلى أن قالوا : إنه لا يسمع ، ولا يبصر ، ولا يرى نفسه ، ولا غيره ، كما حكيناه عن الكعبى ، وكما تمردوا فى مسألة خلق الأفعال · حتى وصل بهم إلى أن قالوا بخالقين كثيرين زائدين على ألف ألف ، وزادوا فى ذلك على المجوس ، والثنوية من وجهين ·

أحدهما : أن المجوس والثنوية قالوا : بخالقين اثنين · وهم بخالقين لا يحصرون ·

والثانى : أن الثنوية والمجوس لم ينفوا كون البارى سبحانه خالقًا · وهؤلاء الذين قالوا أن العبد يسمى خالقًا ، والبارى سبحانه لا يجوز أن يسمى خالقًا · خالفوا به إجماع هذه الأمة ، وكما تمردوا فى مسألة القرآن حتى أدى بهم القول إلى أن قالوا : إنه يخلق كلامًا فى محل فيكون متكلمًا بما خلقه فى ذلك المحل ، فلزمهم بذلك أن لا يكون هو آمرًا ولا ناهيًا · وأن يكون الأمر والنهى لذلك المحل ، وأن لا يكون لله تعالى على عبده شرع ولا تكليف ·

وكما تمردوا فى مسألة التعديل والتجوير أنه واجب عليه أن يخلق بعض مقدوراته ، وحرام عليه أن يفعل بعضها · فرتبوا عليه شريعة فى الواجب والمحظور أعظم مما رتبه على عبيده · لأنهم زعموا أنه لو خالف فى شىء مما وجب عليه أو هو محظور عليه خرج من الحكمة وسقط به عن منزلة الآلهية ، والعبد وإن خالف فى شىء مما شرع له لم يسقط عن منزلة العبودية ، وإن توجه عليه نوع من العقوبة ولو أنهم بدل ما تلبسوا به من العنت والتمرد راجعوا مذهب أهل الحق سلموا عن هذه البدع ·

---

(١) من الطبقة السابعة من المعتزلة أخذ عن أبى الهذيل وتوفى بعد سنة ٢٣٠ هـ ·

غير أن التوفيق أعز من أن يناله أهل الشقاق والعصبية ، وفضائحهم أفظع وأكثر من أن يمكن جمعها فى مثل هذا الكتاب ، وقد جمعنا فى تفصيلها كتبًا تشتمل على معظمها وعاداتهم التنقل فى أباطيلهم ، وتكفير بعضهم لبعض فى أقاويلهم .

واعلم أن جميع ما ذكرناه من مقالاتهم الشنيعة ومذاهبهم الفظيعة لا يخفى على العاقل فسادهم إذا صرف الهمة إلى تأملها ، ومن أفظع ما ينتحلونه نسبتهم التقدير إلى أنفسهم لا إلى صانعهم ، ، وقد ورد فى ذمهم أخبار كثيرة عن النبى ﷺ أنه قال : « لعنت القدرية على لسان سبعين نبيًا »[١] . وفى رواية « القدرية والمرجئة لعنتا على لسان سبعين نبيًا »[٢] . وقال وهب بن منبه[٣] أنزل الله تعالى على رسله كتبًا كثيرة أكثر من نيف وتسعين كتابًا . فقرأت منها ثمانين كتابًا فوجدت فى جميعها أن كل من جعل إلى نفسه أمرًا أو شيئًا من المشيئة فهو كافر بالله تعالى . وروى أن النبى ﷺ قال : « القدرية مجوس هذه الأمة »[٤] . وإنما شبههم بالمجوس لأن المجوس ينسبون بعض التقدير إلى يزدان[٥] وبعضه إلى أهرمن[٦] وهم اسم الشيطان . فأثبتوا تقديرًا فى مقابلة تقدير البارى جل جلاله . وقالوا بجواز حصول أحد التقديرين دون الآخر . فكذلك القدرية أثبتوا تقديرين . أحدهما للرب تبارك وتعالى . والآخر للعبد ، وجعلوا أحد التقدرين فى مقابلة الآخر ، وجوزوا حصول أحد التقديرين دون الآخر ، وزعموا أن تقدير الرب يصير ممنوعا منه تقدير العبد . ثم زادوا على المجوس .وذلك أن المجوس جعلوا فى مقابلة تقديره واحدًا ، وهم جعلوا فى مقابلة تقديره تقديرجميع الحيوانات من الآدمى ، وغير الآدمى حتى البقة ، والبعوضة ، والنملة ، والنحلة ، والسمكة ، والدودة ، وقالوا : تقدير الدودة يحصل ، وتقدير القدير سبحانه لا يحصل . فإن الدودة تمنعه بتقدير نفسها عن

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الأوسط وفى سنده محمد بن الفضل بن عطية المروزى متروك الحديث كذبه غير واحد .

(٢) أخرجه الطبرانى فى الكبير بسند فيه بقية ـ وأحاديثه غير نقية ـ وفيه أيضًا مجهول .

(٣) هو يمانى من مصادر الأسرائيليات أخرج له البخارى ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، قيل قتله يوسف بن عمر الثقفى سنة ١١٠ هـ .

(٤) أخرجه أبو داود وفى سنده جعفر بن الحارث . قال البخارى منكر الحديث ، وذكر الصغانى الحديث فى الموضوعات .

(٥) هو إلة الخير عند المجوس . (٦) هو إله الشر عند المجوس .

تقديره . وقد ورد الرد عليهم فى كتاب الله سبحانه بأصرح ما يكون حيث قال : ﴿ إنّا كلَّ شىء خلَقْناه بِقَدَرٍ ﴾[1] ومن عرف معنى هذه الآية وما ورد فى معانيها من السلف علم فى الحقيقة أن القدرى من يجعل لنفسه شيئًا من القدر ، وينفيه عن ربه . تعالى الله عن قولهم . وتحقق له أنه ليس بقدرى من أثبت القدرة لله ونفاها عن نفسه كما بينه الله تعالى فى هذه الآية ، وتقرر عنده أن من قال بالتسليم الكلى وفوض الأمر إلي الرب القوى من أهل السنة والجماعة ، فمن اعتقد أن شيئًا من أفعاله لا يكون ظلمًا ، ولا باطلاً ، وأنه لا اعتراض عليه فى شىء مما يأتيه أو يذره ولا يقول كما تقول القدرية أن له أن يفعل كذا ، وليس له أن يفعل كذا ، وبنى عقائده على قوله تعالى : ﴿ لا يُسأل عمّا يَفْعَلُ وهُم يُسْألون ﴾[2] لم يكن قدريًا وكان من المقاتلة والخصومة بريًا ، وأى تسليم وبراءة من الخصومة أكبر من قول أهل السنة : أن كل ما جرى على العبد من المعاصى فهو خلق من الله تعالى ، وهو عدل منه سبحانه ومعصية من العبد ، وكل ما جرى من العبد من الطاعات فهو خلق من الله تعالى ، وهو من الله فضل فهما من العبد طاعة ومعصية ، ومن الرب فضل وعدل .

وقد بين رسول الله ﷺ فى خبر جبريل عليه السلام أصل الكلام فى القدر فقال فى جواب جبريل عليه السلام : « الإيمان أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، والقدر خيره وشره ، حلوه ومره من الله »[3] . فبين أن القدر كله من الله ، وأن لا قدر للعبد فى شىء من الأشياء » وكان سبب نزول قوله : ﴿ إنَّا كُلَّ شَىء خَلَقْناهُ بِقَدَر ﴾[4] . إن مشركى قريش جاؤا إلى النبى ﷺ وكانوا يخاصمونه فى القدر ، فأنزل الله تعالى هذه الآية : ﴿ إنَّ المُجرمينَ فى ضَلالٍ وسَعَر ﴾ إلى آخر السورة[5] . وقال قوم من المفسرين : أن وفد بنى نجران وردوا على رسول الله ﷺ فقالوا أما الآجال والأرزاق فبتقدير الله تعالى ، وأما أعمال العباد فليست بتقدير الله تعالى فأنزل الله تعالى ﴿ إنَّ المُجرمينَ فى ضَلاَل وسَعَر ﴾ إلى آخر السورة .

وروى عن عمرو بن زرارة[6] أنه قال : سمعت أبى يقول : كنت جالسًا عند رسول الله ﷺ فقرأ ﴿ إنَّ المجرِمينَ فى ضَلاَل وسَعَر ﴾ إلى آخر السورة . ثم

---

(١) سورة القمر ٤٩ .
(٢) سورة الأنبياء ٢٣ .
(٣) أخرجه مسلم .
(٤ ، ٥) سورة القمر ٤٩ و ٤٦ .
(٦) تابعى وقد وهم ابن قانع فى عده من الصحابة . راجع الإصابة .

قال : « إنما نزل هذا فى ناس يكونون فى آخر أمتى يكذبون بالقدر »[1] وقيل لابن عباس أن قومًا يتكلمون فى القدر فقال : نزل فيهم قوله تعالى : ﴿ ذُوقوا مَسَّ سَقَر إنا كُلَّ شىء خَلَقْناهُ بقَدَر ﴾[2] . إن مرضوا لا تعودوهم ، وإن ماتوا لا تصلوا على جنائزهم ، ولو أرى واحدًا منهم لقلعت بهاتين الاصبعين عينيه . ولما نزل قوله تعالى : ﴿ إنا كل شىء خلقناه بقدر ﴾ قيل لرسول الله ﷺ ففيم العمل ؟ فقال رسول الله ﷺ : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له »[3] . قال على بن أبى طالب رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : « إن الله قدر التقادير ، ودبر التدابير ، قبل أن خلق آدم عليه السلام بالفى عام »[4] ولم يرد بها تخصيص هذه الأمة ، ولكنه أراد أن يقدر فى نفوس السامعين أن التقادير كانت سابقة فى العلوم قبل خلق آدم عليه السلام .

وروى أبو هريرة أن النبى ﷺ قال : « الإيمان بالقدر يذهب الغم »[5] .

وقال ابن عباس لما كثرت القدرية بالبصرة خربت البصرة ، أو لفظ هذا معناه ، وروى عن جماعة السلف الصالح أنهم قالوا : إذا سلم عليك القدرى فأجب كما تجيب اليهود وقل وعليك . وقد بين الله تعالى الرد عليهم بأشفى بيان فى قوله : ﴿ ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جآءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد ﴾[6] فبين أن الأمور كلها بمشيئة الله تعالى وإرادته . وقد أورد أبو القاسم بن حبيب[7] فى تفسيره باسناده . ان على بن أبى طالب رضي الله عنه سأله سائل عن القـدر ؟ فقال : طريق دقيق لا تمشِ فيه ، فقـال يا أمير المؤمنين أخبرنى عن القـــدر ؟ فقال : بحر عميق لا تخضِ فيه ، فقال يا أمير المؤمنين أخبرنى عن القدر ؟ فقال : سر خفى الله لا تفشه ،

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الكبير . وقال الهيثمى فى سنده من لا أعرفه . والثانى أخرجه الطبرانى أيضًا وفى سنده عبد الوهاب بن مجاهد .

(٢) سورة القمر ٤٨ و ٤٩ .

(٣) أخرجه البخارى وغيره .

(٤) ولفظ (م ، ت) كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة . ولفظ المصنف ليس بذلك .

(٥) أخرجه الخطيب والديلمى ووهاه ابن الجوزى .

(٦) سورة البقرة ٢٥٣ .

(٧) هو الحسن بن محمد النيسابورى أشهر مفسرى خراسان توفى سنة ٤٠٦ هـ وهو من شيوخ البيهقى .

فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر ؟ فقال على ﷺ يا سائل إن الله تعالى خلقك كما شاء أو كما شئت ؟ فقال كما شاء · قال : إن الله تعالى يبعثك يوم القيامة كما شئت أو كما يشاء ؟ فقال : كما يشاء فقال يا سائل لك مشيئة مع الله أو فوق مشيئته أو دون مشيئته ، فإن قلت مع مشيئته ادعيت الشركة معه ، وان قلت دون مشيئته استغنيت عن مشيئته ، وان قلت فوق مشيئته كانت مشيئتك غالبة على مشيئته ثم قال : ألست تسأل الله العافية ؟ فقال نعم · فقال فعماذا تسأله العافية ؟ أمن بلاء هو ابتلاك به ، أو من بلاء غيره ابتلاك به · قال من بلاء ابتلانى به ، فقال : ألست تقول « لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم » ؟ قال بلى · قال تعرف تفسيرها ؟ فقال لا يا أمير المؤمنين علمنى مما علمك الله فقال تفسيره : أن العبد لا قدرة له على طاعة الله ، ولا معصيته إلا بالله عز وجل · يا سائل إن الله يسقم ويداوى ، منه الداء ، ومنه الدواء · أعقل عن الله · فقال السائل عقلت · فقال له ألا صرت مسلمًا قوموا إلى أخيكم المسلم وخذوا بيده · ثم قال على : لو وجدت رجلاً من أهل القدر لاخذت بعنقه ولا أزال أضربه حتى أكسر عنقه فإنهم يهود هذه الأمة ·

وقد قال الشافعي رحمه الله[1] في هذا المعنى الذى إليه أشار أمير المؤمنين :

ما شِئتَ كانَ وَإنْ لَمْ أشأ ... وما شِئتُ إنْ لم تَشأ لَم يكنْ
خَلقْتَ العبادَ لما قَدْ عَلِمْتَ ... فَفِى العِلم يَجرى الفَتَى والمُسِنْ
على ذَا مَنَنْتَ وَهَذا خَذَلْتُ ... وهذا أعنت وذا لم تعن
فهذا سَعِيدٌ وَهَذَا شَقِىٌّ ... وَهَذا قَبِيحٌ وهَذا حَسَنْ

فقوله ففى العلم يجرى الفتى والمسن رد على المعتزلة فى جميع ما يوردونه من الشبه فى التعديل والتجوير لأنهم وإن خالفوا فى الإرادة لم يمكنهم الخلاف فى العلم لإطباق الأمم على استحالة الخلاف فى المعلوم ·

وقد ورد فى الأخبار أن الله تعالى لما أمر موسى عليه السلام أن يذهب إلى فرعون فقال : كيف أذهب وأنت تعلم أنه لا يؤمن · فقال : أفعل ما تؤمر فإن فى السماء اثنى عشر ملكًا يريدون أن يدركوا علم القدر ولم يدركوه ، وإنما قاله على معنى أنهم كانوا يطلبون علم قوله ولا يدركون علم فعله · يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد ·

---

(١) هو أحد الأئمة الأربعة محمد بن ادريس المطلبى توفى سنة ٢٠٤ هـ · ﷺ ·

وروى عن ابن عباس أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ينادى يوم القيامة مناد أين خصماء الله فيقوم القدرية ووجوههم سود وأعينهم زرق وأفواههم عوج يسيل منها اللعاب وهم يقولون تالله ما عبدنا من دونك شمساً ولا قمراً ، ولا نتخذ دونك إلها »[1] فقال ابن عباس صدقوا بالله فيما قالوا . ولكن أتاهم الشرك من حيث لا يعلمون . ثم تلا ابن عباس قوله تعالى : ﴿ يَومَ يَبْعَثُهم اللهُ جَميعًا فَيحلفونَ له كما يحلفون لَكُم ويَحْسَبون أنهم عَلَى شىء ألاَ إنَّهُم هُمُ الكاذبون ﴾[2] ثمَ قال ثلاث مرات إنهم القدرية . واعلم أن الذين ذكرناهم من فرقهم يعدون فى فرق الإسلام وبقى منهم فريقان آخران لا يعدون من فرق الإسلام . نذكرهم فيما بعد من الفرق الذين لا يعدون فى فرق الإسلام إن شاء الله تعالى .

* * *

---

(١) أخرجه الطبرانى إلى قوله « فيقوم القدرية » وفى سنده محمد بن الفضل بن عطية المروزى وله رواية أخرى فى سندها بقية مدلس وحبيب بن عمرو مجهول .

(٢) سورة المجادلة ١٨ .

الباب السادس

فى تفصيل مقالات المرجئة وبيان فضائحهم

وجملة المرجئة ثلاث فرق يقولون بالإرجاء فى الإيمان . غير أن فريقًا منهم وافقوا القدرية فى القول بالقدر . مثل غيلان الدمشقى ، وأبى شمر المرجىء ، ومحمد بن شبيب البصرى . وهؤلاء داخلون فى قول النبى ﷺ : « إن القدرية والمرجئة لُعنتا على لسان سبعين نبيًا »[1] فيستحقون اللعن من وجهين . من جهة القول بالإرجاء ، ومن جهة القول بالقدر . ووافق فريق منهم الجهمية فى القول بالجبر . فجمعوا بين دعوى الجبر والإرجاء ، وانفرد فريق منهم بالإرجاء المحض لا يقولون بالجبر ولا بالقدر . واعلم أن الإرجاء فى اللغة هو التأخير وإنما سموا مرجئة لأنهم يؤخرون العمل من الأيمان على معنى أنهم يقـولون « لا تضر المعصية مع الإيمان ، كما لا تنفع الطاعة مع الكفر »[2] وقولهم بالإرجاء خلاف قول المسلمين قبلهم وهؤلاء افترقوا خمس فرق .

الفرقة الأولى : **اليونسية** وهم اتباع يونس بن هون وكان يقول : إن الإيمان فى القلب وفى اللسان ، وحقيقته المعرفة بالله سبحانه والمحبة له ، والخضوع له والتصديق لرسله وكتبه ، قال : ومعرفتها فى الجملة إيمان فكأن كل خصلة من خصال الإيمان ليس بإيمان ولا بعض إيمان وجملتها إيمان .

الفرقة الثانية : منهم **الغسانية** وهم أتباع غسان المرجىء[3] الذى كان يقول

---

(١) أخرج معنى هذا الحديث الطبرانى فى الكبير وفى سنده بقية ومجهول كما سبق .

(٢) وهذه بدعة شنيعة يبرأ منها أهل الدين فيجب التروى فى عزوها . والمصنف تساهل فى شرح مذاهب المرجئة ، وأما الإرجاء الذى ينسب إلى الحسن بن محمد بن الحنفية فهو إرجاء السنة الذى يخـالف به الخوارج والمعتزلة فى إخراج مرتكب الكبيرة من الإيمان وتخليده فى النار ، وهو القول بإرجاء أمره إلى الله إن شاء عفا عنه ، وعلى ذلك جمهور أهل الحق .

(٣) تمسك بظاهر حديث (الإيمان يزيد ولا ينقص) راجع انتقاد المغنى . ووهم المقريزى فى عد غسان هذا ابن أبان لأن غسان بن ابا يمامى لا كوفى ولا هو بصاحب محمد بن الحسن .

الإيمان إقـــرار بالله ومحبة لله تعالى وتعظيم له ، وهو يقبل الزيادة[١] ولا يقبـل النقصان . على خلاف ما قاله أبو حنيفة رحمه الله[٢] حيث قال : لا يزيد ولا ينقص[٣] . وكان يقول كل خصلة من خصال الإيمان بعض الإيمان بخلاف ما حكيناه عن اليونسية .

الفرقة الثالثة : منهم **التومنية** أصحاب أبى معاذ التُّوْمَنى[٤] الذى كان يقول : الإيمان ما وقاك عن الكفر ، وأن الإيمان اسم يقع على خصال كثيرة كل من ترك خصلة منها كفر ، والخصلة الواحدة منها لا تسمى إيمانًا ولا بعض إيمـان ، وكان يقول : لو ترك فريضة مما تعد فى الإيمان عنده يقال فيه فسق ولا يقال أنه فاسق ، وكان يقول : إن الفاسق على الاطلاق من ترك جميع خصال الإيمان وأنكرها كلها .

الفرقة الرابعة : منهم **الثوبانية** أصحاب أبى ثوبان المرجىء الذى كان يقول : الإيمان إقرار ومعرفة بالله وبرسله وبكل شىء يقدر وجوده فى العقل .

---

(١) ولعل ما ذكره السمعانى والشهرستانى وغيرهما عنه فى الكعبة وغيرها من قبيل ما ذكره ابن حزم فى الفصل (٣ / ٢٤٩) فى الأصل ثم ولدوه . وقد سبق افتراء مثل ذلك على أبى حنيفة من الكذاب المعروف الحارث بن عمير . وما فى (مقالات الإسلاميين) مما يعزى إلى عمرو بن أبى عثمان الشمزى لعله غلط من كفاية المعرفة الإجمالية فى الإيمان ابتداء ، والشمزى من رؤس الضلال أخذ عن واصل وعمرو بن عبيد الاعتزال فلا يتصور صحة الإسناد فى مثل هذا الخبر الذى لا خطام له ولا زمام ، والتوليد شأن الخصوم غير المتورعين .

(٢) هو أحد الأئمة الأربعة النعمان بن ثابت بن النعمان بن المرزبان بن وزطى بن ماه . فى التحقيق توفى سنة ١٥٠ هـ . رضي الله عنه .

(٣) لأن العقد الجازم لا يحتمل النقيض ، وعد العمل ركنًا يجر إلى معتقد الخوارج أو المعتزلة ، ومحققوا علماء أصول الدين مع أبى حنيفة فى ذلك وإن سبق أن رماه بعض من لم يحط خبرًا بالمسألة بالإرجاء لإرجائه العمل من الركنية فقط كما نص عليه حديث مسلم ، ولكن هذا إرجاء سنة لا يعدوه الحق وزعم خلاف ذلك موقع فى معتقد الخوارج أو المعتزلة كما سبق ، وأول من سمى أهل الجماعة بالمرجئة هو نافع بن الأزرق الخارجى كما رواه ابن أبى العوام ، بسنده عن عطاء . وفى نقل ذلك طول ، ورسالة أبى حنيفة إلى إمام أهل البصرة عثمان بن مسلم البتى فى الإرجاء مما يجلو حقيقة الأمر ، وهى من محفوظات دار الكتب المصرية .

(٤) بضم التاء وسكون الواو وفتح الميم بعدها نون نسبة إلى قرية بمصر كما فى أنساب السمعانى .

فزاد هذا القائل القول بالواجبات العقلية بخلاف الفرق الباقية .

الفرقة الخامسة : منهم **المريسية** أصحاب بشر المريسى[١] ومرجئة بغداد من أتباعه ، وكان يتكلم بالفقه على مذهب أبى يوسف القاضى ، ولكنه خالفه بقوله إن القرآن مخلوق ، وكان مهجوراً من الفريقين وهو الذى ناظر الشافعى رضي الله عنه فى أيامه[٢] ، فلما عرف الشافعى أنه يوافق أهل السنة فى مسألة والقدرية فى مسألة ، قال له : نصفك مؤمن ونصفك كافر ، وكان يقول : الإيمان هو التصديق بالقلب واللسان كما قاله ابن الراوندى هذه فرق المرجئة المحضة الذين يتبرأون عن القول بالجبر والقدر .

* * *

(١) توفى سنة ٢١٩ هـ وتفصيل أحواله فى تاريخ الخطيب وهو على سعته فى الفقه زلت قدمه حينما دخل فيما لا يعنيه .

(٢) وكان نزل عنده فى رحلته الثانية إلى بغداد .

الباب السابع

فى تفصيل مقالات النجارية وبيان فضائحهم

وهم اتباع الحسين بن محمد النجار[1] وهؤلاء يوافقون أهل السنة فى بعض أصولهم مثل خلق الأفعال ، والاستطاعة ، والإرادة ، وأبواب الوعيد ، ويوافقون القدرية فى بعض الأصول ٠ مثل نفى الرؤية ، ونفى الحياة ، والقدرة ، ويقولون بحدوث الكلام ، والقدرية يكفرونهم بسبب ما وافقوا فيه المعتزلة من المسائل ٠ ومما أطبق النجارية قولهم أن الإيمان هو المعرفة بالله وبرسله وبالفرائض التى أجمع عليها المسلمون ، والخضوع لله والإقرار بجميع ذلك باللسان ٠ وقالوا : إن كل خصلة من خصال الإيمان تكون طاعة ولا تكون إيمانًا ،وأن الإيمان يزيد ولا ينقص ، ويقولون : أن حقيقة الجسم أعراض مجتمعة كاللون ، والطعم ، والرائحة ، وما لا يخلوا عنه الجسم من جملة الأعراض ٠ويقولون : إن هذه الأعراض إذا اجتمعت كانت جسمًا ، وربما قالوا كانت جواهر ، وهذا متناقض لأن الجسم أو الجوهر لا يكون إلا قائمًا بنفسه ، والعرض لا يكون قائمًا بنفسه ٠ ويقولون : أن كلام الله إذا قرىء فهو عرض ، وإذا كتب فهو جسم ٠ قالوا : ولو كتب بالدم على موضع صار ذلك الدم كلام الله تعالى ٠ واختلف أصحاب النجار فى العبارة عن قولهم بخلق القرآن بعد اتفاقهم على أنه مخلوق ، وفى غيره اختلافًا كثيرًا فأشهرهم ثلاث فرق ٠

الفرقة الأولى : منهم **البرغوتية** اتباع محمد بن عيسى الملقب ببرغوث وكان على مذهب الحسين النجار إلا أنه خالفه فى قوله : أن المكتسب لا يكون فاعلاً على الحقيقة وكان يقول : ان الأفعال المتولدة فعل الله تعالى لا باختيار منه لكنه بإيجاب الطبع والخلقة ، وكان يخالف به النجار إذ كان النجار يوافق أهل السنة فى قولهم أن الأفعال المتولدة فعل الله تعالى لا بإيجاب الطبع والخلقة ٠

الفرقة الثانية : منهم **الزعفرانية** اتباع الزعفرانى الذى كان بالرى ، وكان يعبر عن مذهبهم بعبارات متناقضة فكان يقول : كلام الله تعالى غيره ، وإن كان ما هو

---

(١) كان من أصحاب المريسى ناظر النظام ولم يفلح فمات متأثرًا فتكون وفاته حوالى سنة ٢٣٠ هـ ٠

غيره فهو مخلوق . ثم كان يقول الكلب خير ممن يقول أن كلام الله مخلوق . ومن كان كلامه على هذا النمط كان الكلام فى عقله لا فى دينه .

الفرقة الثالثة : منهم **المستدركة** وهم قوم من الزعفرانية سموا بهذا الاسم لأنهم زعموا أنهم استدركوا على أسلافهم ما خفى عليهم . ثم افترقوا فرقتين فقالت فرقة منهم أن النبى ﷺ قال : كلام الله تعالى مخلوق . وقالوا : قاله على هذا الترتيب بهذه الحروف . قالوا : وكل من لم يقل أن النبى ﷺ قال هذا فهو كافر .

وقالت الفرقة الأخرى : أن النبى ﷺ لم يقل أن كلام الله تعالى مخلوق ، ولم يتكلم بهذه الكلمة على هذا الترتيب ، ولكنه يعتقد أن كلام الله تعالى مخلوق ، وتكلم بكلمات تدل على أن القرآن مخلوق .

ومن المستدركة أقوام يقولون : أن أقوال مخالفيهم كلها كذب ، وكان واحد من أهل السنة يباطن واحداً منهم فقال له السنى : أنت رجل عاقل ابن حلال لرشده . فقال له صاحبه : أنت كاذب فى هذا القول . فقال له السنى : أنت صادق فى وصفك قولى هذا بانه كذب فانقطع خصمه .



الباب الثامن

فى تفصيل مقالات الضرارية وبيان فضائحهم

وهم أتباع ضرار بن عمرو[1] وهو موافق لأهل السنة فى القول بخلق الأفعال وفى نفى التولد وهو موافق لأهل القدر فى قولهم أن الاستطاعة قبل الفعل لكنه زاد عليهم بأن قال يجب أن يكون مع الفعل أيضًا ، وفارقهم أيضًا بقولهم : أن الاستطاعة بعض من المطيع ، ووافق النجار فى قوله أن الجسم أعراض مجتمعة ، وزاد على الجميع بأن قال : إن الله يرى بحاسة سادسة خلاف الحواس الخمس التى هى مستعملة للخلق فيما بينهم ، وكان يقول : إن الله تعالى ماهية يرى هو فى تلك الماهية وكان ينكر قرآءة[2] ابن مسعود[3] وقرآءة أبى بن كعب[4] وكان يقول : أشهد أن الله تعالى ما أنزل ذلك على الخلق ، وكان يضلل هذين الإمامين من أعلام الصحابة فى مصحفيهما ، وكان يقول لا أدرى أن عوام المسلمين كفار أو مسلمون ، وكان لا

(١) له نحو ثلاثين مؤلفًا وكان غطفانيًا ، يقول أبو الحسين الملطى : أن المجلس كان له بالبصرة قبل أبى الهذيل ، قيل شهد عليه أحمد بن حنبل عند سعيد بن عبد الرحمن الجمحى القاضى فأمر بضرب عنقه فهرب . لكن الجمحى توفى سنة ١٧٦ هـ ولم يكن أحمد فى عهده فى سن الشهادة .

(٢) قراءة ابن مسعود المتواترة هى قرءة عاصم المنتشرة فى أقطار العالم وهى روايته عن زر بن جيش عنه ، وإنكار حرف منها يكون إنكاراً لبعض القرآن ، ويروى عنه قرآآت شاذة تجرى مجرى التفسير المأثور وحكمها كسائر القرآآت الشاذة ، وأبو عبد الرحمن السلمى شيخ عاصم عرض على أبى كما عرض على على كرم الله وجهه . وقراءتهما على حد سواء فيما تواتر عنهما وعن أبى بعض قراءات شاذة تجرى مجرى التفسير كتلك .

(٣) هو ابن أم عبد عبد الله بن مسعود الهذلى من كبار فقهاء الصحابة توفى سنة ٣٢ هـ رضي الله عنه .

(٤) هو من أقرىء الصحابة توفى سنة ٣٢هـ . فى التحقيق رضي الله عنه . وقيل سنة ٢٢هـ .

يحكم بظاهر حالهم ، وكان يقول لعل سرائرهم كلها شرك وكفر · وهذا خلاف إجماع أهل السنة حيث قالوا : أنا نقطع أن فى عوام المسلمين مؤمنين عارفين براء من الكفر والشرك ·

وكان يقــول : إن الله تعالى يسمى حيًا ، عالمًا ، قادرًا على معنى أنه ليس بميت ، ولا جاهل ، ولا عاجز ، لا على معنى أن له صفة ترجع إلى ذاته · وهذا الكلام منه يوجب أن يكون العرض حيًا ، عالمًا ، قادرًا لأنه ليس بميت ولا جاهل ولا عاجز ·

* * *

الباب التاسع

فى تفصيل مقالات الجهمية وبيان فضائحهم

وهم أتباع جهم بن صفوان[1] وكان من مذهبه أن لا اختيار لشىء من الحيوانات فى شىء مما يجرى عليهم فإنهم كلهم مضطرون لا استطاعة لهم بحال ، وأن كل من نسب فعلاً إلى أحد غير الله فسبيله سبيل المجاز، وهو بمنزة قول القائل سقط الجدار ، ودارت الرحى ، وجرى الماء ، وانخسفت الشمس ، وهذا القول خلاف ما تجده العقلاء فى أنفسهم لأن كل من رجع إلى نفسه يفرق فى نفسه بين ما يرد عليه من أمر ضرورى لا اختيار له فيه وبين ما يختاره ويضيفه إلى نفسه · كما أن كل عاقل يفرق بين كل حركة ضرورية كحركة المرتعش ، وحركة المختار ، يجد العاقل فى نفسه فرقًا بينهما · ومن أنكر هذه التفرقة لم يعد من العقلاء · وكل ما ورد فى القرآن من قوله يعملون ، ويعقلون ، ويكسبون ، ويصنعون حجة عليهم· وكذلك قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينة ﴾[2] ولو لم يكن للعبد اختيار كان الخطاب معه محالاً ، والثواب والعقاب عنه ساقطين كالجمادات فقد رد الله على الجبرية والقدرية فى آية واحدة حيث قال : ﴿ ومَا رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ ولَكِنَّ اللهَ رَمَى ﴾[3] معناه وما رميت من حيث الخلق إذ رميت من حيث الكسب، ولكن الله رمى من حيث الخلق والكسب · خلقه خلقًا لنفسه كسبًا لعبده فهو مخلوق لله تعالى من وجهين ·

ومن ضلالات جهم قوله : أن الجنة والنار تفنيان كما تفنى سائر الأشياء · ومن ضلالاته قوله : أن علم الله تعالى حادث ، وأنه لا يعلم ما يكون حتى يكون ·

وكان يقول : إن الله تعالى لا يوصف بشىء مما يوصف به العباد فلا يجوز أن يقال فى حقه أنه حى ؛ أو عالم ، أو مريد ، أو موجود ، لأن هذه صفات تطلق

---

(١) هو الراسبى الزائغ · وتفصيل أحواله فى لفت اللحظ إلى ما فى الاختلاف فى اللفظ ، وقوله فى خلق القرآن والجبر ونفى العلم بالمتجددات ، ونفى الخلود مثار فتن عند كثير من الزائغين قتل سنة ١٢٨ هـ ·

(٢) سورة المدثر ٣٨ ·

(٣) سورة الأنفال ١٧ ·

على العبيد . وقال : أنما يقال في وصفه أنه قادر ، موجد ، فاعل ، خالق ، محيي ، ومميت ، لأن هذه الصفات لا تطلق على العبيد .

وكان يقول : كلام الله حادث ولكن لا يجوز أن يسمى متكلمًا بكلامه . ومع هذه البدع التي حكيناها عنه كان يعاني الخروج ، وتعاطي السلاح ، وكان يحمل السلاح ، ويخرج على السلطان ، وينصب القتال معه ورافق سريج بن الحارث[١] في وقايعه ، وخرج على نصر بن سيار حتى قتله سلم بن أحوز المازني في آخر أيام المروانية[٢] . وأكثر اتباعه اليوم بنواحي ترمذ ، وأهل السنة يكفرونهم لقولهم بأن علم الله حادث ، وأنه لا يعلم ما يكون حتى يكون ، وأن كلامه حادث وأهل القدر أيضًا يكفرون لقولهم بخلق الأفعال .

* * *

(١) كان قام ضد المروانية على واليهم بخراسان نصر بن سيار يدعوهم إلى الكتاب والسنة ومعه جهم هذا - لحاجة في النفس - وليس هذا موضع بسط لأنبائهما .

(٢) سنة ١٢٨ كما يقول ابن جرير . وقيل في سنة ١٣٢ وأما ما في « البرهان في بيان عقائد أهل الأديان » المنسوب إلي عباس بن منصور السكسكي المجهول من أن ذلك كان في عهد المنصور فتخليط ظاهر . وكم له من هذا القبيل على زيغه ، ولم يكن الرجل من رجال هذا العلم . وكان من عادة الحشوية نبز خصومهم من المنزهين بالتجهم أفكا وزورا . وإنما الجهمي حقيقة هو من ارتأى الأهواء التي سردها المصنف هنا .

الباب العاشر

فى تفصيل مقالات البكرية وبيان فضائحهم

وهم أتباع رجل اسمه بكر ابن أخت عبد الواحد[1] بن زيد وكان فى أيام النظام وكان يوافقه فى قوله : أن الإنسان هو الروح لا هذا القالب الذى تكون الروح فيه ؛ وكان يقول فى التولد بقول أهل السنة ، وكان ينفرد بضلالات تكفره بها الكافة ·

منها قوله : أن الله تعالى يرى يوم القيامة فى صورة يخلقها يكون فيها ، ويكلم العباد من تلك الصورة ·

ومنها أنه كان يقول : من وجد منه كبيرة من أهل القبلة فهو منافق ، وعابد الشيطان ، وإن كان من أهل القبلة ، ويكون في الدرك الأسفل من النار مع المنافقين خالدًا مخلدًا · ومع هذا كان يقول : أنه مؤمن مسلم ·

وكان يقول : فى على وطلحة والزبير أنهم أذنبوا ذنوبًا كفروا بذلك وصاروا مشركين ، ولكن الله يغفر لهم لأن النبى ﷺ قال : إن الله تعالى اطلع على أهل بدر وقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ، وكان يقول : مقالاً لا يقبله عقل العاقل وذلك أنه كان يقول : أن الصبيان فى المهد لا يجدون ألمًا حتى لو حرقوا ، وقطعوا ، وقرضوا ، بالمقراض وهم يبكون ، ويضجون ، ويصيحون ولا ينالهم من ذلك ألم بحال · وكان مع هذه البدع يتكلم فى الفقه ويقول : بتحريم الثوم ، والبصل · وكان يقول : متى ما تحرك ريح فى الجوف وجب به الطهارة ، ومن كان هذا حاله فى انتحال مثل هذه البدع لم يعد خلافه خلافًا فى الشريعة ونسأل الله سبحانه وتعالى العصمة من مثل هذه الأقوال الفظيعة ·

* * *

---

(١) من أصحاب الحسن البصرى زاهد ، صوفى متروك الحديث · وابن اخته بكر من أضل خلق الله بالنظر إلى ما يسرده المصنف هنا ، ومن الغريب قول ابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث (وهو من أحسنهم حالاً فى التوقى) ولعله وجد فى كلامه فى الصورة ما يوافق هواه فخفف اللهجة معه ·

الباب الحادى عشر

فى تفصيل مقالات الكرامية وبيان فضائحهم

وجملة الكرامية ثلاث فرق : **حقائقية ، وطرائقية ، وإسحاقية** . ويعد جميعهم فريقًا واحدًا إذ لا يكفر بعضهم بعضًا ، وزعيمهم محمد بن كرام[1] كان من سجستان فنفى عنها فوقع فى غرجستان فاغتر بظاهر عبادته أهل شومين ، وافشين ، وانخدعوا بنفاقه ، وبايعوه على خرافاته وخرج معه قوم إلى نيسابور فى أيام محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر فاغتر بما كان يريه من زهده جماعة من أهل السواد فدعاهم إلى بدعه ، وافشى فيهم ضلالاته ، واتبع بها قوم من أتبعه ، وتمردوا على نصرة جهالاته وما أحدثه من البدع فى الإسلام أكثر من أن يمكن جمعه فى هذا المختصر . ولكنا نذكر من كل نوع شيئًا يتنبه به العاقل عن فساد ما كان ينتحله .

منها : انه كان يسمى معبوده جسمًا ، وكان يقول : له واحد من الجانب الذى ينتهى إلى العرش ولا نهاية له من الجوانب الأخر . كما قالت الثنوية فى معبودهم أنه نور متناه من الجانب الذى يلى الظلام ، فأما من الجوانب الخمس الأخر فلا يتناهى[2] . وقد ذكر فى كتاب عذاب القبر أن معبوده أحدى الذات ، أحدى الجوهر ،

---

(١) شيخ الكرامية من المجسمة كان له فى خراسان من الأتباع المتقشفين ما يزيد على عشرين ألفًا ، وكان له مثل ذلك فى أرض فلسطين ضل به خلائق من أهل سجستان وأهل فلسطين توفى سنة ٢٥٥ هـ . له ترجمة واسعة عند ابن عساكر .

(٢) وتجد عين هذا التخريف فى « إبطال التأويل » للقاضى أبى يعلى الحنبلى ، وينقل نص كلامه ابن تيمية فى رده على أساس التقديس كما أشرنا إلى ذلك فى مواضع كثيرة ، وكثير من الكرامية القائلين بحلول الحوادث فى الله سبحانه وحلوله فى الحوادث تعالى الله عن ذلك اندسوا بين الحنابلة فأضلوا خلائق ولله فى خلقه شؤون . وكذلك فعل البربهارية والسالمية . قال عبد القاهر البغدادى فى التبصرة البغدادية - وهى التى طبعت فى الآستانة حديثًا باسم أصول الدين - « وأما جسمية خراسان من الكرامية فتكفيرهم واجب لقولهم : بأن الله له حد ونهاية من جهة السفل ومنها يماس عرشه ولقولهم : بأن الله محل للحوادث وإنما يرى الشىء برؤية تحدث فيه ، ويدرك ما يسمعه بإدراك يحدث فيه ولولا حدوث الإدراك فيه لم يكن مدركاً لصوت ولا مدركاً لمرئى . وقد أفسدوا بإجازة حلول الحوادث فى ذات الله تعالى =

واطلق عليه اسم الجوهر كما أطلقه النصارى . وأتباعه يتبرأون من إطلاق اسم الجوهر ، ويطلقون عليه اسم الجسم . كامتناع المعروف شيطان الطاق من الروافض من إطلاق اسم الجسم عليه ، ثم قوله على أنه على صورة إنسان . فكان ما فروا إليه شرًا مما فروا عنه . ومما ذكر فى ذلك الكتاب قوله تعالى مماس للعرش والعرش مكان له . ولما نظر أتباعه إليه فروا مما فيه من الشنعة فقالوا : لا نقول أنه مماس للعرش ، ولكنا نقول أنه ملاق للعرش . وليت شعرى أى تفرقة بينهما لولا غباوة الخلق وغفلتهم عن التحقيق . وسأل بعض أتباع الكرامية فى مجلس محمود بن سبكتكين - سلطان زمانه رحمه الله[1] - امام زمانه أبا إسحاق الإسفراينى رحمه الله[2] عن هذه المسألة فقال : هل يجوز أن يقال الله سبحانه وتعالى على العرش ، وأن العرش مكان له ؟ فقال : لا . وأخرج يديه ووضع إحدى كفيه على الأخرى وقال : كون الشىء على الشىء يكون هكذا . ثم لا يخلو أن يكون مثله أو يكون اكبر منه أو أصغر منه ، فلابد من مخصص خصه ، وكل مخصوص يتناهى ، والمتناهى لا يكون إلهًا ، لأنه يقتضى مخصصًا ومنتهى وذلك علم الحدوث فلم يمكنهم ان يجيبوا عنه فاغروا به رعاعهم حتى دفعهم عنه السلطان بنفسه . فلما دخل عليه وزيره أبو العباس الإسفراينى[3] قال له محمود (كجابودى ؟ أين هم شهرى تواخدى كراميان را بسرايشان به زد)[4] .

ولما ورد عليهم هذا الإلزام تحيروا فقال قوم منهم أنه أكبر من العرش وقال أنه مثل العرش . وارتكب ابن المهاجر منهم قوله أن عرضه عرض العرش . وهذه الأقوال كلها متضمنة لإثبات النهاية وذلك علم الحدوث لا يجوز أن يوصف به صانع العالم .

= لأنفسهم دلالة الموحدين على حدوث الأجسام بحلول الحوادث ، وإذا لم يصح على أصولهم حدوث العالم لم يكن لهم طريق إلى معرفة صانع العالم وصاروا جاهلين به » ا هـ . وبذلك يعلم حكم من يقول من الحشرية بإثبات الحركة ، والقعود ، والجلوس ، والمشى ، والنقل ، والصوت والمماسة ، والحد ، والجهة والاستقرار ونحوها له تعالى . تعالى الله عن ذلك .

(١) هو أحد الملوك الغزنوية وهو فاتح الهند ، وتفصيل أحواله فى تاريخ العتبى، توفى سنة ٤٢١ هـ .

(٢) هو المتكلم البارع إبراهيم بن محمد أحد الأئمة الأعلام توفى سنة ٤١٨ هـ .

(٣) هو وزير السلطان محمود الغزنوى السابق ذكره راجع تاريخ العتبى .

(٤) معناه . أين كنت ؟ بلديك هذا قد حطم معبود الكراميين على رؤسهم .

ومما ابتدعوه من الضلالات مما لم يتجاسر على إطلاقه قبلهم واحد من الأمم لعلمهم بافتضاحه هو قولهم : بأن معبودهم محل الحوادث[1] تحدث فى ذاته أقواله ؛ وإرادته وإدراكه ، للمسموعات والمبصرات ، وسموا ذلك سمعًا ، وتبصرًا ، وكذلك قالوا : تحدث فى ذاته ملاقاته للصفحة العليا من العرش · زعموا أن هذه أعراض تحدث فى ذاته · تعالى الله عن قولهم · قالوا : إن هذه الحوادث هى الخلق ، والقدرة ، تتعلق بهذه الحوادث والمخلوق يقع تحت الخلق لا تتعلق به القدرة ، فالخلق عندهم هو القدرة على التخليق ، وهو قوله لما يريد أن يخلقه كن جوهرًا ، وهذا يوجب أن يحدث فى ذاته كاف ، ونون ، وجيم ، وواو ، وهاء ، وراء ، وألف ، وسمع ، وإرادة · قالوا : وإذا أراد إعدام شيء يقول له افن فيصير الشيء فانيًا · والإفناء والإعدام يكونان فى ذاته لا يفنيان ، وهذا يوجب أن يكون الشيء موجودًا معنى لوجود الإعدام ، والإيجاد فى ذاته على زعمهم · وإن قالوا أنهما يغنيان عن ذاته حكموا بتعاقب الحوادث وهو أول ما يستدل به على حدوث الأجسام · كيف وقولهم يوجب أن الحوادث فى ذاته سبحانه أضعاف الحوادث فى العالم · فإذا دلت حوادث العالم على حدوثه فما هو أضعاف تلك الحوادث أولى أن يدل على حدوث محلها ولم يجد هؤلاء فى الأمم من يكون لهم القول بحدوث الحوادث فى ذات الصانع غير المجوس فرتبوا مذهبهم على قولهم ·

وذلك أن المجوس قالوا : تفكر « يزدان » فى نفسه أنه يجوز أن يظهر له منازع ينازعه فى مملكته ، فاهتم لذلك فحدثت فى ذاته عفونة بسبب هذه الفكرة فخلق منها الشيطان · فلما سمعت **الكرامية** هذه المقالة بنوا عليها قولهم بحدوث الحوادث فى ذاته سبحانه · تعالى الله عن قولهم · فلزمهم أن يجوزوا حلول الألم واللذة ، والشهرة ، والموت ، والعجز ، والمرض عليه فإن من كان محلا للحوادث لم يستحل عليه هذه الحوادث كالأجسام ·

---

(١) ومن المصيبة أن يأخذ مثل ابن تيمية بمثل هذه الفضيحة فى صراحة لا مزيد عليها ويسكت أهل الشأن عن الرد عليه كما يجب ، ومذهب ابن تيمية فى الاعتقاد على لفه ودورانه وجريه على مراحل ، خليط من مذهبى ابن كرام والبربهارى بنوع من التفلسف بفلسفة ابن ملكا اليهودى فى المعتبر ، وليس لتشغيبه حظ أصلا من مذهب السلف الصالح ، وأين الخوض من التنزيه مع التفويض ؟ ·

ومما احدثوه من البدع قولهم : أن كل اسم يشتق له من أفعاله كان ذلك الاسم ثابتًا له فى الأزل · مثل الخالق ، والرازق ، والمنعم ، وقالوا : أنه كان خالقًا قبل أن خلق ، ورازقًا قبل أن رزق ، ومنعمًا قبل أن أنعم · فقيل لهم إذا لم يكن خلق فبماذا يكون خالقًا ؟ فقالوا : خالق بخالقية ، ورازق برازقية ثم طردوا - سخنت عيونهم فقالوا : عليم بعالمية ، قادر بقادرية ، لا بعلم ، ولا بقدرة ، وإن كان له علم وقدرة · فلحقوا بالمعتزلة فى قولهم أنه عليم قادر لا بقدرة ، وزادوا عليهم قولهم أن له علمًا · ثم امتنعوا أن يقولوا أنه فى الأزل خالق بخلقه أو لخلقه قالوا · إذا لم يكن خلق لا يمكن أن يقال إنه خالق بخلقه · وهذا يوجب عليهم أن لا يمكنهم القول بأنه خالق فى الأزل إذ لا خالق بلا خلق ، كما لا يمكنه القول بأنه خالق لخلقه إذ لا خالق بلا خلق ، كما لا خالق للخلق إلا بخلق ·

وقولهم بالخالقية والعالمية إحداث لفظ لم يتكلم به عربى ، ولا عجمى ، ولا تعجب منهم أن يحدثوا مثل هذه العبارة ، وقد تكلم زعيمهم فى كتاب عذاب القبر مما هو أعجب منه فقال : باب كيفوفية الله · فلا يدرى العاقل مم يتعجب من لفظه الذى أطلقه ، أو من حسن معرفته بمواضـــع العربية · وليت شعرى كيف أطلق الكيفية عليه ، ولعله أراد أن يخترع من نفسه عبارة لم يسبق إليها تليق بعقله فإنه قد قال فى هذا الكتاب لما أراد أن يعبر عن مكان معبوده فقال : له حيثوثية يختص بها وأراد أن يتكلم على مخالفيه فقال : إذا قال لك الشكاك باحموقيتهم · وهذا الكتاب الملقب بعذاب القبر أصل مذهبهم ، وحكمه فى الوصف والمعنى كما ذكرت لك · ولما اغتر بهم بعض اغمار الولاة نفق لهم سوق تطاولوا به على الرعايا ، فلحق بهم أقوام مسهـــم شىء من الفضل فى باب الأدب فاستحيوا من إظـهار كتابه الملقب بعذاب القبر ، فوضعوا كتابًا آخر سموه بهذا الاسم ونسبوه إليه وهم يظهرونه وأخفوا أصله الذى صنفه ·

واعلم أن من نوادر جهالاتهم فرقهم بين القول والكلام · وقولهم أن كلام الله قديم ، وقوله حادث وليس بمحدث ، وله حروف وأصوات ، وإنما هو قدرته على التكليم والتكلم · وأى عاقل يسوغ تفسير الكلام بالقدرة · وقالوا : كلامه ليس بمسموع ، وقوله مسموع · ومن سوء اختيارهم لحوقهم بالمعتزلة فى القول بالواجبات العقلية قبل ورود الشرع ، وفى القول بإيجاب أشياء وحظر أشياء على الله تعالى ،

وترتيبهم عليه شريعة كما رتبها عليهم . ومن كانت هذه مقالته لم يكن فى نفسه الانقياد للعبودية ، وإنما يطلب درجة المساواة معه . ونعوذ بالله من قول يؤدى إلى ذلك .

ومن بدعهم فى باب النبوة والرسالة قولهم : إن النبوة والرسالة عرضان حالاّن فى الرسول والنبى والنبوة ليست هى المعجزة ، ولا الوحى ، ولا العصمة . ويزعمون أن من حصل فيه ذلك المعنى وجب على الله تعالى أن يرسله إلى الخلق رسولا بذلك المعنى ، فإذا أرسله يكون مرسلا ولم يكن قبله مرسلا ولهذا المعنى يقولون : أن النبى ﷺ فى القبر رسول وليس بمرسل ، والذى عليه أهل السنة أنه فى القبر رسول ومرسل على معنى أن الله تعالى أرسله وأنه أدى رسالته ، وهذا الاسم مستحق له وإن كان قد فرغ من ذلك الفعل كما أن المؤمن فى قبره مؤمن على معنى أن هذا الاسم مستحق له فيما تقدم من فعله . وكذلك فى العرف والعادة يطلق اسم ما فعله الانســان من قبيح وإن كان قد فرغ من فعله . كما يسمى حاجًا ، وغازيًا ، أو سارقًا ، أو زانيًا ، وإن كان قد فرغ من فعله . وكذلك اسم الحرف كالخياط ، والنجار ، والصفار وان كان فارغًا من فعله ، ولا عاقل يستجيز أن يقول أن المسمى بالرسول مشتغل بأداء رسالته فى قبره ، كما أن المسمى لهذه الأسماء التى عددناها لا يكون مشتغلاً بفعله الذى سمى به ولكنه يكون مستحقًا لوصفه بما سبق منه من فعله . واعلم بأن هذا الذى قالوه فى وصف الرسول من أن هذا المعنى فيه عندهم عرض خلق فيه قبل أن أوحى إليه ليس بكسب ولا له فيه كسب ، وما لا يتعلق بكسبه لا يكون له عليه أجر بحال كخلقه وخلقه ولونه وكونه .

ومن بدعهم فى باب الإمامـة أن عليًا ومعاوية كانا إمامين محقين فى وقت واحد ، وكان واجبًا على أتباع كل واحد منهما طاعة أميره . ولو كان كما قالوا لوجب أن يكون كل واحد منهما ظالمًا فى مقاتلة صاحبه . لأن من زاحم إمامًا عادلاً محقًا كان مبطلاً ظالمًا .

ومن بدعهم فى باب الإيمان قولهم : أن الإيمان قول مجرد لا هذا القول الذى يقوله القائل الآن أنه لا إله إلا الله . ولكن هذا القول الذى صدر عن ذرية آدم فى بعث الميثاق حين قال الله تعالى : ﴿ وإذْ أخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنى آدَمَ مِن ظُهُورِهم ذُرِّيَّتَهم

وأَشْهَدَهُم على أنفُسِهِم ألَسْتُ بِربِّكُم قالوا بلى ﴾[1] ويقولون : أن ذلك القول باق أبدًا لا يزول حكمه إلا أن يرتد عنه فحينئذ يزول حكمه · وقالوا : أن الزنديق أو المنافق إذا قال بلسانه لا إله إلا الله وفى قلبه النفاق والزندقة فهو مؤمن حقًا ، وإيمانه كإيمان الأنبياء والمرسلين · قالوا : إن المنافقين الذين كانوا فى عهد رسول الله ﷺ كان إيمانهم كإيمان جبريل ، وميكائيل ، وجميع الانبياء ، والأولياء ·

ومن خرافاتهم فى باب الفقه قولهم : أن الصلاة جائزة فى أرض نجسة ، وفى مكان نجس ، وفى ثياب نجسة ، وأنها جائزة وإن كان بدنه نجسًا[2] وزعموا أن الطهارة من النجاسة ليست بواجبة ، ولكن الطهارة من الحدث واجبة ، وزعموا أن غسل الميت ليس بواجب ، وأن الصلاة عليه ليست بواجبة ولكن تكفينه ودفنه واجب وزعموا أن الصلاة المفروضة والحج المفروض لا يحتاجان إلى النية ويكفى فيهما النية السابقة فى الذر الأول وكذلك فى جميع الفرائض ، ولكن النوافل تجب فيها النية لأنهم لم يقبلوها فى الذر الأول · وليتهم علموا أنهم من إين يقولون هذا ، ومن إين علموا أنه قد عرضت عليهم الفرائض بتفاصيلها وقبولها فإن كانوا يبنون هذا على ما فى القرآن ، وليس فى القرآن أكثر من عرض كلمة الإيمان عليهم ·

ومن حماقاتهم مع ما حكيناه من جهالاتهم فى الفروع ، والأصول ، أن زعيمًا من زعمائهم كان يريد تفصيل الكلام على الفقه ، وكان يقول أن علم الشافعى ، وأبى حنيفة جملته لا تخرج من سراويل امرأة ، ومن تكلم على سبيل التحقير على علم الشريعة ، وقصد الإزراء بأئمة الدين ، وتكلم فيهم وفى علم الشريعة بمثل هذا الكلام كان بعيدًا من أن يكون له حظ من الديانة · وكان من متأخريهم رجل يقال له إبراهيم بن مهاجر وكان يقول : أن الاسم عرض فى المسمى قائم به · وكان مع ذلك

---

(١) سورة الأعراف ١٨٢ ·

(٢) وبهذه الفروع يظهر أنه لا شأن لهم بمذهب أبى حنيفة فى الفقه أصلاً كما لا شأن لهم به فى الاعتقاد وليس قول أبى الفتح البستى « والدين دين محمد بن كرام » يراد به نحلة ابن كرام الزائغ بل دين سيدنا محمد ﷺ المتنقل من الأصلاب الطاهرة الكرام · ولم يكن السلطان محمود الغزنوى إلا مسلمًا حنيفيًا حنفيًا بريئًا من مذهب هؤلاء الهمج الأشرار · وإن كان من يدين بمذهبهم يوجد فى المملكة الغزنوية ، وبهذا يظهر أيضًا وهم من يخفف الراء من ابن كرام على خلاف المشهور استدلالاً ببيت البستى ·

يقــول : أن الله تعالى جسم . وكان يقول : أن قول القائل الله ، الرحمن ، الرحيم ، الخالق ، الرازق كلها أعراض فى المسمى .

وكان يجرى ذلك فى أسماء الناس . وكان يقول : أن الزانى ليس بجسم بل هو عرض فى جسم ، وأن الحد يكون حداً على الجسم لا على الزانى . وهكذا كان يقول فى السارق وغيره من الأسماء ، وهذا يوجب أن يكون معبوده عرضاً لا ذات البارى جل جلاله ومن أراد ان يجمع كتاباً يحصر فيه فضائحهم طال عليه الأمر وتعذر عليه الحصر . فنسأل الله التوفيق والعصمة من كل إلحاد وبدعة .

* * *

الباب الثانى عشر

فى تفصيل مقالات المشبهة وبيان فضائحهم

وجملة المشبهة صنفان : صنف منهم يشبه ذاته بغيره من الذوات . وصنف منهم يشبه صفاته أغياره . وأول من أفرط فى التشبيه من هذه الأمة السبأية من الروافض الذين قالوا بألهية على كرم الله وجهه حتى أحرق على قوما منهم ، فازدادوا بعده عتوًا فى ضلالتهم ، وقالوا : الآن علمنا على الحقيقة أنه الإله . لأن النبى ﷺ قال : (لا يعذب بالنار إلا رب النار)[1] .

ثم البيانية : أتباع بيان بن سمعان الذى كان يقول أن معبوده نور صورته صورة إنسان ، وله أعضاء كأعضاء الإنسان ، وأن جميع أعضائه تفنى إلا الوجه .

ثم المغيرية : اتباع مغيرة بن سعيد العجلى الذى كان يقول : أن للمعبود أعضاء وأعضاؤه على صورة حروف الهجاء[2] .

ثم المنصورية : اتباع ابى منصور العجلى الذى كان يقول : أنه صعد إلى السماء إلى معبوده وأن معبوده مسح على رأسه وقال يا بنى بلغ عنى ..

ثم الخطابية : الذين كانوا يقولون : بألهية الأئمة . وكانوا يقولون : أن أبا الخطاب الأسدى إله .

ثم الحلولية : الذين كانوا يقولون : أن الله تعالى يحل فى صورة الحسان . ومتى رأوا صورة حسنة سجدوا لها .

---

(١) ولفظ البخارى : لا تعذبوا بعذاب الله . والرواية بالمعنى عادة المصنف .

(٢) وفى اتبصرة البغدادية : « كل من شبه ربه بصورة الإنسان من البيانية ، والمنيرية ، والجواربية المنسوبة إلى داود الجواربى ، والهشامية المنسوبة إلى هشام بن سالم الجواليقى فإنما يعبد إنسانًا مثله ويكون حكمه في الذبيحة والنكاح كحكم عبدة الأوثان فيها . وكذلك من زعم أن بعض الناس إله وادعى حلول روح الإله فيه على مذهب الحلولية كما قالته الخطابية فى جعفر الصادق ، وكما قالته الرزامية فى أبى مسلم صاحب دعوة بنى العباس ، وكما قالته المبيضة فى المقنع فهو عابد وثن ا هـ » وبذلك تعلم حكم السالمية ومن سار مسيرهم فى القول بالتجلى فى الصور .

ومن جملة المشبهة **المقنعية** : وهم مبيضة[1] ما وراء النهر يدعون إلهية المقنع ٠

ومن جملتهم **الهشامية** : أتباع هشام بن الحكم الرافضى الذى كان يقيس معبوده على الناس ، وكان يزعم أن معبوده سبعة اشبار بشبر نفسه ، وأنه يتلألأ كما تتلألأ النقرة البيضاء من كل جانب[2] ٠

ومن جملتهم **الهشامية** : وهم أتباع هشـــام بن سالم الجواليقى الذى كان يزعم : أن معبوده على صورة إنسان ، ولكن نصفه الأسفل مصمت ، ونصفه الأعلى مجوف ٠ وله شعر أسود على رأسه ، وأن قلبه منبع الحكمة.نبع الماء من العيون ٠

ومن جملتهم **اليونسية** : أتباع يونس بن عبد الرحمن القمى الذى كان يقول : حملة عرش الرحمن يحملونه وإن كان هو أقوى منهم ، كما أن رجل الكركى تحمل بدنه وإن كان بدنه أقوى من رجله ٠

وكان داود الجواربى[3] من جملة المشبهة يثبت لمعبوده جميع أعضاء الإنسان ٠ وكان يقول : أعفونى عن الفرج واللحية ٠ **والكرامية** من جملة المشبهة لقولهم بأنه جسم وله حد ونهاية ، وأنه محل الحوادث ، وأنه مماس للعرش ملاق له ، فهؤلاء كلهم مشبهة ذاته بالذوات ٠ وأما مشبهة الصفات فهم المعتزلة البصرية الذين أثبتوا إرادة حادثة كإرادات الإنسان ٠ قالوا إنها من جنس إراداتهم ، وشبهوا كلامه بكلام الخلق وقالوا : إنه عرض حال فى جسم ٠ وكذلك **الكرامية** شبهوا فى الصفات فقالوا : إن إرادته وقوله عرض حادث من جنس كلام الخلق وإرادتهم ٠

---

(١) على صيغة اسم الفاعل من التبييض ، فرقة من الثنوية سموا بها لتبييضهم ثيابهم مخالفة للمسودة من العباسيين ، وسبق بيان المحمرة ٠

(٢) ومثله مقاتل بن سليمان المفسر ، قال المطهر المقدسى فى البدء والتاريخ : وأما المقاتلية فهم أصحاب مقاتل بن سليمان زعم أن الله جسم من الأجسام لحم ودم وأنه سبعة أشبار بشبر نفسه أ هـ ٠ تعالى الله عن إفك المجسمة ولله در القائل :

ما فى البرية أخزى عند فاطرها ممن يقول بإجبار وتشبيه

فيكون القائل تبرأ من جهم الجبرى ، ومقاتل المشبه فى آن واحد ٠ ويزعم السكسكى فى برهانه ان مقاتلا هذا ليس بمقاتل المفسر ٠ لكنه هو بعينه رغم من يزعم خلاف ذلك ، وأنباء جهم ومقاتل فى غاية الشهرة عند أهل العلم ٠

(٣) أخذ التجسيم عن هشام بن سالم الجواليقى ٠

والزرارية من الروافض : أتباع زرارة بن أعين زعموا أن حياته ، وعلمه ، وقدرته ، وسمعه ، وبصره ، كحياة الخلق ، وعلمهم ، وقدرتهم ، وسمعهم وبصرهم · وزعموا أنها كلها حادثة مثل صفات الأجسام ·

والشيطانية من الروافض : زعموا أن الله تعالى لا يعلم الشئ قبل أن يكون حتى يكون ، وأن علمه محدث كعلوم العباد · ومن تأمل قول هؤلاء المشبهة علم كفرهم وضلالتهم ، ولم يبق له فى ذلك شبهة فاستغنى بذكرهـا عن إقامة الحجة عليها ·



الباب الثالث عشر

فى بيان فرق أهل البدع الذين ينتسبون إلى دين الإسلام ، ولا يعدون فى زمرة المسلمين ، ولا يكونون من جملة الإثنتين والسبعين وهم أكثر من عشرين فرقة

الفرقة الأولى : منهم **السبأية** أتباع عبد الله بن سبأ وقد ذكرنا من مقالتهم طرفًا ونزيدها شرحًا وبيانًا . وذلك أنه كان من غلاة الروافض وكان يقول : فى أول أمره أن عليًا كان نبيًا . ثم زاد على ذلك فقال : كان إلهًا . وكان يقول : هو الإله فى الحقيقة ، وكان يدعو الخلق إلى مقالته فأجابته جماعة إليها فى وقت على كرم الله وجهه . فلما رفع خبره إلى على أمر بحفر حفرتين وكان يحرقهم فيهما حتى قال الشاعر فى معناه :

لترم الحوادث بى حيث شاءت إذا لم ترم بى فى الحفـرتين

ولما احرقهم على ﷺ نفى عبد الله بن سبأ إلى ساباط المداين . فلما قتل على قال عبد الله بن سبأ : إن عليًا حى لم يقتل ، ولم يمت ، وإنما الذى قتل شيطان تصور بصورته وتوهمت الناس أنه قتل كما توهم اليهود والنصارى أن المسيح قتل . قال : وهذا التوهم منهم خطأ وهذا القول منهم كذب بل هو فى السماء ، وعن قريب ينزل وينتقم من أعدائه . وقال بعضهم : أنه فى الغيم والرعد صوته والبرق سوطه ، واذا سمعوا سوط الرعد قالوا : السلام عليك يا أمير المؤمنين . وقال إسحاق بن سويد العدوى فى صفتهم :

برئت من الخوارج لست منهم من الغزال منهم وابن باب
ومن قوم إذا ذكروا عليـــًا يردون السلام على الســحاب
ولكنى أحب بكـــل قلبى واعلم أن ذاك من الصواب
رسول الله والصـــديق حبا به أرجو غدًا حســن الثواب

ووافق ابن السوداء[1] عبد الله بن سبأ بعد وفاة على فى مقالته هذه ، وكانا يدعوان الخلق إلى ضلالتهما ، ويقولان إذا نزل من السماء تفتح له عينان فى مسجد الكوفة أحداهما من العسل ، والأخرى من السمن ، وشيعته يأكلون منهما .

واعلم أن ابن السوداء كان رجلاً يهوديًا ، وكان قد تستر بالإسلام أراد أن يفسد الدين على المسلمين ، فتعلق بهؤلاء ووافقهم فيما كانوا فيه لهذا الغرض الفاسد ، والعجب من هؤلاء يلعنون ابن ملجم ، ويزعمون أن الذى قتله ابن ملجم كان شيطانا ، ومن قتل شيطانا كان محمودا ، فكيف يلعنونه مع هذه العقيدة .

الفرقة الثانية : منهم **البيانية** أتباع بيان بن سمعان التميمى الذى كان يقول بإمامة محمد بن الحنفية وقد ذكرناهم قبل . غير أن كثيرًا من أتباعه يقولون أنه كان نبيًا . وأنه نسخ بعض شريعة محمد ﷺ . وقالوا: هو المراد بقوله ﴿ هذا بَيان لِلناسِ ﴾[2] وقوم من أتباعه قالوا إنه كان إلها وقالوا : إنه روح الإله قد حل فيه ، وإنه يحل فى الإنبياء والأئمة ، وينتقل من واحد إلى واحد آخر ، وقالوا : إن روح الإله قد انتقل عن أبى هاشم بن محمد بن الحنفية إلى بيان . وكان يدعى لنفسه الألهية على معنى الحلول ، وكان يدعى انه يعرف اسم الله الأعظم ، وانه يدعو به الزهرة فتجيبه ،ولما وصل خبره إلى خالد بن عبد الله القسرى صلبه وكفى الله شره .

الفرقة الثالثة : منهم **المغيرية** أتباع مغيرة بن سعيد العجلى . وكان فى الابتداء يدعى موالاة الإمامية . وكان يقول : بإمامة محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على[3] . وكان يستدل بما روى أن النبى ﷺ قال : « أن المهدى يوافق اسمه اسمى واسم ابيه اسم أبى »[4] .

---

(١) لكن المعروف أن ابن السوداء هو عبد الله بن سبأ بعينه كما فى خطط المقريزى وغيره وهو مثير الفتن المعروفة بين الصحابة قال ابن عساكر : « كان يهوديًا فأظهر الإسلام وطاف بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمة ، ويدخل بينهم الشر ودخل دمشق لذلك » وقال المقريزى : « ومن ابن سبأ هذا تشعبت أصناف الغلاة من الرافضة ... وعنه أخذوا القول بأن الجزء الإلهى يحل فى الأئمة ... وعلى هذا الرأى كان اعتقاد دعاة الخلفاء الفاطميين ببلاد مصر . وابن سبأ هذا هو الذى أثار فتنة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وكان له عدة أتباع فى عامة الأمصار » .

(٢) سورة آل عمران ١٣٨ .

(٣) هو المعروف بالنفس الزكية .

(٤) وقد جمع السيد البرزنجى فى الاشاعة جملة من أحاديث المهدى وما هنا قريب مما =

وكان يقـــول : إن هذا محمد بن عبد الله ، والنبى عليه السلام محمد بن عبد الله ، فلما استقام له التقدم بين الروافض ادعى النبوة لنفسه ، وكان يدعى أنه يعرف اسم الله الأعظم ، وانه يحيى به الموتى ويهزم به الجيوش · وكان يقول : أن معبوده رجل من نور على رأسه تاج من نور ، وله خرافات كثيرة كان يلبس بها على أتباعه · ولما رفع خبره إلى خالد بن عبد الله القسرى صلبه · وتعرف أتباعه اليوم بمحمدية الروافض لقوله بإمامة محمد بن عبد الله ·

الفرقة الرابعة : منهم **الحربية** أتباع عبد الله بن عمرو بن حرب الكندى وكان على دين البيانية وكان يدعى أن روح الإله انتقـل عن عبد الله بن محمد ابن حنفية إليه ، وكان يدعى لنفسه الإلهية على معنى الحلول ·

الفرقة الخامسة : منهم **المنصورية** وهم أتباع أبى منصور العجلى وكان يدعى ان الإمامة انتقلت إليه من الباقر ، وكان يدعى أنه رفع إلى السماء ، وأن الله مسح على رأسه ، وانزله إلى الأرض · وكان يقول : إنما هو الكسف الذى فى قوله تعـالى : ﴿ وإن يَرَوْا كِسفًا مِنَ السَّماء ساقطًا يَقولُوا سَحَابَ مركُومُ ﴾[1] وهذه الفرقة ينكرون القيامة ، والجنة ، والنار ، ويقولون أن الجنة نعيم الدنيا ، والنار محن الدنيا وعادتهم الخنق يستحلون خنق مخالفيهم ، وبقيت فتنتهم إلى أيام يوسف بن عمر الثقفى والى العراق ، فلما عرف حالهم صلب العجلى وانقطعت فتنتهم ·

الفرقة السادسة : منهم **الجناحية** وهم من جملة الغلاة أتباع عبد الله بن معاوية ابن عبد الله بن جعفـر بن أبى طالب[2] يزعمون أن روح الإله تحل فى الأنبياء والأئمة ، وتنتقل من بعضهم إلى بعض ، وكانوا ينكرون القيامة ، والجنة والنار ويستحلـون الزنا ، واللواطة ، وشرب الخمر ، وأكل الميتة ، ولا يرون وجوب الصلاة ، والصوم ، والزكاة ، والحج ، ويؤولون ذلك على موالاة ، قوم من أهل البيت ويدعون أن عبد الله بن معاوية لم يمت ، وأنه فى جبل أصفهان إلى أن يخرج والمشهور أن أبا مسلم صاحب بنى العباس بعث إليه عسكرا فصلبوه وقتلوه ·

= ذكره رزين فى جامع الصحاح وأصل الحديث فى مسلم · والمصنف يروى الأحاديث بالمعنى فى الغالب ·

(١) سورة الطور ٤٤ ·

(٢) هو المعروف بذى الجناحين ·

الفرقة السابعة : منهم الخطابية أتباع أبى الخطاب الأسدى · وهم خمس فرق هم يقولون أن الإمامة كانت فى أولاد على إلى ان انتهت إلى محمد بن جعفر الصادق ويقولون أن الأئمة كانوا آلهة وكان أبو الخطاب يقول فى أيامه أن أولاد الحسن والحسين كانوا أبناء الله وأحباءه ، وكان يقول أن جعفرًا إله .فلما بلغ ذلك جعفرًا لعنه وطرده وكان أبو الخطاب يدعى بعد ذلك الألهية ·

وكان أتباعه يقولون : أن جعفرًا كان إلها إلا ان أبا الخطاب كان أفضل منه ، والخطابية يرون شهادة الزور لموافقيهم على مخالفيهم · وخرج أبو الخطاب على والى الكوفة فى أيام المنصور فبعث عسكرًا إليه فأسروه وأمر بصلبه فى كناسة الكوفة · وأتباعه كانوا يقولون : ينبغى أن يكون فى كل وقت إمام ناطق ، وآخر ساكت · والأئمة يكونون آلهة ويعرفون الغيب ·

ويقولون : أن عليًا كان فى وقت النبى صامتًا ، وكان النبى ﷺ ناطقًا · ثم صار على بعده ناطقًا · وهكذا يقولون فى الأئمة إلى أن انتهى الأمر إلى جعفر · وكان أبو الخطاب فى وقته إمامًا صامتًا ، وصار بعده ناطقًا ، وأتباع أبى الخطاب افترقوا بعد صلبه خمس فرق ·

ومنهم المعمرية : كانوا يقولون أن الإمام بعد أبى الخطاب رجل اسمه معمر ، وكانوا يعبدونه كما يعبدون أبا الخطاب · وكانوا يقولون : أن الدنيا لا تفنى · وكانوا ينكرون القيامة ويقولون بتناسخ الأرواح ·

ومنهم الربيعية : أتباع أبى ربيع · وكان يقول أن جعفرًا كان إلها ولم يكن جعفر ذلك الذى يراه الناس · بل كان ما يراه الناس صورة مثاله ، وكانوا يقولون : أنه لا مؤمن إلا والله تعالى يوحى إليه · وعلى هذا المعنى كانوا يتأولون قوله تعالى : ﴿ ومَا كَانَ لِنَفْسٍ أن تَمُوت إلا بِإذْنِ الله كتابا مُؤجلا ﴾[1] وكان يقول : معناه بوحى الله ·وكان يقول : إذا جاز أن يوحى إلى النحل كما ورد فى قوله تعالى : ﴿ وَأَوحى رَبك إلى النَّحلِ أن اتخذِى مِنَ الجبالِ بيُوتًا وَمِنَ الشَجَرِ ومما يَعْرِشُون ﴾[2] لم لا يجوز أن يوحى إلينا · وكان يقول · قد يكون فيما بينهم من هو أفضل من جبريل ، وميكائيل ، ومحمد عليهم السلام · وأن الواحد منهم إذا انتهى إلى النهاية رفع إلى الملكوت ، وهم يرون الذين رفعوا إلى الملكوت غدوة وعشيًا ·

---

(١) سورة آل عمران ١٤٥ · (٢) سورة النحل ٦٨ ·

ومنهم **العمروية** : أتباع عمرو بن بيان العجلى . وهؤلاء كانوا يعبدون جعفراً ويرونه إلها .

ومنهم **المفضلية** : أتباع مفضل الصيرفى . وكان يقول بألهية جعفر ويتبرأ من أبى الخطاب .

ومنهم **الخطابية المطلقة** : وكانوا يقولون إنه لم يكن بعد أبى الخطاب إمام .

الفرقة الثامنة الغرابية : وكانوا يقولون أن الله تعالى بعث جبريل إلى على فغلط وجاء إلى محمد . قالوا : وإنما غلط لأنه كان يشبه محمداً . وكان اشبه به من الغراب بالغراب ، والذباب بالذباب من أجل هذا سموا غرابية . وهؤلاء كانوا يلعنون صاحب الريش يعنون به جبريل عليه الصلاة والسلام وقد أنزل الله سبحانه فى صفة اليهود حين قالوا إن جبريل عدو لنا ولم يكونوا يلعنونه قوله تعالى ﴿ مَن كانَ عَدوّاً لله وملائكته ورُسُلِه وجبريل وميكال فإنّ الله عدوّ للكافرين ﴾[1] وهؤلاء أولى بهذه الصَفة لأنَهم يلعنونَه واليهود ما كانوا يلعنونه .

واعلم أن من هؤلاء الغرابية قوم يقال لهم المفوضة كانوا يقولون : أن الله تعالى خلق محمداً وفوض إليه تدبير العالم . فكان هو الخالق للعالم ، ثم أنه فوض بعده إلى على تدبير العالم . فهؤلاء القوم شر من المجوس الذين قالوا : أن الله خلق الشيطان وفوض إليه الأمر فكان الشيطان يخلق الشرور . لأن هؤلاء قالوا بالتفويض فى الشر والخير وهؤلاء شر من النصارى حين قالوا : أن عيسى كان إلها ، وكان المدبر الثانى للعالم ، لأن هؤلاء نقلوه من شخص إلى شخص ، وأولئك اقتصروا على المسيح .

ومن **الغرابية** أيضًا قوم يقال لهم **الذمية** كانوا يقولون أن عليًا بعث محمدًا حتى يدعو الخلق إلى إلهيته ، فجاء محمد وادعى الرسالة من إله آخر ويذمون محمدًا ﷺ بهذا السبب ولهذا سموا الذمية .

الفرقة التاسعة : منهم **الشريعية** ، **والنميرية** : **والشريعية** أتباع رجل كان يدعى شريعًا . وكان يقول : إن الله تعالى حل فى خمسة أشخاص . فى محمد ، وعلى ، وفاطمة[2] ، والحسن[3] ، والحسين ، وكانوا يقولون : أن هؤلاء آلهة ولهؤلاء

---

(١) سورة البقرة ٩٨ .

(٢) هى سيدة نساء المؤمنين ، وبنت فخر المرسلين انتقلت إلى جوار ربها سنة ١١ هـ .

(٣) هو بسط الرسول ﷺ وريحانته توفى مسمومًا سنة ٤٩ هـ ﵁ .

الخمسة خمسة أضداد . ثم كان قوم منهم يقولون أن أضدادهم مذمومون ، وقوم منهم يقولون أنهم لا يذمون لأن فضل هؤلاء لا يتبين إلا بأضدادهم وهذا الشريعى كان يدعى لنفسه الألهية . وكان النميزى خليفته وكان يدعى لنفسه مثله بعده . وجملة **النميرية** ، **والشريعية** ، **والخطابية** ، كانوا يدعون ألهية جعفر الصادق ، وكانوا يقولون أن جعفراً دفع إليهم جلداً مكتوباً فيه كل علم يحتاجون إليه . وكانوا يقولون لا يقرأ ما في ذلك الجلد إلا من كان على دينهم ، وقال هارون بن سعد العجلى[١] فى صفتهم :

ألم تر الرافضين تفرقوا ... وكلهم فى جعفر قال منكرا

فطائفة قالوا إله ومنهم ... طوائف سمته النبى المطهرا

ومن عجب لم اقضه جلد جفرهم ... برئت إلى الرحمن ممن تجفرا

برئت إلى الرحمن من كل رافض ... بصير بباب الكفر فى الدين اعورا

ولو قيل أن الفيل ضب لصدقوا ... ولو قيل زنجى تحول أحمرا

وأخلف من بول البعير فإنه ... إذا هو للاقبال وجه أدبرا

الفرقة العاشرة : منهم **الحلولية** وهم فرق ظهرت فى دولة الإسلام ، وكان غرضهم إفساد التوحيد على المسلمين . فمن جملتهم ما ذكرناهم من غلاة الروافض الذين ادعوا حلول الإله فى الأئمة كما حكيناه عنهم من قبل . وحدث بعدهم أقوام من الحلولية ، **كالمقنعية** بما وراء النهر ، **والرزامية** ، **والبركوكية** ، **والحلمانية** ، **والحلاجية** ، **والغذافرة** .

أما **الرزامية** : فإنهم أفرطوا فى موالاة أبى مسلم[٢] صاحب الدولة العباسية وقالوا : إن الإمامة انتقلت من أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية إلى محمد ابن عبد الله بن عباس بوصية أبى هاشم ، ثم انتقلت من محمد إلى ابنه إبراهيم ، ثم من إبراهيم إلى عبد الله الذى كان يدعى أبا العباس السفاح ، ومنه إلى أبى مسلم . وهؤلاء يعترفون بموت أبى مسلم إلا فريق منهم اسمهم أبو بسلمية قالوا :

---

(١) كان رأس الزيدية خرج مع إبراهيم بن عبد الله فى عهد المنصور واستولى على واسط واستشهد سنة ١٤٥ هـ .

(٢) هو مؤسس الدولة العباسية قتله المنصور سنة ١٦٨ هـ .

أن أبا مسلم حى ، وأنه روح الإله انتقلت إليه ، وهم على انتظاره ، ويقولون : إن الذى قتله أبو جعفر المنصور كان شيطانًا تصور بصورة أبى مسلم ٠

أما **المقنعية** : فهم مبيضة ما وراء النهر ٠ وكان زعيمهم رجلاً كان يعرف بالمقنع[1] وكان رجلاً قصاراً أعور من قرية من قرى مرو ٠ كان قد نظر فى شىء من الهندسة والنيرنجات ، وكان على دين **الرزامية** ٠ ثم ادعى لنفسه الألهية واحتجب من الناس فاغتر به جماعة من أهل جبل ابلاق ودامت فتنته أربع عشرة سنة ، ووافقه جماعة من الاتراك على كفره ، وكانوا يغيرون على المسلمين ويهزمون عساكر المسلمين فى أيام المهدى بن المنصور[2] وكان المقنع أحل المحرمات لأتباعه ، وأسقط منهم الصلاة والصوم ، وجملة الفرائض ، وكان يقول لأتباعه : أنه هو الإله وأنه يظهر مرة بصورة آدم ، وكان يظهر بعده فى صورة كل واحد من الانبياء ٠ وظهر فى صورة على ، ثم فى صورة أولاده ، على الترتيب الذى ذكرناه ثم فى صورة أبى مسلم ، وقد ظهر الآن فى صورة هشام بن الحكم يعنى به نفسه ٠

وكان يقول إنما يظهر فى هذه الصورة لأن عبيده لا يطيقون أن يروه فى صورته الأصلية ، وأن من رآه فى صورته الأصلية احترق ٠ فالح عليه قومه وقالوا : نحن نريد أن نراك فى الصورة الأصلية فقال : هذا شىء سأله قوم موسى فاحترقوا ، ذلك فى القرآن فى قوله : ﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ﴾[3] فقال قوم منهم رضينا بذلك ويجوز لنا أن نراك ونحترق ، فوعدهم يومًا وأمر فوضع منبر فى مقابلة الشمس وقت الصحوة ، وعلق مرآة مقعرة من الحديد الصينى فوق المنبر بحيث يكون شعاعها الخارج بينهما بالزاوية القائمة فى مقابلة الباب الذى يدخلون منه ، ثم أذن لهم بعد ارتفاع النهار ، وأمر برفع الستر ٠ فلما وقع عليهم الشعاع احترق منهم قوم ، وهرب الباقون ومن ذلك المكان فاغتر به القوم ولم يطالبوه بعد ذلك بالرؤية ٠ وكانوا يتابعونه فيما يأمرهم به ، واتخذ حصاراً « بكش » وكان عرض جداره مئة آجره ، وكان قد أحدث قدّام الجدار ثلاثة خنادق ، بين كل خندقين جدار ٠ فبعث المهدى جندًا فيهم سبعون ألف مقاتل ،

---

(١) اسمه عطاء وترجمته فى وفيات ابن خلكان وكان قتله سنة ١٦٣ هـ ٠

(٢) هو الخليفة العباسى محمد بن عبد الله توفى سنة ١٦٨ هـ ٠

(٣) سورة البقرة ٥٥ ٠

واتبعهم سعد بن عمرو الجرشى[1] مع عسكر آخر ، وكانوا يقاتلون المقنع سنين . فأمر هو بإصلاح سلالم من الخشب ومن الحديد وكان يضعها على عرض تلك الخنادق ، وبعث إلى مولتان حتى حمل إليه عدد كثير من جلود الجواميس ، فملأها رملاً وطرحها فى الخندق ليعبر عليه العسكر . فلما رأوا تلك الحال استأمن إليه ثلاثون ألفًا منهم وقتل الباقون ، وكان المقنع قد أصلح تنورًا أذاب فيه السكر ، والقطران ، فلما ضاق به الأمر طرح نفسه فيه حتى ذاب ولم يبق منه شىء يظهر . فلما طلبه من بقى من أتباعه لم يجدوا منه شيئًا قالوا : إنه رفع إلى السماء وأتباعه اليوم أكثر تلك القرى ، وبجبل ابلاق لا يصلون ، ولا يصومون ولهم مساجد بنوها يستأجرون من يؤذن لهم فيها يستحلون أكل الميتة ، والخنزير ، والزنا ، حتى أن كل واحد منهم يستحل حليلة صاحبه ، ويخفون هذه الأحوال عن عوام ابلاق .

وأما **الحلمانية** : أتباع رجل يقال له أبو حلمان الدمشقى . وكان أصله من فارس ولكنه أظهر بدعته فى دمشق . وكان يقول : كل شخص حسن فروح الإله حال فيه ، وقومه إذا رأوا صورة حسنة سجدوا لها ، وكان يقول : أن كل من كان اعتقاده مثل اعتقادى فلا تكليف عليه ، وكل ما يشتهيه فهو حلال له .

وأما **الحلاجية** : فهم ينتسبون إلى أبى المغيث الحسين بن منصور الحلاج[2] من أرض فارس من بلد يقال له بيضاء وكان فى أول أمره يتكلم على لسان الصوفية ويتعاطى العبارات التى تسميهـا الصوفية الشطح ، وهو أن يتكلم بكلام يحتمل معنيين . أحدهما : مذموم . والآخر : محمود . وكان يدعى فى كل علم وافتتن به أهل العراق وجماعة من أهل طالقان خراسان ، واختلف المتكلمون ، والفقهاء ، والصوفية ، فى حاله . أما المتكلمون فأكثرهم على أنه من الحلولية . وكان محتالاً ممخرقا وإليه ذهب القاضى أبو بكر[3] وحكى فى كتابه كثيرًا من حيله ، وجماعة من متكلمى البصرة يقال لهم السالمية[4] وهم من جملة **الحشوية** يتكلمون ببدع متناقضة ،

---

(١) هو أحد قواد المهدى العباسى راجع تاريخ ابن جرير .

(٢) قتل سنة ٣٠٩ هـ .

(٣) وهو الإمام محمد بن الطيب الباقلانى المتوفى ٤٠٣ هـ .

(٤) وهم كالبربهارية من الحشوية المندسين بين الحنابلة ينسبون إلى أبى الحسن محمد بن أحمد بن سالم البصرى المتوفى بعد سنة ٣٥٠ هـ ، وأبيه أبى عبد الله . بهم ذاع بين الصوفية القول بالتجلى فى الصور ومن معتقدهم أن الله يتلو على لسان كل قارىء وأنه تعالى يرى فى =

قبلوه . وقالوا : إنه كان صوفيـــًا محققًا وله كلام فى معان دقيقة فى حقائق الصوفية . وكذلك الفقهاء اختلفوا فى حالة . سئل أبو العباس ابن سريج[1] عن حاله لما أريد قتله فتوقف فيه ، وافتى أبو بكر بن داود[2] بجواز قتله ، وكذلك أهل التصوف اختلفوا فى حاله . فرده عمرو بن عثمان المكى[3] وأبو يعقوب الأقطع[4] وردوا من كلامه أنه قال يومًا للجنيد[5] (أنا الحق) فقال له الجنيد أنت بالحق أى خشبة تفسد فظهـرت فراسته حتى صلب بعد ذلك وقبله أبو العباس بن عطـاء[6] وأبو عبد الله بن خفيف[7] وأبو القاسم النصر آبادى[8] وفارس الدينورى[9] . وقالوا : أظهر الله عليه أحوالاً من الكرامات وكان من حقه أن يحفظ سره فيها فعاقبه الله تعالى بتسليط من كان يرده عليه حتى بقى حاله مشكلا ملبسًا قالوا : والدليل على صحة باطنه أنه كان يقطع يده ورجله ويقول حسب الواحـد افراد الواحد .

وحكى عنه أنه سئل يومًا عن دينه فقال : ثلاثة أحرف لا عجم فيها ، ومعجمان وانقطع الكلام . قالوا أراد به التوحيد والذين قالوا بتكفيره إنما قالوه لما حكوا عنه أنه كان يقول : كل من هذب نفسه فى الطاعة ، وصبر على اللذة ، وصفا حتى لا يبقى فيه شىء من البشريـــة حل فيه روح الإله كما حل فى عيسى عليه

= يوم القيامة فى صورة آدمى محمدى ، وينسب إليهم أبو طالب صاحب القوت . وأما البربهارية فإنهم يجهرون بالتشبيه والمكان ، ويرون الحكم بالخاطر ويكفرون من خالفهم كما فى البدء والتاريخ لمطهر ابن طاهر المقدسى وشيخهم صاحب الفتن ببغداد فى اقعاد الرسول عليه السلام فى جنب الله تعالى . تعالى الله عن ذلك .

(١) هو أحمد بن عمرو بن سريج شيخ الشافعية فى بغداد المتوفى سنة ٣٠٦ هـ فيظهر من ذلك أنه توفى قبل قتل الحلاج .

(٢) توفى قبل قتل الحلاج سنة ٢٩٧ هـ . والصواب أن قتله كان بفتيا القاضى أبى عمر راجع تاريخ الخطيب ، وفيه أكبر ترجمة للحلاج .

(٣) توفى سنة ٢٩٧ هـ . (٤) توفى سنة ٣٣٠ هـ .

(٥) توفى سنة ٢٩٨ هـ .

(٦) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء توفى سنة٣٠٩ فى ذى القعدة .

(٧) توفى سنة ٣٧١هـ .

(٨) هو إبراهيم بن محمد من شيوخ الحاكم توفى سنة ٣٦٧ هـ .

(٩) هو فارس بن عيسى الصوفى من أصحاب الجنيد توفى فى حدود سنة ٣٤٠ هـ .

السلام ، ولا يريد شيئًا إلا كان كما أراد ، ويكون جملة فعله قول الله تعالى . وكان يدعى لنفسه هذه المنزلة ، ووجد له كتب كتبها إلى أتباعه عنوانها « من الهو هو رب الأرباب المتصور فى كل صورة إلى عبده فلان » وأتباعه كونوا يكتبون إليه « يا ذات الذات ومنتهى غاية اللذات ، نشهد أنك تتصور فيما شئت من الصور ، وأنك متصور فى صورة الحسين بن منصور[1] ونحن نستجيرك يا علام الغيوب » ويقال : أنه اختدع جماعة من خواص المقتدر ، فخاف المقتدر فتنه فعرض حاله على الفقهاء ، واستفتى فيه الفقهاء فوافق مراده فتوى أبى بكر بن داود[2] فأمر حتى ضرب ألف سوط ، وقطعت يداه ورجلاه ، وصلب يوم الثلاثاء لثلاث بقين من ذى القعدة سنة تسع وثلاثمئة . ثم أمر حتى أنزل من خشبته وأحرق وطرح رماده فى دجلة ، وأتباعه الذين من أهل طالقان قالوا : أنه حى وأن الذى قتل كان شخصًا ألقى عليه شبهه . والله أعلم بحقيقه الأمر .

وأما **العذافرة** : فهم أتباع رجل ظهر فى أيام الراضى بن المقتدر[3] سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وهو أبو العذافر محمد بن على الشلمغانى[4] وكان يدعى أن روح الإله قد حل فيه ، وكان يسمى نفسه روح القدس ، وكان قد وضع لأصحابه كتابًا سماه كتاب « الحاسة السادسة » وكان قد أباح لهم اللواطة فى ذلك الكتاب ، وأتباعه كانوا يبيحون له حرمهم ، وكانوا يقولون : أنه إذا ألم بشخص وصل نوره إليه . فقتله الراضى بالله وظفر بجماعة من أصحابه مثل الحسين بن القاسم بن عبد الله[5] وأبى عمران إبراهيم بن محمد بن المنجم[6] ووجد الكتب التى كتبوها إليه فوجد فيها أنهم قالوا فى وصفه « أنه قادر على كل شىء فعرضوا على الفقهاء الذين كانوا فى

---

(١) هو الحلاج المقتول سنة ٣٠٩ هـ .

(٢) هو متقدم الوفاة كما سبق .

(٣) هو الخليفة العباسى أبو العباس أحمد بن المقتدر تولى الخلافة سنة ٣٢٢ هـ وتوفى سنة ٣٢٩ هـ .

(٤) نسبه إلى بليدة فى واسط .

(٥) هو صاحب الشلمغانى : الوزير ابن الوزير ابن الوزير قتله الراضى سنة ٣٢٢ هـ .

(٦) هو المعروف بابن أبى عون صاحب تصانيف ، قتل ثم احرق سنة ٣٢٢ هـ .

زمانه مثل ابن سريج . فأظهروا التوبة فأفتى أبو العباس بن سريج[1] بقبول توبتهم كما هو مذهب الشافعى وأفتى أبو الفرج المالكى[2] على مذهب مالك أنه لا تقبل توبتهم إذا عثر عليهم ، وإنما تقبل توبتهم إذا أظهروا حالهم على الابتداء . فأمر الراضى بالله بقتلهما مع أبى العذافر وطرح رمادهم فى دجلة بعد إحراق جثثهم .

الفرقة الحادية عشرة : منهم **الخرمية**[3] وهم فرقتان فرقة منهم كانوا قبل دولة الإسلام : وهم **المزدكية**[4] كانوا يستحلون المحرمات كلها ، وكانوا يقولون : أن الناس كلهم شركاء فى الأموال ، والحرم ، وقتلهم أنو شروان[5] فى أيام مملكته .

والفريق الثانى من الخرمية ظهروا فى دولة الإسلام **كالبابكية** ، **والمازبارية** ، ويسمون **المحمرة**[6] .

فالبابكية : أتباع بابك الخرمى[7] الذى ظهر بناحية اذربيجان وكثرت أتباعه وكان

---

(١) كانت وفاته سنة ٣٠٦ هـ فى عهد المقتدر فلا يتصور أن يستفتى فى أمر الذين قتلوا سنة ٣٢٢ هـ فى عهد الراضى وكيفية قتل هؤلاء مشروحة فى كلام ابن الأثير وغيره .

(٢) هو عمرو بن محمد الليثى البغدادى من أصحاب إسماعيل القاضى ومن شيوخ أبى بكر الأبهرى توفى سنة ٣٣١ هـ .

(٣) بضم الخاء المعجمة وفتح الراء المشدودة سمّوا بها لاتباعهم شهواتهم لأن لفظ « خرم » فى الفارسى بمعنى المرح الاباحى المتوخى للملذات الممتلىء سروراً . وقد يقال لهم (الخرم دينية) حيث يدينون بالمرح واتباع الشهوات . قال ابن حزم : (والخرمية أصحاب بابك وهم فرقة من فرق المزدقية وهم أيضًا سر مذهب الإسماعيلية ومن كان على قول القرامطة وبنى عبيد وعنصرهم) ا هـ .

(٤) بفتح الميم وسكون الزاى وفتح الدال نسبة إلى مزدك الاباحى المشهور فى عهد قباد الساسانى قتله أنو شروان شر قتلة . ومن أهل العلم من رجح ضم الميم وحيث لا يوجد فى اللغة العربية مادة (ز . د . ك) تجعل الكاف قافا عند قصد التعريب فيقال (المزدقية) كما سبق فى أول المقدمة من كتاب « البدء والتاريخ » لمطهر المقدسى ومثله فى فصل ابن حزم (١ - ٣٤ و ٣٧) ومن قال (المزدكية) جرى على الأصل الفارسى من غير تعريب .

(٥) هو الملك الساسانى الملقب بالعادل توفى حوالى بعثة الرسول ﷺ ، وهو الذى أباد دعاة الاشتراك فى الأموال والابضاع من أصحاب مزدق الاباحى الذى أفسد بلاد الفرس .

(٦) بضم الميم وفتح الحاء المهملة وكسر الميم المشددة للبسهم الثياب الحمر فى عهد بابك كما فى فى أنساب السمعانى .

(٧) توسع فى أنبائه محمد بن اسحاق النديم فى فهرسته .

يستحل المحرمات كلها وهزم كثيراً من عساكر بنى العباس فى مدة عشرين سنة إلى أن أسر مع أخيه اسحاق وصلب بسر من رأى فى أيام المعتصم .

وأما **المازبارية** : فهم أتباع مازبار[1] فإنه كان يدعو إلى دين المحمرة ، وظهر له أتباع فى جبال طبرستان ، وإليهم تنسب قنطرة المحمرة بجرجان وذاك من آثارهم ، وقبض عليه أيضاً فى أيام المعتصم وصلب أيضاً بسر من رأى فى مقابلة الخرمى ، وللبابكية فى تلك الجبال ليلة يجتمعون فيها على كل نوع من الفساد من الخمر والزمر وغير ذلك . ويجتمع فيها الرجال والنساء ، ثم يطفئون السراج والنيران ، ويقوم كل واحد منهم بواحدة من النساء اللاتى جلسن معهم كيفما يقع . وهؤلاء الخرمية يدعون أنه كان لهم ملك فى الجاهلية اسمه شروين ، ويفضلونه على الأنبياء ، ومتى ما ناحوا على ميت لهم أخذوا باسمه ندبه ، ونياحاً تفجعاً عليه .

الفرقة الثانية عشرة : منهم أهل التناسخ : وهم قوم من الفلاسفة قبل الاسلام وكان سقراط[2] من جملتهم ، وكان فى دولة الإسلام من أهل التناسخ فريقان . فريق من جملة القدرية من غلاة الروافض . ومانى الثنوى[3] قال بالتناسخ فى بعض كتبه ، وذكر أن أرواح الصديقين إذا خرجت من أبدانهم اتصلت بعمود الصبح إلى أن تبلغ النور الذى فوق الفلك ويكونون فى السرور دائماً ، وأرواح أهل الضلالة تتناسخ فى أجسام الحيوان فلا تزال تنتقل من حيوان إلى حيوان إلى أن يصفو من ظلمته ، فحينئذ يتوصل بالنور الذى فوق الفلك .

وقوم من اليهود أيضاً يقولون بتناسخ الأرواح ويقولون أنهم وجدوا فى كتاب دانيال . أن الله تعالى مسخ بخت نصر فى سبع صور من صور الدواب ، والسباع .

وأما الذين يقولون بالتناسخ من القدرية فهم أتباع أحمد بن خابط . وكان من أصحاب النظام وكان ينتسب إليه ويقول بالطفرة وينفى الجزء الذى لا يتجزى ؛ وكان يقول : إن قدرة الله تعالى تنقطع حتى لا يقدر على أن يزيد فى نعيم أهل الجنة

---

(١) بكسر الزاى . هو من وجوه عسكر المعتصم وأنباؤه فى كتب التاريخ فى حوادث سنة ٢٢٤ هـ .

(٢) هو الحكيم اليونانى المعروف المعاصر لأفلاطون كان من تلاميذ فيثاغورس .

(٣) مذهبه مزيج من المجوسية والنصرانية ظهر فى عهد شابور بن اردشير ، وكان مانى هذا راهباً بحران متفلسفاً ضل به خلائق ولمذهبه تأثير على صنوف المجسمة .

شيئًا ، ولا أن يزيد فى عذاب أهل النار شيئًا ، وكان انتسابه إليهم بهاتين المقالتين . ثم زاد عليهم القول بمذهب أهل التناسخ ، وكان أحمد بن بانوش من أصحابه ، وكان ينتسب إليه ويقول بالتناسخ ، وبينهما خلاف كثير فى مواضع وكان ، أحمد بن محمد القطحى فى زمان الجبائى يجمع بين القول بالاعتزال والتناسخ وكان عبد الكريم بن أبى العوجاء[1] خال معن بن زائدة[2] فى السر على دين المانوية وكان يقول بالتناسخ ، وكان فى الظاهر ينتسب إلى القدرية والرافضة ووضع كثيراً من الأحاديث اغتر بها الروافض[3] وأفسد على الروافض صومهم ووضع لهم حساباً يغيرون به رؤوس الشهور ، ونسب ذاك إلى جعفر بن محمد بن جعفر الصادق ﷺ ، ولما ظهر خبر وضع الحساب أمر بقتله أبو جعفر محمد بن سليمان الهاشمى[4] فصلب . وبينهم خلاف كثير فى معنى التناسخ كان أحمد بن خابط يقول : أن الله خلق الخلق فى أبدان صحيحة وعقول تامة فى دار ليست دار الدنيا ، وخلق لهم المعرفة به ، وأتم نعمته عليهم ، وأمرهم بشكره . وكان يقول : أن الإنسان فى الحقيقة هو الروح لا هذا القالب الذى نشاهده وأن الروح هى عالم قادر .

وكان يقول : أن الحيوانات كلها جنس واحد ، وأن جميع الحيوانات فى محل التكليف . ثم كان يقول : أن من أطاعه فى تلك الدار أقره هناك ، ومن عصاه هناك أخرجه منها إلى النار ، وكل من عصاه فى البعض وأطاعه فى البعض بعثه إلى دار الدنيا ، وألبسه هذه القوالب وابتلاهم تارة بالشدة ، وتارة بالراحة ، وتارة بالألم ، وتارة باللذة ، وجعل قومًا منهم فى صورة الناس ، وقومًا فى صورة الطيور ، وقومًا فى صورة السباع ، وقومًا فى صورة الدواب ، وقومًا فى صورة الحشرات كالحية وما أشبه ذلك وكانت درجاتهم فى هذا المعنى على قدر معاصيهم . فمن كانت معصيته أقل فى تلك الدار كانت صورته فى الدنيا أحسن ، ومن كانت معصيته هناك أكثر كان قالب روحه فى الدنيا أقبح .

---

(١) وكان ربيب حماد بن سلمة على ما يقول ابن الجوزى . وكان قتله بعد سنة ١٦٠هـ . فى عهد المهدى .

(٢) كان من الأبطال الأجود قتله الخوارج غيلة بسجستان سنة ١٥١ هـ .

(٣) من المشبهة .

(٤) هو أمير البصرة وابن عم المنصور توفى سنة ١٧٣ هـ .

ويقولون : أن الحيوان فى الحقيقة هو الروح ولا يزال فى دار الدنيا ينتقل من قالب إلى قالب علَى مقدار الطاعات والمعاصى من قوالب الناس والدواب حتى تتمحص طاعاته فينقل إلى دار النعيم ، أو معاصيه فينقل إلى دار الجحيم . وخالفه أحمد بن بانوش فقال . متى كان فى صورة بهيمة لا يكون عليه تكليف . وكان أحمد بن خابط يقول : بل يكون عليه التكليف ويكون التسخير للذبح ، والركوب عقوبة له ، وكان أحمد بن نابوش يقول : من المكلفين من يكرر طاعاته حتى يصير مستحقًا لأن يصير نبيًا أو ملكًا .

وكان القحطى منهم يقول : أن الله تعالى لم يكلفهم ابتداء ولكنهم سألوا أن يكلفهم ليرفع به درجاتهم لأن الله تعالى عرفهم أنهم لا يدركون الدرجات إلا بالتكليف ، وأنهم إن عصوا يستحقون العقوبة ، وقالوا رضينا به . وكان يقول : هذا معنى قوله تعالى : ﴿ إنا عَرَضْنا الأمانة على السَّموات والأرضِ والجبالِ فَأبينَ أن يَحْمِلْنَها وأشْفَقْنَ مِنْها وحَمَلَها الإنْسَانُ إنه ظَلُومًا جَهُولاً ﴾[١] .

وكان أبو مسلم الحرانى منهم يقول : أن الله تعالى خلق أرواحهم وكلف به من علم أنه يعصيه لكنهم عصوا على الابتداء فنقلهم بالمسخ والنسخ إلى قوالب مختلفة على قدر معاصيهم .

الفرقة الثالثة عشرة : خابطية القدر ، أصحاب أحمد بن خابط[٢] وقد ذكرنا قوله فى التناسخ ، وكان مشاركًا للفضل الحديثى[٣] فى ضلالاته . وهو أنه كان يقول : للخلق إلهان أحدهما قديم ، والآخر محدث وهو عيسى بن مريم ،وكان يقول : عيسى بن مريم ابن الله لا على معنى الولادة ، ولكن على معنى أنه تبناه ، وهو الذى يحاسب الخلق فى الآخرة ، وهو الذى يقول الله تعالى فيه : ﴿ وجَاء رَبُّكَ والمَلَكُ صَفًا صَفًا ﴾[٤] ، ويقول فيه : ﴿ هَل يَنظُرُون إلا أنْ يَأتِيَهُمُ اللهُ فى ظُلَلٍ مِنَ الغَمامِ والملائكَةُ وقُضِىَ الأمْرُ وإلى اللهِ تُرجَعُ الأمُورُ ﴾[٥] . قال : فقد خلقه الله على

---

(١) سورة الأحزاب ٧٢ .

(٢) ترجم له الصفدى ترجمة واسعة فى الواقى .

(٣) والحديثى نسبة إلى بلدة الحديثة على الفرات من بابة ابن خابط وكلاهما ملحد ومن أصحاب النظام هجرهما المعتزلة .

(٤) سورة الفجر ٢٢ .

(٥) سورة البقرة ٢١٠ .

صورة نفسه . قال : وهو المراد بقول النبى ﷺ : « ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر »[١] وبقوله عليه الصلاة والسلام : (أن الله لما خلق العقل وقال له أقبل فأقبل ثم قال له ادبر فأدبر . فقال له . ما خلقت خلقًا أكرم منك بك أعطى وبك آخذ)[٢] وقولهم فى هذا شر من قول الثنوية حين أضافوا الأفعال إلى فاعلين اثنين .

الفرقة الرابعة عشرة : الحمارية من القدرية . وهم قوم من المعتزلة يسكنون عسكر مكرم . واختاروا من بدع القدرية ما هو شر وأقبح لركاكة عقولهم ، وسخافة معارفهم فأخذوا القول بالتناسخ من أحمد بن خابط ، وأخذوا من عباد بن سليمان الضمرى قوله : إن الذين مسخهم الله قردة وخنازير كانوا ناسًا بعد المسخ . وأخذوا من جعد بن درهم الذى قتله خالد بن عبد الله القسرى[٣] قوله : إن النظر الأول الذى تحصل به المعرفة فعل لا فاعل له وكان يقول : أن الخمر ليس من فعل الله ولكنه من فعل الخمار . وكان يقول : أن من وضع اللحم حتى يدود كان الدود من خلقه ، ومن دفن الآجر والتبن حتى تولد منه العقرب كان من فعله ، ومن دفن الكمأة حتى صارت حية كانت الحية من فعله ، فنسبوا خلق الدود ، والحية ، والعقرب ، إلى الإنسان فى هذه المواضع .

الفرقة الخامسة عشرة : منهم يزيدية الخوارج . أتباع يزيد الخارجى[٤] وكان من البصرة ، ثم رجع إلى جور فارس وكان على رأى الاباضية من الخوارج . وكان يقول : أن الله تعالى يبعث رسولاً من العجم ، وينزل عليه كتابًا ينسخ به شريعة محمد ﷺ . وكان يقول : أتباعه يكونون فى الصابئة المذكورة فى القرآن .

الفرقة السادسة عشرة : منهم ميمونية الخوارج ، وهم أتباع رجل كان اسمه ميمونًا[٥] وكان على مذهب العجاردة ثم خالفهم ورجع إلى مذهب القدرية فى باب

---

(١) ولفظ البخارى « انكم سترون ربكم ، الحديث » والعرب تضرب المثل بالقمر فى الشهرة والظهور وليس المراد التشبيه فى التدوير والمسير والحد كما فى مختلف الحديث لابن قتيبة

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد فى الزوائد على الزهد بسند ضعيف .

(٣) هلك تحت العذاب سنة ١٢٦ هـ . كان والى العراق لهشام بن عبد الملك .

(٤) هكذا فى الأصل وفى غالب الملل . لكن الصواب أن يقال زيد بن أبى أنيسة من رؤوس الخوارج قال ابن حزم هو غير زيد بن أبى أنيسة المحدث . راجع لسان الميزان .

(٥) وهو ميمون بن عمران على ما فى شرح المواقف وخطط المقريزى .

القدر ، والإرادة ، والاستطاعة ، ثم اختار من دين المجوس استحلال بنات البنات ، وبنات البنبن ، وأباح لأتباعه التزوج بهن ، وكذلك أباح لهم التزوج ببنات الإخوة والأخوات ، وكان ينكر سورة يوسف ويقول أنها ليست من القرآن ·

الفرقة السابعة عشرة : منهم الباطنية وفتنتهم على المسلمين شر من فتنة الدجال ، فإن فتنة الدجال إنما تدوم أربعين يومًا ، وفتنة هؤلاء ظهرت أيام المأمون وهى قائمة بعد · وإنما ظهرت فتنتهم عن تدبير جماعة وهم عبد الله بن ميمون القداح[1] وكان مولى جعفر بن محمد الصادق ، ومحمد بن الحسين المعروف بدندان وجماعة كانوا يدعون (الجهاربجه)[2] الذين كانوا مع الملقب بدندان ومع ميمون بن ديصان كلهم اجتمعوا فى سجن ووضعوا مذهب الباطنية · فلما خلصوا من السجن ظهرت دعوتهم وأول من قام بها محمد بن الحسين الملقب بدندان[3] ابتدأ الدعوة فى أكراد جبال توز[4] حتى دخل فى دعوته جماعة من أهل بدين ، ثم أن ميمون بن ديصان ناحية المغرب[5] وانتسب إلى عقيل بن أبى طالب[6] فلما أجابته جماعة ادعى أنه من أولاد محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، فقبله منه جماعة من الجهال الذين لم يعلموا أن محمد بن اسماعيل بن جعفر خرج من الدنيا ولم يعقب وهذا شىء قد اتفق عليه النسابة ، ثم ظهر فى أتباعه رجل اسمه حمدان قرمط[7] فدعا أهل البحرين ، وكان أبو سعيد الجنابى[8] الذى تغلب على أهل البحرين من أتباعه وأجابه جماعة · ثم خرج سعيد بن الحسين بن عبد الله بن ميمون بن ديصان القداح إلى المغرب وغير اسمه ونسبه فقال : أنا عبيد الله بن الحسين بن محمد بن إسماعيل بن

---

(١) وهو جد زعيم الباطنية بناحية المغرب كما فى الأنساب لابن السمعانى ·

(٢) أى الغلمان الأربعة ·

(٣) كان من كتاب أبى دلف ومن جهة الكرخ ·

(٤) قرب الأهوز ·

(٥) أى جهة الغرب من جبال توز والأهواز حيث أقام مدة بين آل عقيل بالبصرة ثم هرب منها إلى ناحية الغرب من البصرة كما هو مشهور ·

(٦) هو أخو على بن أبى طالب ﷺ مات فى زمن يزيد بن معاوية قبل وقعة الحرة ·

(٧) هو حمدان بن الأشعث رأس القرامطة راجع كشف أسرار الباطنية ·

(٨) ملك البحرين واليمامة والإحساء قتله خادم له صقلى راوده فى الحمام سنة ٣٠١هـ·

جعفر الصادق[١] وأجابه جماعة من أهل المغرب ، ثم خرج منهم رجل كان يدعى أبا حاتم[٢] إلى أرض الديلم فأجابته منهم جماعة ودخل فى دعوتهم من أهل خراسان الحسين بن على المروزى[٣] فى الوقت الذى كان يتولى هراة ومرورروذ ، ولما قتل قام بدعوته فيما وراء النهر محمد بن أحمد النسفى المعروف بالبزدوى[٤] ، وأبو يعقوب السجزى أقام دعوته بناحية سجستان . وهذا البزدوى صنف لهم كتبًا سمى واحدًا منها كتاب « المحصول » وآخر كتاب « أساس الدعوة » وآخر كتاب « كشف الأسرار » وآخر كتاب « تأويل الشريعة » وذكر أهل التاريخ أن دعوة الباطنية ظهرت فى أيام المأمون وانتشرت فى أيام المعتصم ، ودخل فى دعوتهم من حشم المعتصم رجل يقال له أفشين[٥] وكان بسببه يداهن بابك الخرمى حتى هزم عدداً من عساكر المسلمين حتى اجتمع أبو دلف العجلى[٦] وقواد عبد الله بن طاهر[٧] وهزموا بابك الخرمى وأسروه ، وصلب[٨] بسر من رأى سنة ثلاث وعشرين ومائتين .

---

(١) وجمهور أهل العلم على أنه ليس ثابت النسب عمن انتمى إليه بل هو سليل ميمون القداح على ما هو معروف منذ نشأتهم كما يظهر من كلام أبى عبد الله بن رزام وهو من رجال منتصف القرن الرابع ومن ثقات أصحاب أبى الحسن الكرخى وابن الأخشيد وهو متقدم بدهر على إصدار المحضر المعروف من بغداد لأنه ألف كتابه حوالى سنة ٣٣٣ هـ . وكفاح المقريزى عن نسبهم كفاح بدون حجة ظانًا أنه منحدر النسب منهم كما ذكر ابن حجر والسخاوى وغيرهما فلا يعول على مثل هذا المنافح . وحاش لله أن يجعل فى النسب الزكى من يسعى جهده فى هدم دين الإسلام . وقصد ابن خلدون يظهر من تحقيق ابن حجر والسخاوى . ومن ظن بجماعة أهل العلم على توالى القرون سوءاً وعول على بعض من شذ يرثى لعقله .

(٢) له كتاب الزينة وكتاب الجامع كما فى الفهرس .

(٣) هو خليفة أبى سعيد الشعرانى المبعوث إلى خراسان سنة ٣٣٧ هـ . من عبيد الله جد العبيدية حبسه نصر بن أحمد ثم مات محبوسًا .

(٤) خلف الحسين المروزى ثم ناظره الفقهاء فقتل فى عهد نوح بن نصر راجع الفهرس .

(٥) هو من حجاب المعتصم وقواده ، له فتن تنم عن خبث وخيانة وممالأة مع المجوس صلبه المعتصم سنة ٢٢٤ هـ . ثم أحرقه .

(٦) هو الأمير الشاعر قاسم بن عيسى من الأبطال الأجواد توفى سنة ٢٢٥ هـ .

(٧) هو أمير خراسان المشهور توفى سنة ٢٣٠ هـ .

(٨) بل قتل ثم قتله راجع المنتظم لابن الجوزى .

وذكر أهل التواريخ أن الذين وضعوا دين الباطنية كانوا من أولاد المجوس ، وكان ميلهم إلى دين أسلافهم · ولكنهم لم يقدروا على اظهاره مخافة سيوف المسلمين ، فوضعوا قواعد على موافقة أساس وضعوه حتى تغتر به الأغمار · وذلك أن الثنوية قالوا : أن العالم صانعين أحدهما النور يكون منه الخيرات والمنافع ، والآخر الظلمة يكون منه الشرور والمضار ·

وقالوا : أن جملة الأجسام امتزجت منهما ، ثم قالوا : إن كل واحد من هذين الأصلين له طبائع أربع : الحرارة ، والبرودة ، والرطوبة ، واليبوسة ، ثم اقتدى بهم المجوس وقالوا : إن للعالم صانعين ، (يزدان ، وأهرمن) ثم غيرت الباطنية عباراتهم فقالوا : إن الله تعالى خلق النفس وكان الله هو الأول ، والنفس هو الثانى ، وربما قالوا : العقل هو الأول ، والنفس هو الثانى ، وزعموا أن هذين يدبران العالم بتدبير الكواكب السبعة والطبائع الأربع · وهذا بعينه قول المجوس حيث قالوا : إن مدبر العالم اثنان : أحداهما قديم ، والآخر حادث حدث من فكرته ، إلا أن المجوس قالوا : هما (يزدان وأهرمن) والباطنية قالوا : هما العقل والنفس · وقد كان منهم من جملة البرامكة من سعى فى إظهار عبادة النار بين المسلمين · فقال لهارون الرشيد ينبغى أن ترتب فى الكعبة إحراق العود ، والند ، ليكون ذلك أثراً زائداً على من قبلك · وأراد بذلك أن يجعل الكعبة بيت نار ، فلما وقف عليه علماء زمانهم عرفوا الخليفة حاله وصرفوه عن ذلك الرأى ·

وكما أن الباطنية احتالوا فى أصول الدين احتالوا فى اختداع أتباعهم واستمالة قلوبهم فأباحوا لهم جملة اللذات والشهوات ، وأباحاوا لهم نكاح البنات والأخوات ، وأسقطوا عنهم فرائض موالاة زعمائهم ، وأئمتهم · ومعنى المحرمات تحريم موالاة أبى بكر وعمر ، وكل من خالف مذهب الباطنية ·

وكانوا يؤولون الملائكة على دعاتهم الذين يدعون إلى بدعتهم وقالوا : أن الشياطين هم الذين لا يكونون على مذهبهم من المسلمين من علماء أصحاب الحديث والرأى ، وكانوا يسمون موافقيهم على بدعهم المؤمنين ، ومخالفيهم الحمير والظاهرية ·

وكان من جملتهم رجل اسمه عبيد الله بن الحسين القيروانى[1] كتب رسالة إلى

---

(١) هو بانى المهدية بافريقية وجد ملوك الدولة العبيدية بمصر كان يظهر الرفض ويبطن الزندقة كما يقول ابن العماد والباقلانى هلك سنة ٣٢٢ هـ · بالمهدية ·

سليمان بن الحسن القرمطي[1] وكتب فيها : « أوصيك بتشكيك الناس في التوراة ، والإنجيل ، والقرآن ، فإنه أعظم عون لك على القول بقدم العالم ، وأوصيت إليك بأن تعرف مخاريق الأنبياء والأمور التي ناقضوا فيها ، كما قال عيسى لليهود أنا لا أرفع شيئًا من شريعتكم ولا أنسخ ثم رفع السبت ووضع بدله الأحد ، وغير قبلة موسى ، فلما عثر اليهود منه على هذه المناقضة قتلوه ، وينبغي أن لا تكون كصاحب الأمة المنكوسة لما سألوه عن الروح لم يدر ما يقول فقال : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِنَ العِلمِ إلا قَلِيلاً ﴾[2] وهم قبلوا منه ذلك . وينبغي أن لا تكون كموسى ادعى ما ادعاه ، ولم يكن له برهانَ سوى المخرقة وحيل الشعبذة ، وذلكم المحق في زمانه قال: ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَى فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى ﴾[3] وإنما سماه محقًا على مذهبه على معنى أنه كان صاحب زمانه في دوره .

وذكر في تلك الرسالة فقال : « واعجب من هذا في دينهم أن الواحد منهم يكون له ابنة حسناء يحرمها على نفسه ويبيحها للأجنبي ، ولو كان له عقل لعلم أنه أولى بها من الرجل الأجنبي ، ولكنهم قوم خدعهم رجل بشيء لا يكون أبدًا ، خوفهم بالقيامة والنار ، ومناهم الجنة ، واستعبدهم لهذا السبب فكيف لم يخف في نفسه مما خوفهم به حين استعبدهم في العاجل ولم يبال به » . ثم ذكر المدبر في آخر هذا الكتاب : « إنك وإخوانك هم الوارثون الذين ورثوا الفردوس » وأراد بإخوانه الباطنية وزعم أنهم هم الذين يرثون الفردوس ، ثم فسر الفردوس فقال : « هو نعيم الدنيا ولذاتها التي حرمها على هؤلاء الجهال الذين تمسكوا بشرايع قوم من المتنبئين ، هنيئًا لكم الراحات التي وصلتم إليها والخلاص من التكليفات التي ابتلوا بها » .

واعلم أن أول ما يحتالون به هؤلاء على السلاطين والعوام الذين لا خبرة لهم في العلوم تقبيحهم العلماء في أعين العوام يقولون : للواحد منهم أن علماءكم لا يعرفون شيئًا ، ولو شئتم لجربتموهم وعرفتم من حالهم ما يقولون . سلوهم لم وجب غسل الوجه في الوضوء ، والحدث خرج من موضع آخر ؟ وأي حكمة وأي عاقل يستحسن مثل هذا ؟ ولم وجب غسل جميع البدن من قطرة مني خرجت منه ؟ ولم يجب على كثير من الحدث والبول يخرج منه إلا غسل أعضاء من البدن قالوا : وهذا بالعكس أولى .

(١) هو أبو طاهر الجنابي قالع الحجر الأسود سنة ٣١٧ هـ وأنباؤه معروفة .

(٢) سورة الإسراء ٨٥ .　　(٣) سورة النازعات ٢٣ و ٢٤ .

واسألوا منهم لم كانت صلاة المغرب ثلاث ركعات ، وصلاة الصبح ركعتين كل واحد منهما فى طرف من طرفى النهار ؟ ولم كان الركوع واحدًا والسجود اثنين ؟ ولم لم يقطع فرج الزانى ، وتقطع يد السارق ؟ وهما جميعًا آلة الخيانة .

واسألوهم لم كان اللسان واحدًا ، والأذن اثنتين ؟ والذكر واحدًا ، والخصية اثنتين ؟ ولم كانت الأهداب ثابتة على جفن الانسان ، ولا يكون لسائر الحيوانات الأهداب إلا على أحد الجفنين ؟ ولم كان بعض الحيوانات يبيض ، وبعضها يلد ؟ .

وإذا ظفروا بواحد من السلاطين والمحتسبين قالوا له : وضعت هذه الشريعة للحمير والعوام وأنتم من جملة الخواص ينبغى أن يكون لدينك خاصية تخالف دينهم . ويقولون : أن النبى ﷺ لم يكن نبيًا ، ولا رسولاً ، ولكنه كان حكيمًا أراد أن يستعبد العوام فكلفهم هذه التكاليف ولا بد للخواص أن يتميزوا عنهم ولا ينقادوا لشىء لا أصل له .

وإذا وردت هذه الأسئلة على العامى تحير فيها ، ورجع إلى واحد من أهل العلم فيقول العالم : لا تسمع هذا الكلام ولا تغتر به لأنه من كلام الباطنية ، وهذا الذى تسألنى عنه إنما هو أمور أمر الله بها فلا اعتراض عليه ، ولو أمر بخلافه لكان يجوز . وأشياء خلقها الله كان يجوز أن يخلق بخلافها لعموم قدرته . ألا ترى أن الله تبارك وتعالى خلق بعض الحيوانات على رجلين ، وبعضها على أربع ، وبعضها خلق بلا رجل تمشى على بطنها ، وفيها ما يطير بالجناح ، وخلق بعضها يمشى على البر ولو سقط فى الماء هلك ، وبعضها يعيش فى البر والبحر ، وخلق الأجسام بحيث ترسب فى الماء مثل الحجر والحديد ، وبعضها يطفو على الماء كالخشب وغيره ، فهذا كله دليل عموم قدرة الله تعالى وأنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ﴿ لا يُسْأل عما يَفْعل وهم يُسْألون ﴾[1] .

فإذا رجع العامى إلى من لقنه تلك الأسئلة وذكر له الجواب الذى وصفه . قال له : قد علمت الآن أنك لا تعرف شيئًا ، فشككه فى أمر الدين ، وفى حال العالم ، فأوهم بذلك الغر الغمر أن تحتها حكمة عظيمة يعرفها ويقولون إذا تحير العامى : لا يعرف أسرار هذه الأمور غيرنا . فإذا طالبهم العامى ببيانه يقولون : ليس هذا من الأسرار التى تفشى بلا عهد ولا ميثاق ، فإنها أسرار يعرفها الخواص . فيحلفونه

---

(١) سورة الأنبياء ٢٣ .

بالله ، وبالرسول ، وبالعتاق ، والطلاق ، وتسبيل المال ، والنعم ، وإن كان هذا اليمين لا خطر لها عندهم . فإنهم لا يؤمنون بالله ، وبالرسول ، ولكنهم يريدون التهويل على المسلم . ويقولون أيضًا : لا نظهره إلا بتقديم خير عليه فيطلبون مئة وتسعة عشر درهما من السبيكة الخالصة . ويقولون : هذا تأويل قول الله تعالى : ﴿ وأقْرِضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾[1] فالحاء والسين ، والنون ، والألف ، إذا جمع عددهم بحساب الجمل يكون مبلغه مئة وتسعة عشر فإذا سمع الغر هذا الكلام وبذل لهم العهد ، وأعطى هذا المال ، قال لهم : لم يبق إلا أن تهدونى إلى طريقكم ، وتفشوا إلى أسراركم ، فيخافون أن يظهروا له حقيقة ما هم عليه ، فيظهرون له ما يشبه أن يكون ظاهره دين الإسلام حتى لا يبادر إلى الإنكار عليهم ، ويستقر مع ذلك مقدار من خرافاتهم ، ثم يلقون الأمر إليه درجة فيسلخونه من الدين سلخًا .

فمما يلقونه إلى المبتدىء قولهم : أن الله تعالى خلق ذوات الأربع من الحيوانات فاختار منها واحدًا وهو الظبية جعلها محلاً للمسك الذى فيه تكون هذه الروائح الطيبة فى هذه الجنة ، ويعنون بالجنة دار الدنيا ونعيمها ، وخلق ذوات الأجنحة من الحيوانات واختار منها واحدة وهى النحلة ، وجعلها محلاً للشهد الذى منه أطيب الحلاوات فى هذه الجنة ، وخلق الحيوانات التى تمشى وتتحرك على بطنها فاختار واحدة وهى دودة القز ، وجعل منها الأبريسم الذى منه زينة هذه الجنة ، وخلق الناس واختار منهم محمداً ﷺ ، فيستحسن المبتدىء هذا الكلام الذى يلقيه إليه ويقول : أتدرى من محمد ؟ فيقول : نعم ، محمد رسول الله خرج من مكة وادعى النبوة ، وأظهر الرسالة وعرض المعجزة ، فيقول ليس هذا الذى تقول إلا كقول هؤلاء الحمير ، يعنون به المؤمنين من أهل الإسلام ، إنما محمد أنت فيستعيذ السامع ويقول : لست أنا محمدًا ، فيقول له : الله تعالى وصف فى هذا القرآن فقال : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بالمؤمنينَ رَءوفٌ رَحيم ﴾[2] وهؤلاء الحمير يقولون من مكة ، فيقول له الغر الغمر : على أى معنى نقول أنا محمد ؟ فيقول : خلقك وصورك خلقة محمد ، فالرأس بمنزلة الميم ، واليدان بمنزلة الحاء ، والسرة بمنزلة الميم ، والرجلان بمنزلة الدال ، وكذلك أنت على أيضًا ، عينك هى العين ، والأنف هى اللام ، والفم هى الياء ، ثم يقول : أن الله ماخلق شيئًا إلا على صورة محمد وعلى حتى الفارة خلقها على هذه الصورة .

---

(١) سورة المزمل ٢٠ .	(٢) سورة التوبة ١٢٨

يوهمه بأن قول القائل محمد ﷺ وعلى رضي الله عنه لا لشخصين من الأشخاص المعينة . يريد النبى ﷺ والمسمى بعلى رضي الله عنه .

وكذلك يقول: أن المراد بإثبات الذات يرجع إلى نفســك ، ويؤولون عليه قوله تعالى ﴿ فَلْيَعْبدوا رَبَّ هَذَا البيت ﴾[1] ويقولون : الرب هو الروح ، والبيت هو البدن ، ويمهدون بكلامهم هذا أن لا إله ولا نبى سوى البدن على التصوير الذى صوره حتى يقرروا عنده أن لا تكليف عليه ، ولا قطع له عن الراحة البشرية ، ويبتدئون بالدعاء لأهل البيت ويجتمعون بالسلخ عن الديانة ، وربما دعوا إلى الأئمة السبعة أو الأئمة الاثنى عشر ، فإذا أجابهم الجاهل وأنس بهم قالوا : هذه الأئمة ناس مثلك ليس لهم شرف عليك ؛ هذه أسماء تذكر ولها سر معلوم أنها هى المدبرة للعالم بطباعها ، فيخرجونه عن الدين بمثل هذه الحيل . وإن صادفوا من له حرص على التنسك والعبادة كلفوه الوصال فى الصوم أيامًا ، حتى إذا ضعف المسكين ومل عن جميعه ورأوا منه السلامة الظاهرة دعوه إلى ترك العبادات والإقبال على اللذات وصوروا له أن الأصل لهذه التكليفات فى الأمور الشرعيــة مثل ما ذكرناه بشرط تفهم ، وربما صوروا للغر طريق التناسخ كما وصفناه قبل ، ثم يختمون كلامهم بنفى الشريعة ونفى الرسول والمرسل . نسأل الله سبحانه وتعالى أن يكفى المسلمين شرهم فما هم إلا كما قال الله تعالى : ﴿ أولئك الذينَ طَبَعَ اللهُ على قُلُوبِهم وسَمْعِهم وأبْصَارِهم وأولئكَ هُمُ الغَافِلون ﴾[2] . لا جرم انهم فى الآخرة هم الخاسرون .

* * *

(١) سورة قريش ٣ .

(٢) سورة النحل ١٠٨ .

الباب الرابع عشر

فى بيان مقالات قوم كانوا قبل دولة الإسلام ، والله أعلم بعددهم ، وإنما نذكر منهم ما اشتهر من جملتهم عند أرباب التواريخ وأصحاب المقالات

فمنهم قوم كانوا يعبدون صنمًا مصورًا ، وقوم كانوا يعبدون إنسانًا مثل الذين كانوا يعبدون جمشيد[1] والذين كانوا يعبدون نمروذ بن كنعان[2] ، والذين كانوا يعبدون فرعون وهامان[3] وما أشبه ذلك .

ومنهم قوم كان عاداتهم عبادة ما يستحسنونه من الصور المختلفة وهم من جملة الحلولية ، ومنهم قوم كانوا يعبدون الشمس ، والقمر ، والكواكب . وقوم كانوا يعبدون بعض الكواكب ، مثل الشعرى ، والجوزاء . وقوم كانوا يعبدون الملائكة ويقولون أنهم بنات الله وهم الذين قال الله تعالى فى وصفهم : ﴿ إن الذين لا يُؤمنونَ بالآخرةِ لَيُسَمُّون الملائِكَةَ تَسميةَ الأُنثى ﴾[4] .

وقوم كانوا يعبدون حيطانًا . وقوم كانوا يعبدون البقرة ، ومنهم قوم كانوا قبل دولة الإسلام يدعون سوفسطائية ينفون الحقائق ، وقوم يسمون السمنية ينفون النظر والاستدلال ويقولون بقدم العالم ، وقوم يقال لهم الدهرية يقولون بقدم العالم وينكرون الصانع .

ومنهم قوم يدعون أصحاب الهيولى يقولون بقدم أصل العالم ويقرون بحدوث الاعراض ، وقوم من الفلاسفة يقولون بأن للعالم صانعًا قديمًا ، ولكن يقولون أيضًا

---

(١) هو رابع سلاطين البيشدادية معروف بين العرب باسم متوشلخ .

(٢) هو ملك الآراميين الذى آذى إبراهيم عليه السلام بما هو مشروح فى التاريخ .

(٣) هو وزير فرعون مرنفتاخ ابن رمسيس الثانى فرعون موسى عليه السلام على تحقيق الأستاذ السيد أحمد خيرى .

(٤) سورة النجم ٢٧ .

أن العالم قديم كما أن صانعه قديم ، ويقولون بقدم الصنعة والصانع وعلى هذا المذهب كان برقلس[1] وقوم من الفلاسفة يقولون أن الطبائع الأربع قديمة . وهى الأرض ، والماء ، والنار ، والهواء ، وزاد على هؤلاء قوم منهم فقالوا : إن هذه الأربع قديمة والأفلاك والكواكب أيضًا قديمة ، وزاد قوم منهم طبيعة خامسة زعموا أنها قديمة .

ومنهم قوم يقال لهم **المجوس** وهم أربع فرق : **الزروانية** ، **والمسخية** ، **والخرم دينية** ، **والبه آفريدية**[2] وهؤلاء كلهم على مذهب المجوس يقولون « بيزدان » و« اهرمن » .

ومنهم قوم يقال لهم **الصابئة** . وهؤلاء قوم ينتحلون مذهب أصحاب الهيولى كما وصفناه ، ومنهم قوم يقال لهم البراهمة ينكرون جميع الأنبياء ، ولكنهم يتولون بحدث العالم وتوحيد الصانع ، ومنهم قوم يقال لهم اليهود ، وقد ورد عن النبى ﷺ أنهم يفترقون على إحدى وسبعين فرقة .

واعلم أن سبب تفرقهم ما ذكره جمهور المفسرين : أن قومًا من بنى إسرائيل لما طالت عليهم المدة وقست قلوبهم ، تكلفوا ووضعوا كتبًا كما كانوا يشتهونه ، وكانوا يدعون أن تلك الكتب من عند الله ، وكانوا يقولون : إن من خالفنا فى هذا قتلناه ، ثم تفكروا فقالوا : جميع بنى إسرائيل لا يمكن قتلهم ، ولكن لبنى إسرائيل عالم هو حبرهم فيما بينهم كبير نعرض ما وضعناه عليه فإن قبله صار من أتباعنا وإن لم يقبله قتلناه حتى يصير جميع بنى إسرائيل تبعًا لنا . فراسلوه فعلم الرجل ما فى أنفسهم فكتب كتاب الله فى رق رقيق ، بخط دقيق ، ووضع ذلك فى قرن ، ثم تقلد ذلك القرن ، ولبس فوقه الثياب ، ثم جاء إليهم فعرضوا عليه ما كان عندهم ، ودعوه إلى الإيمان به . فأشار إلى صدره حيث كان ذلك القرن وقال : نعم آمنت بهذا ومالى لا أؤمن به . وكان له أصحاب كانوا يراعون حاله حتى مات فوجدوا معه ذلك القرن ، فقالوا : إنه إنما قال لهذا القرن آمنت به واختلفوا فيه ووقع الخلاف بسببه فى بنى إسرائيل حتى صاروا إحدى وسبعين فرقة ، خيرهم أصحاب القرن .

---

(١) حكيم دهرى قديم من أهل اللاذقية يرد عليه يحيى النحوى له مؤلفات يسردها القفطى .

(٢) نسبة إلى (به آفريد) بكسر الباء وسكون الهاء . راجع الشهرستانى والبدء والتاريخ .

وعلى الجملة جميع اليهود فى أصل الدين فريقان :

قوم منهم ينكرون نبوة محمد ﷺ وقوم لا ينكرون يقولون : أنه كان نبيًا ولكن كان مبعوثًا إلى العرب دون العجم وهم العيسويون[1] يكونون بأصفهان ، واعلم أن جميع اليهود فى أصول التوحيد فريقان : فريق منهم المشبهة · وهم الأصل فى التشبيه ، وكل من قال قولاً فى دولة الإسلام بشىء من التشبيه فقد نسج على منوالهم ، وأخذ مقالة من مقالهم الروافض وغيرهم ، ولهذا قال النبى ﷺ : « الروافض يهود هذه الأمة »[2] لأنهم أخذوا التشبيه من اليهود ·

الفريق الثانى منهم : هم القدرية ينكرون الرؤية ويقولون : إن الحيوانات يخلقون أفعالهم ، وأكثر الأمم كان فيما بينهم جماعة من القدرية ، ولهذا قال النبى ﷺ : « لعنت القدرية على لسان سبعين نبيًا »[3] والقدرية الذين ظهروا فى دولة الإسلام أخذوا طريقهم من قدرية اليهود ، وقد كان فى عصرنا جماعة ممن ينتسب إلى أصحاب الرأى ، ويتستر بمذهبهم ، وهو يضمر الإلحاد والقول بالقدر ، وكان يراجع اليهود ويتعلم منهم الشبه التى يغرون بها العوام وكفاهم خزيًا تعلمهم من اليهود واقتداؤهم بهم · والله سبحانه وتعالى يكفى المسلمين شرهم ·

ومنهم قوم يقال لهم النصـــارى ، وقد روينا فى الخبر أن النبى ﷺ قال : « أنهم يفترقون على اثنتين وسبعين فرقة » ، وكان سبب تفرقهم ما ذكره المفسرون وأصحاب التواريخ ، وذلك أنهم قالوا : إن النصارى كانوا متمسكين بدين عيسى عليه السلام بعد ما رفع إلى السماء إحدى وثلاثين سنة ، وكانوا يجبرون على الاستقامة إلى أن وقع بينهم وبين اليهود حرب ·

وكان فى اليهود رجل اسمه بولس[4] قتل منهم مقتلة عظيمة ، ثم قال لليهود إن كان قوم عيسى على الحق ونحن قد كفرنا بهم يكون علينا غبن عظيم فإنهم

---

(١) أتباع أبى عيسى الأصبهانى اليهودى · كان يزعم أن محمداً ﷺ لم يبعث إلى الناس كافة ، بل هو نبى العرب خاصة ·

(٢) يروى معنى هذا الحديث عن سعيد بن جبير من قوله وكذا من أهل طبقته وأما رفعه إلى النبى ﷺ فلم أره فى شىء من كتب الحديث ·

(٣) أخرجه الطبرانى فى الأوسط بسند فيه متروك الحديث كما سبق ·

(٤) راجع الفصل لابن حزم (٢ - ٧٠) ·

يدخلون الجنة ونحن ندخل النار ، ولكنى احتال حيلة حتى أفسد عليهم دينهم ، وكان له فرس اسمه عقاب ، وكان يقاتل عليه · فقام وعقر ذلك الفرس وأظهر الندم على ما كان منه ونثر التراب على رأسه ثم جاء إلى النصارى متندمًا بظاهره فقالوا له من أنت ؟ فقال : أنا بولس كنت أشد عدو لكم ولكنى سمعت من السماء نداء أن توبتك لا تقبل إلا أن تتنصر · الآن تبت ورجعت إلى دينكم · فأكرموه وأدخلوه كنيستهم فلازم بيتًا من بيوتها لم يخرج منه ليلا ولا نهارًا حتى تعلم الإنجيل ، ثم خرج وقال سمعت من السماء أن توبتك قد قبلت وأن صدقك قد عرف ، وأنك قد أحببت وقبلت · ثم خرج إلى بيت المقدس واستخلف رجلاً من نسطور وعلمه أن عيسى ومريم والأله كانوا ثلاثة ، ثم خرج إلى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت وقال لهم : إن عيسى لم يكن ناسًا ثم صار ناسًا ، ولم يكن جسمًا ثم صار جسمًا ، وكان ابن الله ، وعلم يعقوب هذا القول ثم دعا رجلاً كان اسمه ملكاء وقال له : أن الإله الذى لم يزل ولا يزال هــو عيسى · ثم دعا كل واحد من هؤلاء الثلاثة وقال له : أنت صاحبى خالصًا فإنى أريد أن أفضى إليك سرًا ينبغى أن لا تترك نحلتك هذه وتدعو الخلق إليهــا ، فقد رأيت عيسى عليه السلام البارحة فى المنام وكان راضيًا عنى · فينبغى أن لا ترجع عن نحلتك بحال · فإنى أريد أن أتقرب إلى الله تعالى بقربان لرضاه عنى أذبح نفسى قربانًا · ثم قام ودخل المذبح وذبح نفسه ·

فلما كان اليوم الثالث من وفاته قام كل واحد من أولئك الثلاثة ودعا الناس إلى نحلته · وتبع كل واحد منهم جماعة من الناس ، وكانوا يتقاتلون فيما بينهم وبقى بينهم ذلك الخلاف · ولم يزالوا يختلفون حتى بلغ عدد فرقهم مثل ما نطق به الخبر المروى فى هذا الباب · وكان مذهبهم مذهب أصحاب الهيولى · وكانوا فى بعض دينهم مع اليهود وفى بعضه مع النصارى ، وباتدعوا من عند انفسهم أمورًا كثيرة تخالف الفريقين ·

ومنهم قوم يقال لهم السامرة وهم من جملة اليهود ولكنهم خالفوا فى أشياء ، واعلم أن جميع من ذكرناهم فى هذا الباب من الفرق كفار إلا أن أحكامهم فى كفرهم مختلفة فى الشريعة كما نذكره فى كتب الفقه ·

* * *

الباب الخامس عشر

فى بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة وبيان مفاخرهم ومحاسن أحوالهم ويقع فى هذا الباب فصول ثلاثة

أحدها : فى بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة .

الثانى : فى بيان تحقيق النجاة لهم بالطرق التى ننبه عليها .

الثالث : فى بيان فضائلهم .

الفصل الأول : فى بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة السليم عن جميع ما ذكرناه من الضلالات . فهو :

١ - أن تعلم[١] أن العالم بجميع أركانه ، وأجسامه ، وما يشتمل عليه من أنواع النباتات والحيوانات وجميع الأفعال ، والأقوال ، والاعتقادات كلها مخلوق كائن عن أول ، حادث بعد أن لم يكن شيئًا ولا عينًا ، ولا ذاتًا ، ولا جوهرًا ، ولا عرضًا ، والدليل على حدوثها أنها تتغير عليها الصفات وتخرج من حال إلى حال ، وحقيقة التغيرات أن تبطل حالة وتحدث أخرى ، فأما الحالة التى حدثت فحدوثها معلوم بالضرورة والمشاهدة ، وما كان ضروريًا لم يفتقر إلى الاستدلال عليه ، ولا يجوز أن يقال أنها انقلبت من باطن الجسم إلى ظاهره لاستحالة الانتقالات على الصفات . وأما الحالة التى بطلت لو كانت قديمة لم تبطل ،فبطلانها يدل على حدوثها لأن القديم لا يبطل وإنما قلنا أن القديم لا يبطل لأن خروج الذات عن صفة واجبة له فى حال محال ، لأنها لو جاز خروجها عن تلك الصفة لصارت جائزة الوجود ، وما كان واجب الوجود لا يصير جائز الوجود كما أن جائز الوجود ، لا يصير واجب الوجود بحال لأنهما صفتان متناقضتان . وإذا تقرر هذه الجملة « أن صفات الأجسام مخلوقة » ثبت « أن الأجسام مخلوقة » لأن ما لا يخلو من الحوادث لا يستحق أن

---

(١) يسوق المصنف باقى اعتقاد أهل السنة بالعطف إلى هذا المحل بلفظ (وأن تعلم) فجعلنا المتعاطفات من هذا القبيل فى أول السطر وبإزائها أعداد متسلسلة كلما تكرر تصديرها بلفظ (وأن تعلم) فنلفت إلى ذلك النظر لئلا يقع القارىء الكريم فى حيرة من البعد فيما بين المتعاطفات من هذا القبيل على كثرتها .

يكون محدثًا (بالكسر) وما لا يستحق أن يكون محدثًا كان محدثًا (بالفتح) مثلها ، وقد نبه الله تعالى فى كتابه على تحقيق هذه الدلالة وأثنى عليها وسماها حجة ، ومن على الخليل إبراهيم عليه السلام بإلهام هذه الدلالة إياه وجعلها سببًا لرفع درجته حيث قال : ﴿ وَكذَلكَ نَرى إبْراهيمَ مَلَكُوتَ السَمَوات وَالأرْضِ ولَيكُونَ منَ المُوقنينَ ﴾[1] إلى قوله : ﴿ نَرفَعُ دَرَجات مَنْ نَشاءُ إنَّ ربَّك عَليمٌ حكيم ﴾[2] : استدل بالتغير على حدوث الكواكب والشمس والقمر . ثم إن الله تعالى نبه على هذه الطريقة من الاستدلال والاحتجاج فقال : ﴿ إنَّ فى خَلْق السموات والأرضِ واختلاف الليلِ والنهارِ لآيات لأولى الألباب ﴾[3] وقال: ﴿ وإلَهكُم إلهٌ واَحدٌ لاَ إلَهَ إلاَّ هوَ الرَّحْمَنُ الرَّحيم ﴾[4] إلى قوله : ﴿ إنَّ في خَلْقِ السَمَوات والأرضِ واخْتلاف اللَّيلِ والنَهارِ والفُلْك التى تَجْرى فى البَحرِ بما يَنْفعُ الناسَ وَمَا أنزَلَ الله منَ السماء منْ مَاء فأحيَا به الأرْضَ بَعْدَ مَوتها وَبَثَّ فيها منْ كُلٌ دابة وتصريفِ الرِّياحِ والَسحَابِ المُسَخَّرِ بيْنَ السَّماءِ والأرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلون ﴾[5] .

٢ - وأن تعلم أن المخلوق لابد له من خالق ، لأن الأجسام لو كانت بأنفسها مع تجانس ذواتها لم تختلف بالصفات ، والأوقات والأحوال ، والمحال ، فلما اختلف علمنا أن لها مخصصًا قدم ما قدم ، وأخر ما أخر ، وخص كل واحد منها بما اختص به من الصفات ، لولاه لم يقع الاختصاص فى شىء من الأوصاف ، لأن الاختصاص بأحد الجائزين يقتضى مخصصًا لولاه لم يقع التخصيص به ، وقد نبه الله تعالى على أصل هذه الدلالة بقــوله : ﴿ أمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أمْ هُمُ الخَالقُونَ ﴾[6] معناه أم خلقوا من غير خالق كأنه قال من غير شىء خلقهم لما تقرر من استحالة ثبوت ما ثبت بوصف الخلق من غير خالق خلق ؛ ولا صانع دبر وصنع ، وأنت تعلم أيضًا ، أن خالق الخلق قديم ، لأنه لو كان محدثًا لافتقر إلى محدث . وكان حكم الثانى والثالث وما انتهى إليه كذلك ، وكان كل خالق يفتقر إلى خالق آخر لا إلى نهاية . وكان يستحيل وجود المخلوق والخالق جميعًا . لأن ما شرط وجوده ما لا نهاية له من الأعداد قبله لم يتقرر وجوده لاستحالة الفراغ عما لا نهاية له لتنتهى النوبة إلى ما بعد . وأصل هذه الدلالة فى القرآن وهو قوله : ﴿ هُوَ الأوَّلُ والآخِرُ

(١ ، ٢) سورة الأنعام ٧٥ و ٨٣ .
(٣) سورة آل عمران ١٩٠ .
(٤ ، ٥) سورة البقرة ١٦٣ و ١٦٤ .
(٦) سورة الطور ٣٥ .

والظَّاهِرُ والبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم ﴾[1] فبين أنه كان قبـل ما يشار إليه بأنه محدث ، وقوله تعالى : ﴿ اللهُ لاَ الهَ إلاَّ هُوَ الحيُّ القَيُّوم ﴾[2] والقيوم مبالغة من القيام وهو الثبات والوجود ، وهذا دليل على اتصافه بالوجود فى جميع الأحوال ، وإنه لا يجوز وصفه بالعدم بحال وذلك حقيقة القدم . وقوله : ﴿ تَبَارَكَ الَّذى بيَده المُلْكُ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَدير ﴾[3] و ﴿ تَبَارَكَ الَّذى نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَى عَبْده ليَكُونَ للْعَالَمينَ نَذيراً ﴾[4] . فإن البركة هى الثبات . وأصله من البرك والبركة والبروك ، وتبارك مبالغة فى معناه ، وهذا يوجب له الوجود فى جمع الأحوال لم يزل ولا يزال ، وقد ورد فى خبر عمران بن حصين أن النبى ﷺ قال : « كَانَ اللهُ وَلَمْ يكُنْ مَعَهُ شَيءٌ »[5] وهذا يوجب الكون فى جميع الأحوال .

٣ - وأن تعلم أن خالق العالم واحد . لأنه لو كان اثنين ولم يقدر أحدهما على كتمان شيء من صاحبه كانت قدرتهما ناقصة متناهية ، وإن قدر أحدهما على كتمان شيء من صاحبه كان علم كل واحد منهما ناقصًا متناهيًا ، ومن كان علمه أو قدرته متناهيًا ناقصًا لم يكن إلها صانعًا ، بل كان مخلوقًا مصنوعًا وقد نبه الله على هذه الدلالة بقوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فيهما آلهَةٌ إلاَّ الله لَفَسَدَتَا ﴾[6] وقال : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَما يَقُولُونَ إذًا لابْتَغُوا إلَى ذِى العَرْشِ سَبِيلا ﴾[7] وفى تحقيق التوحيد وردت سورة الإخلاص إلى آخرها وقوله تعالى ﴿ قُلْ إنَّما يُوحَى إلىَّ إنَّما إلَهُكُمْ إلَهٌ واحِدٌ ﴾[8] .

٤ - وأن تعلم أن الخالق لشيء ثابت موجود لا يجوز وصفه بالعدم . لأن الخالق لا يكون خالقًا إلا بأن يكون قادرًا ، ولا يكون قادرًا إلا والقدرة قائمة ، والمعدوم لا يقبل هـذه الصفات وقال الله فى تحقيقه : ﴿ اللهُ لاَ إلَهَ إلاَّ هُوَ الحىُّ القَيُّوم ﴾[9] وقال تعالى : ﴿ فَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَالَمين ﴾[10] وذلك يوجب الثبات والقيام والوجود فى جميع الأحوال من غير تغير ولا زوال .

---

(١) سورة الحديد ٣ .
(٢) سورة البقرة ٢٥٥ .
(٣) سورة الملك ١ .
(٤) سورة الفرقان ١ .
(٥) أخرجه ابن حبان والحاكم وابن أبى شيبة بلفظ « كان الله ولا شيء معه » وفى معناه حديث البخارى « كان الله ولا شيء غيره » .
(٦) سورة الأنبياء ٢٢ .
(٧) سورة الإسراء ٤٢ .
(٨) سورة الأنبياء ١٠٨ .
(٩) سورة البقرة ٢٥٥ .
(١٠) سورة غافر ٦٤ .

٥ - وأن تعلم أن البارى سبحانه وتعالى لا يجوز وصفه بالحاجة فإنه يلزمه أن يخرج من وصف الحاجة إلى وصف الاستغناء وذلك يتضمن بطلان صفة وحدوث صفة . والقديم سبحانه وتعالى لا يجوز عليه البطلان ولا الحدوث وأصله قوله سبحانه وتعالى : ﴿ واللهُ الغنىُّ وأنتُمُ الفُقَرَاء ﴾[1] بين بهذا أن صفة الحاجة والافتقار عليه محال .

٦ - وأن تعلم أن خالق العالم قائم بنفسه . ومعناه أنه بوجوده مستغن عن خالق يخلقه ، وعن محل يحله ، وعن مكان يقله . قال الله تعالى : ﴿ اللهُ لاَ إلَهَ إلاَّ هُوَ الحىُّ القَيُّوم ﴾[2] مبالغة عن القيام والثبات على الإطلاق من غير حاجة إلى صانع يصنعه ، أو موجد يوجده ، أو مكان يحله .

٧ - وأن تعلم أن القديم سبحانه يرى وتجوز رؤيته بالأبصار ، لأن ما لا تصح رؤيته لم يتقرر وجوده كالمعدوم ، وكل ما صح وجوده جازت رؤيته كسائر الموجودات . ودلائل هذه المسألة فى كتاب الله كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلاَم ﴾[3] واللقاء إذا أطلق فى اللغة وقع على الرؤية خصوصًا حيث لا يجوز فيه التلاقى بالذوات والتماس بينهما ، ومنهما قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يومئذ نَاضِرَةٌ إلى ربِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[4] ومنها قوله : ﴿ للَّذين أحْسَنُوا الحُسْنى وَزِيادَةَ ولاَ يُرْهِقُ وجُوهَهُمْ قَتَرٌ ولاَ ذلَّةٌ أولَئِكَ أصْحَابُ الجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون ﴾[5] ولا زيادة على نعيم الجنة غير رؤية الربَ جل جلاله . وقد ورد عن الرسول ﷺ تفسير هذه الآية بذلك[6] ومنها قوله فى قصة موسى عليه السلام : ﴿ قَالَ رَبِّ أرِنى أنْظُرُ إلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِى ﴾[7] ولو لم تكن الرؤية جائزة لكان لا يتمناها من هو موصوف بالنبوة وأيضًا فإنه سبحانه وتعالى قال فى جوابه . « لن ترانى » ولم يقل لن أرى ، وفيه دليل على أنه يصح أن يرى ، لأنه لو كان لا يصح رؤيته لكان يقول لن أرى ، ولما خص نفى الرؤية به . ومنها قوله تعالى : ﴿ لاَ تُدْركُهُ الأبْصَارَ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ ﴾[8] يبين أن جميع الأبصار لا تدركه . مفهومه أن بعضها يدركه . ثم بين الله سبحانه من يدرك ومن لا

---

(١) سورة محمد ٣٨ .
(٢) سورة آل عمران ٢ .
(٣) سورة الأحزاب ٤٤ .
(٤) سورة القيامة ٢٢ و ٢٣ .
(٥) سورة يونس ٢٦ .
(٦) راجع جامع الترمذى .
(٧) سورة الأعراف ١٤٣ .
(٨) سورة الانعام ١٠٣ .

يدرك ، فقال : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[1] وأن الوجوه الباسرة محجوبة عنه ، كما فرق بين الفريقين فى قوله: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوه ﴾[2] فالوجوه السود محجوبة عنه ، والوجوه البيض الناضرة ناظرة إليه ، ثم أن النبى ﷺ خص لأصحابه هذه الحالة . فقال : « إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون ولا تضارون فى رؤيته »[3] وفى الحديث قيد تحمل عليه آية الرؤية فكأنه قال : لا تدركه الأبصار فى غير يوم القيامة وتدركه يومئذ فإن المطلق يحمل على القيد .

٨ – وأن تعلم أن الخالق لا يشبه الخلق فى شىء[4] ، لأن مثل الشىء ما يكون مشاركًا له فى جميع أوصافه الجائزة والواجبة والمستحيلة ، ويعبر عنه بأن المثلين كل شيئين ينوب أحدهما مناب صاحبه ، ويسد مسده ، وأصله قوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير ﴾[5] وقوله : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَد ﴾ . وقوله : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾[6] .

٩ – وأن تعلم أن خالق العالم لا يجوز عليه الحد والنهاية[7] ، لأن الشىء لا يكون مخصوصًا بحد إلا أن يخصه بذلك الحد ويقرره على تلك النهاية بجواز غيره من الحدود عليه ، والصانع لا يكون مصنوعًا ولا محدودًا ولا مخصصًا وأصله فى كتاب الله تعالى : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾[8] الآية مع قوله :

---

(١) سورة القيامة ٢٢ و ٢٣ .   (٢) سورة آل عمران ١٠٦ .

(٣) أخرجه البخارى وغيره .

(٤) قال ابن تيميه فى رده على الرازى : – وهو فى ظاهرية دمشق فى طى الكواكب الدرارى – « ليس فى كتاب الله ولا سنة رسوله ولا كلام أحد من الصحابة والتابعين ولا الأكابر من أتباع التابعين من ذم المشبهة وذم التشبيه ونفى مذهب التشبيه ونحو ذلك ، وإنما اشتهر ذم هذا من جهة الجهمية أ هـ . » ولا أدرى هل يعد أحمد ، واسحاق ، والدرامى . ونعيمـــا من الجهمية ؟ وهو ينقل نص عبارتهم فى التبرى من التشبيه أم يتناسى قوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شىء ﴾ وقوله تعـالى : ﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق ﴾ وهكذا يكون من فارق الجماعة .

(٥) سورة الشورى ١١ .   (٦) سورة مريم ٦٥ .

(٧) فمن أثبت الحد له تعالى من أمثال عثمان بن سعيد الدرامى السجزى وأبى يعلى الحنبلى وغيرهما لا يكون على شىء من معتقد أهل السنة .   (٨) سورة المجادلة ٧ .

﴿فأتى اللهُ بُنْيانَهُمْ مِنَ القَوَاعِد﴾[1] ومع قوله : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾[2] ولو كان مخصوصًا بحد ونهاية وجملة لم يجز أن يكون منسوبًا إلى أماكن مختلفة متضادة وكان لا يجوز أن يكون مع كل واحد ، وأن يكون على العرش وأن يأتى ببنيان قوم سلط عليهم الهلاك . فجاء من الجمع بين هذه الآيات تحقيق القول بنفى الحد والنهاية ، واستحالة كونه مخصوصًا بجهة من الجهات[3] وفى الجمع بين هذه الآيات دليل على أن معنى قوله : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إلاَّ هُوَ رَابِعُهُم ﴾[4] إنما هو بمعنى العلم بأسرارهم . ومعنى قوله : ﴿ فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ القَوَاعِد ﴾[5] أى خلق فى بنيان القوم معنى من زلزلة ورجف يكون ذلك سبب خرابه كما قال : ﴿ فَخَرَّ عَلَيهِمُ السَّقْفَ مِنْ فَوقِهِم ﴾[6] وأن معنى قوله : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى ﴾[7] معناه قصد إلى خلق العرش كما قال : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَان ﴾[8] ويكون معنى على فى هذا الموضع بمعنى إلى ، أو يكون العرش فى هذه الآية بمنزلة المملكة كما يقال : ثل عرش فلان . إذا زال ملكه وكما قال الشاعر :

قد نال عرشًا لم ينله نائل جن ولا أنـــس ولا ديار

وقد روى فى الخبر عن النبى ﷺ ما تحقق به المعنى الذى بينا على هذه الظواهر ، وذلك أنه ﷺ قال : « كان ملك يجيىء من السماء وآخر من الأرض السابعة فقال كل واحد منهما لصاحبه من أين تجيىء قال من عند الله » . ولو كان له حد ونهاية استحال كونه فى جهتين مختلفتين . فتقرر به استحالة الحد والنهاية ، وأن جملة الملكوت تحت سلطانه وقدرته وعلمه ومعرفته .

١٠ - وأن تعلم أن القديم سبحانه ليس بجسم ولا جوهر[9] لأن الجسم يكون

---

(١) سورة النحل ٢٦ . (٢) سورة طه ٥ .

(٣) فيكون القائل بالجهة والحد خارجًا من معتقد أهل الحق رغم تقولات الحشوية وتشغيباتهم .

(٤) سورة المجادلة ٧ . (٥ ، ٦) سورة النحل ٢٦ .

(٧) سورة طه ٥ .

(٨) سورة فصلت ١١ .

(٩) ومن هنا تعلم ما إذا كان ابن تيميه من أهل السنة حيث يقول فى رده على أساس التقديس للرازى : « فمن المعلوم أن الكتاب والسنة والإجماع لم تنطق بأن الأجسام كلها محدثة وإن الله ليس بجسم ولا قال ذلك إمام من أئمة المسلمين فليس فى تركى لهـذا القول خروج =

فيه التأليف ، والجوهر يجوز فيه التأليف والاتصال ، وكل ما كان له الاتصال أو جاز عليه الاتصال يكون له حد ونهاية . وقد دللنا على استحالة الحد والنهاية على البارى سبحانه وتعالى وقد ذكر الله تعالى فى صفة الجسم الزيادة فقال : ﴿ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِى العِلْمِ وَالجِسْمِ ﴾[1] فبين أن ما كان جسمًا جازت عليه الزيادة والنقصان ولا تجوز الزيادة والنقصان على البارى سبحانه .

١١ - وأن تعلم أن القديم سبحانه ليس بعرض لأن العرض مما يستحيل بقاؤه ، ولا يكون الخالق إلا باقيًا أيضًا فإن العرض لا يقوم بنفسه ، ولا يكون الخالق إلا قائمًا بنفسه ، ودليله من كتاب الله تعالى فإنه سبحانه أطلق اسم العرض على شىء يقل بقاؤه ، أو لا يعد باقيًا فى العرف والعادة حيث قال : ﴿ تريدون عرض الدنيا ﴾[2] و﴿ هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا ﴾[3] .

١٢ - وأن تعلم أن البارى سبحانه وتعالى يستحيل عليه الولد والزوجة لأن ذلك لا يكون إلا بالاتصال والمماسة[4] وذلك يوجب الحد والنهاية . وقد بينا استحالته عليه سبحانه وتعالى وحقق الله ذلك بقوله : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَد ﴾[5] .

= عن الفطرة ولا عن الشريعة أ هـ . » وأين ذهبت منه آيات التنزيه ؟ أم يريد النص على كل سخافة يرتئيها سخيف ليثبت التحليق فى الجو والغوص فى البحار إلى ما لا آخر له من صنوف التخريف . والكتاب فى ظاهرية دمشق طى الكواكب الدرارى لابن زكنون الحنبلى .

(١) سورة البقرة ٢٤٧ . (٢) سورة الأنفال ٦٧ .

(٣) سورة الأحقاف ٢٤ .

(٤) فقول ابن تيمية فى رده على الرازى : « ومن المعلوم بالاضطراب أن اسم الواحد فى كلام الله لم يقصد به سلب الصفات - - يريد ما يشمل المجىء ونحوه - ولا سلب إدراكه بالحواس ، ولا نفى الحد والقدر ونحو ذلك من المعانى التى ابتدع نفيها الجهمية وأتباعهم ولا يوجد نفيها فى كتاب ولا سنة أ هـ » . ينبىء عن معتقده ، وقال المنبجى صاحب ابن القيم فى « اثبات المماسة » : (قال ابن تيمية والمعروف عند أئمة أهل السنة وعلماء أهل الحديث أنهم لا يمتنعون عن وصف الله بأنه يمس ما شاء من خلقه بل يروون فى ذلك الآثار ويردون على من نفاه . ذكره فى الأجوبة المصرية أ هـ) . وهذا دليل آخر على معتقد الرجل وجل أهل السنة عن مثل هذا التخريف . ومن أصر على اتخاذه قدوة بعد اطلاعه على آرائه الشاذة يعد اختياره عنوان عقله . (٥) سورة الإخلاص ٣ و ٤ .

١٣ - وأن تعلم أنه لا يجوز الشريك له فى المملكة لما قد بينا من أن الخالق واحد لا ثانى له ، والمملوك يستحيل أن يكون خارجًا من ملك الخالق وهذا تحقيق قوله : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لله الَّذى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فى الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِىٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾[١] .

١٤ - وأن تعلم أن الحركة ، والسكون ، والذهاب ، والمجىء ، والكون فى المكان ، والاجتماع ، والافتراق ، والقرب ، والبعد من طريق المسافة ، والاتصال ، والانفصال ، والحجم ، والجرم ، والجثة ، والصورة ، والحيز ، والمقدار ، والنواحى ، والأقطار ، والجوانب ، والجهات[٢] كلها لا تجوز عليه تعالى لأن جميعها يوجب الحد والنهاية . وقد دللنا على استحالة ذلك على البارى سبحانه وتعالى . وأصل هذا فى كتاب الله تعالى وذلك أن إبراهيم عليه السلام لما رأى هذه العلامات على الكواكب والشمس والقمر قال : ﴿ لا أُحِبُّ الأفِلِينَ ﴾[٣] فبين أن ما جاز عليه تلك الصفات لا يكون خالقًا .

١٥ - وأن تعلم أن كل ما تصور فى الوهم من طول ، وعرض ، وعمق ، وألوان ، وهيئات ، مختلفة ينبغى أن تعتقد أن صانع العالم بخلافه ، وإنه قادر على خلق مثله ، وإلى هذا المعنى أشار الصديق ﷺ بقوله : العجز عن درك الإدراك

---

(١) سورة الإسراء ١١١ .

(٢) فيكون قول ابن تيمية فى رده على الرازى : « قلتم ليس هو بجسم ولا جوهر ولا جهة له ولا يشار إليه بحس ولا يتميز منه شىء من شىء وعبرتم عن ذلك بأنه تعالى ليس بمنقسم ولا مركب وإنه لا حد له ولا غاية تريدون بذلك أنه يمتنع عليه أن يكون له حد وقدر أو أن يكون له قدر لا يتناهى فكيف ساغ لكم هذا النفى بلا كتاب ولا سنة ؟ » . خروجًا من معتقد أهل السنة وتحبيذ كتاب النقض لعثمان بن سعيد السجزى منه من أردأ ما ينطق به مجسم لما فيه من المخازى المكشوفة من اثبات الحركة ، والثقل ، والجلوس ، والمسافة ، والاستقرار المكانى ونحو ذلك له تعالى . تعالى الله عن تخريف المخرفين ، وهذيان المبرسمين . وقوله بكون من على رأس الجبل أقرب إلى الله مما يضحك منه الأطفال . وأما قوله : « لو شاء لاستقر على ظهر بعوضة فاستقلت به بقدرته ولطف ربوبيته فكيف على عرش عظيم » . فآية من آيات السقوط وليس هذا من قبيل الاستدلال ببطلان التالى على بطلان المقدم بل هذا استدلال بجواز التالى فى زعمه على جواز تمكنه فى العرش فسبحان قاسم العقول .

(٣) سورة الأنعام ٧٩ .

إدراك . ومعناه إذا صح عندك أن الصانع لا يمكن معرفته بالتصوير ، والتركيب ، والقياس ، على الخلق صح عندك إنه خلاف المخلوقات . وتحقيقه إنك إذا عجزت عن معرفته بالقياس على أفعاله صح معرفتك له بدلالة الأفعال على ذاته وصفاته ، وقد وصف الله سبحانه وتعالى نفسه بقوله : ﴿ هُوَ اللَّهُ الخَالِقُ البَارِىءِ المُصَوِّر ﴾[1] وما كان مصورًا لم يكن مصورًا ، كما أن من كان مخلوقًا لم يكن خالقًا .

١٦ – وأن تعلم أن الحوادث لا يجوز حلولها فى ذاته وصفاته[2] لأن ما كان محلاً للحوادث لم يخل منها وإذا لم يخل كان محدثًا مثلها . ولهذا قال الخليل عليه الصلاة والسلام : « لا أحب الآفلين » بين به أن من حل به من المعانى ما يغيره من حال إلى حال كان محدثًا لا يصح أن يكون إلها .

١٧ – وأن تعلم أن كل ما دل على حدوث شىء من الحد ، والنهاية ، والمكان ، والجهة[3] ، والسكون ، والحركة فهو مستحيل عليه سبحانه وتعالى لأن ما لا يكون محدثًا لا يجوز عليه ما هو دليل على الحدوث ، وعليه يدل ما ذكرناها قبل فى قصة الخليل عليه السلام .

١٨ – وأن تعلم أنه سبحانه لا يجوز عليه النقص ، والآفة ، لأن الآفة نوع من المنع ، والمنع يقتضى مانعًا وممنوعًا ، وليس فوقه سبحانه مانع وقد نبه الله تعالى عليه بقوله : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذى لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ المَلِكُ القُدُّوس السَّلاَمُ المُؤمِنُ المُهَيمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُون ﴾[4] والسلام هو الذى سلم من الآفات ، والنقائص ، والقدوس هو المنزه عن النقائص والموانع إليه وقد وصف الله تعالى ذاته بقوله : ﴿ ذُو العَرْشِ المَجِيد ﴾[5] والمجد فى كلام العرب كمال الشرف

(١) سورة الحشر ٢٤ .

(٢) فيكون ما توسع به ابن تيمية فى كتبه من تجويز قيام الحوادث به تعالى وحلولها فيه ولا سيما فى هامش مناهجه « ٢ –٧٥ » خارجًا من معتقد أهل الحق .

(٣) وبه تعلم حكم قول ابن تيمية فى منهاجه « ١ – ٢٦٤ » باثبات الجهة له تعالى على التقديرين قال على القارى فى شرح المشكاة : « بل قال جمع منهم « أى السلف » ومن الخلف أن معتقد الجهة كافر كما صرح به العراقى وقال : انه قول أبى حنيفة ، ومالك ، والشافعى ، والأشعرى ؛ والباقلانى أ هـ . » فما وقع فى كلام بعض المغاربة سبق قلم كما شرحت ذلك فى مواضع والا لكان خارجًا من قول أهل الحق .

(٤) سورة الحشر ٢٣ .   (٥) سورة البروج ٥١

ومن كان لنوع من النقص إليه طريق لم يكمل شرفه ولم يجز وصفه بقوله مجيد · فلما اتصف به سبحانه علمنا انه لا طريق للنقص إليه ·

١٩ - وأن تعلم أنه لا يجوز عليه الكيفية ، والكمية ، والأينية ، لأن من لا مثل له لا يمكن أن يقال فيه كيف هو ، ومن لا عدد له يقال فيه كم هو ، ومن لا أول له لا يقال له مم كان ،ومن لا مكان له لا يقال فيه أين كان · وقد ذكرنا من كتاب الله تعالى ما يدل على التوحيد ونفى التشبيه ونفى المكان والجهة ، ونفى الابتداء والأولية · وقد جاء فيه عن أمير المؤمنين على ﷺ أشفى البيان حين قيل له أين الله ؟ فقال : إن الذى أين الأين لا يقال له أين · فقيل له كيف الله ؟ فقال : إن الذى كيف الكيف لا يقال له كيف · وسأله آخر فقال : ما جهة وجه الله ؟ فأمر حتى أتى بشمعة فوضعها فى أنبوبة قصب · فقال للسائل ما وجه هذه الشمعة وبأى جانب مختص ؟ فقال له السائل : ليس بمختص بجانب دون جانب · فقال ففيم السؤال إذاً[1] ومعناه إذا جاز أن يكون فى المخلوقات شىء لا اختصاص له بجهة دون جهة لم لا يجوز أن يكون خالق الخلق غير مختص بجهة دون جهة · واعلم أن الله تعالى ذكره فى سورة الإخلاص ما يتضمن إثبات جميع صفات المدح والكمال ، ونفى جميع النقائص عنه وذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ اللهُ الصَّمَد ﴾[2] فى هذه السورة بيان ما ينفى عنه من نقائص الصفات وما يستحيل عليه من الآفات بل فى كلمة من كلمات هذه السورة وهو قوله : ﴿ اللهُ الصَّمَدُ ﴾[3] والصمد فى اللغة على معنيين : أحدهما أنه لا جوف له وهذا يوجب أن لا يكون جسماً ولا جوهراً لأن ما لا يكون بهذه الصفة جاز أن يكون له جوف · والمعنى الثانى للصمد هو السيد الذى يرجع إليه فى الحوائج ، وهذا يتضمن إثبات كل صفة لولاها لم يصح منه الفعل كما نذكره فيما بعد ، لأن من لا تصح منه الأفعال المختلفة لم يصح الرجوع إليه فى الحوائج المتباينة · وقد جمع الله سبحانه وتعالى فى هذه السورة بين صفات النفى والإثبات وقال : ﴿ فَاعْلَمْ أنَّهُ لاَ إلَهَ إلاَّ اللهُ ﴾[4] وقد نبه عليه الرسول ﷺ فقال :

---

(١) وإنما ضرب له هذا المثل تقريباً إلى ذهن السائل وإلا فتعالى الله أن يكون له مثيل فى معنى من المعانى ·

(٢) سورة الإخلاص ١ و ٢ ·
(٣) سورة الإخلاص ٢ ·

(٤) سورة محمد ١٩ ·

(من عرف نفسه فقد عرف ربه)[١] معناه من عرف نفسه بالعجز ، والضعف ، والنقص ، والقصور ، عرف أن له ربًا موصوفًا بالكمال يصح منه جميع الأفعال . فلولاه لم يتم بالعبد العاجز شيء من الواردات عليه . وفي هذا المعنى ورد قول النبى ﷺ : « تفكروا فى خلق الله ولا تتفكروا فى الله »[٢] أى ابتدئوا بالفكرة فى خلق الله حتى إذا عرفتم الخلق بالعجز عرفتم أن له خالقًا قادرًا موصوفًا بأوصاف الكمال ، ومن ابتدء بالنظر فى الخالق أداه إلى ما لا يصح من تشبيه ، أو تعطيل .

٢٠ - وأن تعلم أن صانـع العالم حى ، قادر ، عالم ، مريد ، متكلم ، سميع ، بصير ، لأن من لم يكن بهذه الصفات كان موصوفًا باضدادها ، واضدادها نقائص وآفات تمنع صحة الفعل . فصحة ثبوت هذه الصفات له من وجهين . أحدهما : دلالة الفعل . والثانى : نفى النقائص ، وقد دلت على إثبات هذه ظواهر نصوص القرآن . ، ووردت جميعها فى الأسماء التسعة والتسعين التى استفاضت بها الأخبار فى أسماء الرب جل جلاله .

قال الله تعالى : ﴿ اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَىُّ القَيُّوم ﴾[٣] وقال : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الحىِّ الَّذِى لاَ يَمُوت ﴾[٤] وقال : ﴿ وَعَنَت الوُجُوه للحَىِّ القَيُّومِ ﴾[٥] وقال : ﴿ قُلْ هُوَ القَادر ﴾[٦] وقال : ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيم ﴾[٧] وقال : ﴿ عَلاَّمُ الغُيُوب ﴾[٨] وقال: ﴿ لاَ يَعزُبُ عَنْهُ مِثْقَال ذرَّةٍ فِى السَّمَاء ﴾[٩] وقال : ﴿ وَهُوَ الحَكِيمُ العَلِيم ﴾[١٠] والحكيم من وقع أفعاله على موافقة إدارته . وجاء فى صفته ، الرحمن ، الرحيم ، والغفار ، والغفور ، والكريم ، والتواب . وكل ذلك يرجع إلى إدارته للتوبة والنعمة ، والمغفرة ويدل على إرادته ، ومما يدل على إثبات كونه متكلمًا قوله تعالى :

---

(١) قال النووى ليس بثابت ، وقال أبو المظفر بن السمعانى فى القواطع أنه لا يعرف مرفوعًا ، وإنما يحكى عن يحى بن معاذ الرازى من قوله ، وللسيوطى القول الأشبه فى معنى هذا الحديث ، ولشيخ مشايخنا السيد أحمد بن سليمان الأروادى مرآة العرفان فى هذا الحديث أيضًا فى تبيين معناه على مذاق المتصوفة .

(٢) رواه أبو نعيم فى الحلية ، واللالكائى فى شرح السنة عن ابن عباس رضي الله عنهما على اختلاف يسير فى اللفظ .

(٣) سورة آل عمران ٢ .

(٤) سورة الفرقان ٥٨ .

(٥) سورة طة ١١١ .

(٦) سورة الأنعام ٦٥ .

(٧) سورة الأنعام ١٠١ .

(٨ ، ٩) سورة سبأ ٤٨ و ٣ .

(١٠) سورة الزخرف ٨٤ .

﴿ من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه ﴾[1] والإذن من صفات الكلام وقوله : ﴿ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُور ﴾[2] و ﴿ صَبَّارٌ شَكُور ﴾[3] وشكره للعباد مدحه إياهم على طاعته وذلك من صفات الكلام ، وورد فى أسمائه « المجيب » وذلك يتم بالكلام ، ومن أسمائه « الباعث » وذلك مما يدل على الكلام ، ولا يتم بعث الرسل إلا بالكلام وكذلك « الشهيد » معناه أنه يشهد أنه أرسله بالصدق يوم القيامة · وذلك لا يتم إلا بالكلام · وكذلك « المؤمن » ومعناه أنه يصدق أنبيآءه ولا يتم ذلك إلا بالكلام ، وورود « السميع ، والبصير » فى الكتاب والسنة أظهر من أن يخفى ·

٢١ - وأن تعلم أن له حياة ، وقدرة ، وعلمًا ، وإرادة ، وكلامًا ، وسمعًا ، وبصرًا ، لأن من كان موصوفًا بهذه الأوصاف ثبتت له هذه الصفات · ولا يجوز أن يكون غير الموصوف بها موصوفًا بهذه الصفات ، كما لا يجوز أن توجد الصفات من غير أن يكون الموصوف بتلك الأوصاف موصوفًا بها ، وقد ورد فى إثبات العلم له آى كثيرة كقوله تعالى : ﴿ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِه ﴾[4] ﴿ ولاَ يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِنْ عِلْمِه ﴾[5] و﴿ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾[6] وورد فى إثبات القدرة له : ﴿ ذُو القُوَّةِ المَتِين ﴾[7] والقوة والقدرة واحد فى العربية ، وورد فى إثبات الإرادة ﴿ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيد ﴾[8] ﴿ وَمَا تَشَاؤنَ إلاَّ أنْ يَشَاء الله ﴾[9] فيه دليل على إثبات الإرادة والمشيئة ·

٢٢ - وأن تعلم أن صانع العالم باق لأنا قد دللنا على أنه قديم ، ولا يكون القديم إلا باقيًا · وقد ورد فى أسمائه البديع الباقى ، وورد فى أسمائه الحى القيوم ، والقيوم مبالغة من القيام ، وذلك يتضمن كونه باقيًا ·

٢٣ - وأن تعلم أن له بقاء لأن ما وصف بكونه باقيًا ثبت له البقاء ، وما لا بقاء له لا يكون باقيًا بحال ، لأن الموجود لو كان باقيًا بلا بقاء لكان مستغنيًا عن القدرة ، ولوجب منه أن يكون كل موجود فى أول حال وجوده قديمًا ، والمحدث لا يجوز أن يكون قديمًا بحال ، وينبه على هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلاَلِ وَالاكْرَام ﴾[10] ·

---

(١) سورة البقرة ٢٥٥ ·
(٢) سورة فاطر ٣٠ ·
(٣) سورة لقمان ٣١ ·
(٤) سورة النساء ١٦٦ ·
(٥) سورة البقرة ٢٥٥ ·
(٦) سورة الطلاق ١٢ ·
(٧) سورة الذاريات ٥٨ ·
(٨) سورة البروج ١٦ ·
(٩) سورة التكوير ٢٩ ·
(١٠) سورة الرحمن ٢٧ ·

٢٤ - وأن تعلم أنه لا يجوز فيما ذكرناه من صفات القديم سبحانه أن يقال أنها هى هو أو غيره ، ولا هى هو ولا هى غيره ، ولا أنها موافقة أو مخالفة ، ولا أنها تباينه أو تلازمه ، أو تتصل به أو تنفصل عنه ، أو تشبهه أو لا تشبهه . ولكن يجب أن يقال : أنها صفات له موجودة به ، قائمة بذاته ، مختصة به ، وإنما قلنا أنها « لا هى هو لأن هذه الصفات لو كانت هى هو لم يجز أن يكون هو عالمًا ، ولا قادرًا ، ولا موصوفًا بشىء من هذه الأوصاف . لأن العلم لا يكون عالمًا ، والقدرة لا تكون قادرة . ولا موصوفًا بشىء من هذه الصفات ، وإنما قلنا لا يقال أنها غيره ، لأن الغيرين يجوز وجود أحدهما مع عدم الآخر ، ولما استحال هذا المعنى فى الذات والصفات لم يجز فيه الخلاف المغاير ، وإنما قلنا لا هى هو ولا هى غيره لأن فى نفى كل واحد منهما إثبات الآخر . وقد بينا استحالة الإثبات فيه ، وإنما قلنا لا يقال أنها توافقه ، أو تخالفه ، أو تباينه ، أو تشبهه ، لأن جميع ذلك يتضمن المغايرة ، وذلك يتضمن جواز عدم أحدهما مع وجود الآخر وذلك محال .

٢٥ - وأن تعلم أن ما يمتنع إطلاقه من هذه العبارات التى ذكرناها على الذات والصفات ، يمتنع إطلاقها أيضًا على كل صفة منها مع سائر الصفات ، فلا يجوز أن يقال : علمه ، قدرته ، ولا أن يقال : أنه غيرها ، أو يخالفها ، أو يوافقها ، أو يشبهها ، أو لا يشبهها ، لأن جميع ذلك يتضمن إثبات المغايرة وذلك يتضمن جواز وجود أحدهما مع عدم الآخر ، وذلك محال فى الصفات بعضها مع بعض وقد نبه رسول الله ﷺ فى خبر عمران بن الحصين على ما يتضمن هذا المعنى الذى وصفناه حين قال : « كان الله ولم يكن معه شىء غيره »[1] وذلك إثبات الصفات ونفى المغايرة بينها .

٢٦ - وأن تعلم أن كل صفة قامت بذات البارى جل جلاله لم تكن إلا أزلية قديمة ، لما قد بينا قبل أن حدوث الحوادث فى ذاته لا يجوز .

٢٧ - وأن تعلم أن العدم لا يجوز عليه ولا على شىء من صفاته ، لأنا قد دللنا على قدم ذاته وصفاته والقديم لا يبطل وقد دللنا عليه لأن البطلان علـم الحدوث ، ولهذا قال إبراهيم الخليل ﴿ لا أحب الآفلين ﴾ استدل بأفوله وبطلانه على حدوثه .

---

(١) ولفظ ابن حبان والحاكم « كان الله ولا شىء معه » ولفظ البخارى من حديث عمران بن حصين « كان الله ولا شىء غيره » .

٢٨ - وأن تعلم أن علمه سبحانه عام فى جميع المعلومات ، وقدرته عامة فى جميع المقدورات ، وإرادته عامة فى جميع الإرادات علمها على ما هى عليه وأراد أن يكون ما علم أن يكون ، وأراد أن لا يكون . ا علم أن لا يكون ، ولا يجرى فى مملكته ما لا يريد كونه لأن شيئًا من صفاته هذه لو اختص ببعض لما صح أن يكون عامًا ، وما كان مختصًا به متناهيًا فى ذاته اقتضى مخصصًا يخصه بما اختص به وذلك علم الحدوث ، ومما يدل على أوصافه من كتاب الله تعالى قوله : ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾[2] وقوله تعالى فى معنى القدرة : ﴿ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[3] وقوله تعالى : ﴿ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[4] ولا يكون الخلق إلا بالقدرة ، وذلك يدل على عموم القدرة فى جميع المقدورات ، وجاء فى عموم الإرادة قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[5] . وفى هذه الآية دليل على عموم إرادته وعلى أن كلامه قديم لأنه بين أنه لا يخلق شيئًا إلا أن يقول له كن ، ولو كان ذلك محدثًا لكان مفعولاً له بكن ، وكذلك الثانى والثالث ويتسلسل ذلك إلى ما لا نهاية له . ومما يدل على عموم كلامه فى متعلقاته ونفى النهاية عنه قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾[6] .
وإذا تقرر عموم قدرته وعلمه فاعلم أنه يجوز أن يقال فى وصفه سبحانه انه عالم بكل شىء . كما يجوز أن يقال أنه عالم بجمع المعلومات ، ويجوز أن يقال انه سبحانه وتعالى قادر على جميع المقدورات ، ويستحيل أن يقال أنه قادر على كل شىء على هذا الإطلاق ، لأن القديم شىء يستحيل أن يتعلق به القدرة ، والذى جاء فى القرآن من إطلاق القول بأنه ﴿ على كل شىء قدير ﴾ دخله ضرب من التخصيص ومعناه : على كل شىء مقدور قدير ولهذا قال أهل المعرفة أن آية العلم لم يدخلها التخصيص ، وآية القدرة دخلها تخصيص . فأما كون العلم والقدرة لم يدخلهما التخصيص فبمعنى أن يقال فى العلم أنه عام فى جميع المعلومات ، وفى القدرة أنها عامة فى جميع المقدورات .

---

(١) سورة يونس ١٦ .
(٢) سورة الأحزاب ٤٠ .
(٣) سورة المائدة ١٧ .
(٤) سورة الزمر ٦٢ .
(٥) سورة النحل ٤٠ .
(٦) سورة الكهف ١٠٩ .

٢٩ - وأن تعلم أن كلام الله تعالى ليس بحرف ولا صوت[1] لأن الحرف والصوت يتضمنان جواز التقدم والتأخر ، وذلك مستحيل على القديم سبحانه ، وما دل من كتاب الله تعالى على أن متعلقات الكلام لا نهاية لها دليل على أنه ليس بحرف ولا صوت لوجوب التناهى فيما صح وصفه به ٠

٣٠ - وأن تعلم أن كلام الله قديم ، وكلام واحد أمر ونهى ، وخبر واستخبار على معنى التقدير ، وكل ما ورد فى الكتب من الله تعالى باللغـات المختلفة ، العبرية ، والعربية ، والسريانية ، كلها عبارات تدل على معنى كتاب الله تعالى ، ولو جاء أضعاف أضعافه لم تستغرق معانى كلامه ٠ فمعانى كلام الله تعالى لا تستغرقها عبارات المعبرين ، كما أن معلومات علم الله لا يستغرقها عبارات المعبرين ، ومقدورات قدرته لا يمكن ضبطها بالحصر والتحديد ، وعلى هذه الجملة يدل قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[2] ٠ وقوله : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّى ﴾[3] الآية كما وصفناه قبل ٠

٣١ - وأن تعلم أنه إذا تقرر استحالة التخصيص على صفاته القائمة بذاته ووجوب عمومها فى متعلقاتها به عموم قدرته فى جميع مقدوراتها ، وثبت أنه سبحانه قادر على إماتة جميع الخلق ، وإبطال جميع الموجودات ، وعلى أن يخلق أضعاف ما خلق كيف شـاء ، وأين شاء ، وأنه سبحانه وتعالى قادر على بعث الرسل ، وإنزال الكتب ، وإظهار المعجزات الدالة على صدقهم فإنه قادر على الحشر والنشر ، وثواب أهل الطاعات ، وعقاب أهل المعاصى كما قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾[4] ، وقال سبحانه : ﴿ وإذا القبور بعثرت ﴾[5] وقال

---

(١) وفتاوى كبار أهل العلم من رجال القرن السادس والسابع فى الرد على القائلين بالحرف والصوت مسجلة فى تكملة الرد على نونية ابن القيم ، والمسألة من الخطورة بمكان ، وليس فى الأخبار الواردة فى الصوت ما يصح التمسك به كما توسـع فى بيـان ذلك الحافظ أبو الحسن المقدسى شيخ المنذرى فى جزء الصوت وما ذكر فى البخارى تعليقًا بصيغة يذكر فى سنده عبد الله بن محمد بن عقيل وقد أطال المقدسى فى سرد أقوال الطاعنين فيه مثل مالك ، وابن معين ، وأبى حاتم ، وابن خزيمة ، وابن حبان وغيرهم والقاسم بن عبد الواحد الراوى عنه لا يحتج به كما قال أبو حاتم ، فليراجع تكملة الرد على النونية ٠

(٢) سورة النحل ٤٠ ٠ — (٣) سورة الكهف ١٠٩ ٠

(٤) [illegible] ٠ — (٥) سورة الانفطار ٤ ٠

جل جلاله : ﴿ قَالَ مَنْ يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ وَحَشَرْنَاهُم فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُم أَحَدًا ﴾[2] وقال : ﴿ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾[3] وقال تعالى : ﴿ وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا ﴾[4] وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَنْ لَنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴾[5] .

٣٢ - وأن تعلم أنه سبحانه وتعالى لا اعتراض عليه فى جميع ما يأتيه أو يذره . لا يقال فيما فعله لم فعله ؟ ولا فيما تركه لم تركه ؟ لأن الاعتراض إنما يتوجه إلى من صدر قوله عن أمر آمر ، ونهى ناه ، وزجر زاجر . وإنما يتوجه الأمر على من إذا خالف كان للعقوبة إليه سبيل ، ولا سبيل للعقوبة إلى الله تعالى ، فلا يتوجه عليه الأمر ، وإذا لم يتوجه عليه الأمر استحال عليه الاعتراض ، ولهذه النكتة قلنا : أنه لا يجوز عليه سبحانه حظر ولا وجوب ، وقد نبه الله سبحانه وتعالى على هذا المعنى بقوله : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء ، وَيَخْتَارُ وَمَا كَانَ لَهُمُ الخِيرَةَ ﴾[6] ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَهُوَ اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الحَمْدُ فِى الأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الحُكْمَ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[7] . وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾[8] . وقال سبحانه وتعالى : ﴿ لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾[9] .

٣٣ - وأن تعلم أنه سبحانه وتعالى حكيم فى جميع أفعاله . وحقيقة الحكمة فى أفعاله سبحانه وتعالى وقوعها موافقة لعلمه وإرادته ، وهو الحكمة فى أفعال الحكماء فى الشاهد ، لأن من فعل فعلاً لا يقع على موافقة إرادته يقال أنه لم يرتبه على حكمة منه فيه . فإذا حصل مراده فيه يقال أنه حكيم فى فعله ، ولا يمكن أن يقال فى شيء من أفعاله أنه كان ينبغي أن يوقعه على خلاف ما أوقعه ، لأنه يتصرف فى ملكه ومن تصرف فى ملكه لم يتقرر عليه الاعتراض فى فعله ، ولهذا قلنا أن شيئًا من أفعاله لا يكون ظلمًا ، وأنه سبحانه يستحيل الظلم فى وصفه لأنه لا يتصرف فى غير ملكه ومن تصرف فى ملكه لم يتقرر عليه الاعتراض فى فعله ، ولهذا قلنا أن شيئًا من أفعاله لا يكون ظلمًا ، وإنه سبحانه يستحيل الظلم فى وصفه لأنه لا يتصرف

---

(١) سورة ياسين ٧٨ .
(٢) سورة الكهف ٤٧ .
(٣) سورة البقرة ٢٨١ .
(٤ ، ٥) سورة الكهف ٤٨ .
(٦ ، ٧) سورة القصص ٦٨ و ٧٠ .
(٨) سورة الأعراف ٥٤ .
(٩) سورة الأنبياء ٢٣ .

فى غير ملكه ، ومن تصرف فى ملكه فليس بظالم فى أفعاله ، قال الله تعالى : ﴿ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٌ حَمِيد ﴾[1] وقال : ﴿ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾[2] وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُون ﴾[3] .

٣٤ - وأن تعلم أن الدليل على صدق المدعى للنبوة هو المعجزة ، والمعجزة فعل يظهر على يدى مدعى النبوة بخلاف العادة فى زمان التكليف موافقًا لدعواه وهو يدعو الخلق إلى معارضته ويتحداهم أن يأتوا بمثله فيعجزوا عنه فيبين به صدق من يظهر على يده · وما من رسول من رسل الله تعالى إلا وقد كان مؤيداً بمعجزة أو معجزات كثيرة تدل على صدقه ، وقد أخبر الله تعالى عن كثير منها فذكر فى قصة موسى عليه السلام ، فلق البحر ، وقلب العصا حية ، واليد البيضاء ، وفى قصة داود وسليمان تليين الحديد ، وتسخير الريح ، والشياطين ، والطيور وجميع دواب الأرض فى البر والبحر ، وفى قصة عيسى عليه السلام ، إحياء الموتى ، وإبراء الأكمه ، والأبرص ، وذكر فى صفة المصطفى ﷺ أنه يدعو مخالفيه إلى معارضة ما أتى به القرآن أو سورة منه فقال تعالى : ﴿ فأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِه ﴾[4] فكان القرآن معجزة له قاهرة لأعدائه ، إلى معجزات كثيرة سواها ظهرت على يده بخلاف العادة مثل : تكليم الذراع ، وتسبيح الحصا فى يده ، ونبوع الماء من بين أصابعه ، وحنين الجذع ، عند مفارقته ، وإجابة الشجرة عند دعوته ، وانشقاق القمر فى وقته ، كل ذلك قريب من مأتى معجزة ذكرنا أكثرها فى « الأوسط » كل ذلك مشهور فى كتب الأخبار والتواريخ مذكور ، اتفق أهل النقل على وجودها ، ونقلوها بطرق يجب القطع على معناها ·

٣٥ - وأن تعلم أن المعجزة لا يجوز ظهورها على أيدى الكذابين ، لأن التفرقة بين الصادق والكاذب من حيث الدليل أمر متوهم ، ولا سبيل إليه إلا بتخصيص الصادق بالمعجزة ، فلو أنها ظهرت على يد الكاذب بطريق التفرقة وجب به تناهى القدرة وذلك مستحيل فى الحقيقة · وأيضًا فإن حقيقة المعجزة هى الدلالة على صدق صاحب المعجزة ، ومن المحال الذى لا يعقل ، خروج الشىء عن حقيقته ، فكيف يظهر دليل الصدق على يد من هو كاذب فى قوله وذلك متضمن لقلب الحقائق وقد بين الله تعالى فى كتابه أن المعجزة حجة الصادقين حيث قال : ﴿ قُلْ هَاتُوا

---

(١) سورة فصلت ٤٢ ·
(٢) سورة الأحزاب ٤٠ ·
(٣) سورة المؤمنون ١١٥ ·
(٤) سورة البقرة ٢٣ ·

بُرْهَانَكُم إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِين﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ ﴾[2] ولو أنها ظهرت على أيدى الكذابين لم تكن دلالة الصدق ·

٦٣ - وأن تعلم أنه لا يجب على الخلق شىء إلا بأمر يرد من قبل الله تعالى على لسان رسول الله مؤيد بالمعجزة ، وأن كل من أتى فعلاً أو ترك أمرًا لم يقطع له بثواب ولا عقاب من قبل الله تعالى ، إذ لا طريق فى العقل إلى معرفة وجوب شىء على الخلق ، لأنه لو كان فى العقل طريق إلى معرفة الوجوب فى كل شىء فإن الوجوب له حقيقة واحدة ، فلو جاز معرفته مضافًا إلى شىء جاز معرفته مضافًا إلى كل شىء ، وكان يجب أن يعرف بالعقل جميع الواجبات من غير ورود شرع وأصله فى كتاب الله وهو قوله سبحانه : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾[3] فأمن من العقوبة من قبل الرسل فلو تقرر قبله وجوب واجب لم يؤمن العقوبة على تركه[4] وقوله سبحانه : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكُ القُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فى أُمِّهَا رَسُولاً ﴾[5] وقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَوْلاَ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ ﴾[6] وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِير ﴾[7] وقوله تعالى : ﴿ وَجَاءَكُمُ النَّذِير ﴾[8] وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُم ﴾[9] وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِه ﴾[10] إلى قوله ﴿ رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ فبين أن لا دليل على الخلق إلا قول الرسل فبان به أن مجرد العقول لا دليل فيه على الخلق من قبل التعبد والذى يؤيد قولنا فيه أن من زعم أن العقل يدل على وجوب شىء يفضى به الأمر إلى إثبات الوجوب على الله سبحانه وتعالى ، لأنهم يقولون إذا شكر العبد الله وجب على الله الثواب ، ثم لا يزال الوجوب دائرًا بينهما

---

(١) سورة النمل ٦٤ ·

(٢) سورة هود ١٣ ·

(٣) سورة الإسراء ١٥ ·

(٤) والمرضى عند محققى الأشاعرة وجوب معرفة الله قبل ورود الشرع كقول الماتريدية على حد سواء وأواخر الصفحة السابقة على طبق الأصل إلا أن فيه بترًا ولعل صواب العبارة « لو كان العقل طريقًا إلى معرفة الوجوب فى شىء لكان طريقًا إلى معرفة الوجوب فى كل شىء » ·

(٥) سورة القصص ٥٩ ·

(٦) سورة طه ١٣٤ ·

(٧) سورة الملك ٨ ·

(٨) سورة فاطر ٣٧ ·

(٩) سورة الزمر ٧١ ·

(١٠) سورة النساء ١٦٣ ·

وذلك إلى ما لا يتناهى ، وأى عقل يقبل توجه الوجوب عليه ولا واجب إلا بموجب وليس فوقه سبحانه موجب ·

٣٧ - وأن تعلم أن الله تعالى بعث الرسل وأنزل الكتب وبين الثواب والعقاب وأيدهم بالمعجزات الدالة على صدقهم ، وأوجب على لسانهم معرفة التوحيد والشريعة · وكل ما قالوه فهو صدق ، وكل ما فعلوه فهو حق ، والعلم الدال على وصفهم ذلك قيام المعجزات الظاهرة الدالة على صدقهم ، وصحة قولهم · وقد أخبر عنه سبحانه أنه أوجب التوحيد والشريعة · وقد بين الله تعالى ذلك فى كتابه جملة وتفصيلاً ، فالجملة فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾[1] فأما التفصيل ففى مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا ﴾[2] وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾[3] وقوله تعالى ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾[4] وقد نبه على الجملة أيضًا فى قوله : ﴿ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾[5] ·

٣٨ - وأن تعلم أن محمدًا ﷺ رسول رب العزة جاءنا بالصدق فى رسالته وفى جميع أفعاله وأقوله · وكان معجزته القرآن تلاه على الخلق وتحداهم إلى معارضته · وطلب الطاعة منهم وقال لهم متى أتيتم بسورة من مثله فلا طاعة لى عليكم · فاجتهد أهل اللغة فى إسقاط طاعته عن أنفسهم وعن أموالهم وذراريهم فلم يمكنهم ، ولو أمكنهم أن يدفعوه عن أنفسهم وأموالهم وأهاليهم بكلام يأتون به لما قصدوا الحرب والمسايفة التى فيها القتل ، والأسر ، والاسترقاق ، والنهب ، والغصب والسلب ، فى الذخائر والأموال ، فلما لم يأتوا علمنا أنهم إنما أعرضوا عن الإتيان به للعجز عنه ؛ كما أن سحرة فرعون فى زمان موسى عجزوا عن معارضته فبان به كونه محقًا فى دعوته · وكما أن عيسى عليه السلام فى أيامه أعجز الأطباء عن مثل ما أتى به · واعلم أن تحقيق نبوة المصطفى ﷺ ظاهرة فى كتاب الله تعالى حين قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ

---

(١) سورة النساء ١٦٣ ·
(٢) سورة المؤمنون ٢٣ ·
(٣) سورة غافر ٣٤ ·
(٤) سورة يونس ٧٥ ·
(٥) سورة النساء ١٦٤ ·

بإذنه وَسِرَاجاً مُنيراً ﴾[1] وحيث قال : ﴿ مَا كَانَ مُحمدٌ أَبَا أحَدٍ مِنْ رجالكُم ولَكِنْ رَسُولَ اللهِ وخَاتَمِ النَّبِيِّين ﴾[2] وذلك مذكور فى غير موضع من الكتاب وقال فى وصف معجزته : ﴿ وَإِنْ كُنْتُم فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وادعُوا شُهدَاءكُم مِنْ دونِ اللهِ انْ كُنْتُمْ صَادِقِين ﴾[3] الآيتين .

٣٩ - وأن تعلم أن الذى بعث به المصطفى ﷺ هو الإسلام ، وأن معجزته دليل على صدقه فى جميع ما أخبر به قوله ﷺ : (أن لا نبى بعدى)[4] وقوله ﷺ : (بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً)[5] وبين أنها واجبة إلى يوم القيامة لا تنقطع ولا ترتفـــع ، وأخبر أنهم يحيون فى القبور ، ويسألون عن الدين ثم يعاقب العصاة ، . وينعم أهل الطاعات إلى وقت المحشر . ومما أخبر عنه هو الحشر والنشر ، وإقامة القيامة وأنها كائنة لا يعرف وقتها إلا الله ، وأن الخلق يحشرون ويحاسبون ، ثم يخلد أهل الجنة فى نعيم دائم وأنهم يرون ربهم زيادة فى كرامتهم وإتمامًا لفضله عليهم . ويخلد الكفار والمرتدون فى عذاب جهنم لا محيص لهم عنها بحال ، وأن قومًا من العصاة يعاقبون فى النار ثم يخرجون منها بشفاعة المصطفى ﷺ وبشفاعة العلماء ، والزهاد ، والعباد ، وشفاعة أطفال المؤمنين ، فمن لم تسعه شفاعة هؤلاء وكان قد سبق لهم الإيمان فإنه يخرج من النار برحمة الله جل جلاله ، وكثير من عصاة المؤمنين يغفر لهم قبل إدخاله النار إما بشفاعة الرسول ، وإما برحمة الجبار ، ولا يبقى فى النار من فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان، واعلم أن المؤمن لا يصير كافراً بالمعصية ولا يخرج بها عن الإيمان لأن معصيته كائنة فى طرف من الأطراف لا تنافى إيمانًا فى القلب ، وقد قال الله تعالى : ﴿ أَنَّا لا نُضَيِّعُ أجرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾[6] وقال ﷺ (لا يبقى فى النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان ، ولا يدخـــل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من الكبر)[7] أى من الكفر ، ومثقال ذرة من الإيمان اعتقاد مستخلص عن الشرك ،

(١ ، ٢) سورة الأحزاب ٦٤ و ٤٠ . (٣) سورة البقرة ٢٣ .

(٤) اخرجه أحمد عن حذيفـة وابن مردويه عن ثوبان فى حديث عـن الدجاجلة آخـره « وأنى خاتم النبيين لا نبى بعدى » .

(٥) أخرجه مسلم . (٦) سورة الكهف ٣٠ .

(٧) أخرجه مسلم وأبو داود والترمذى بلفظ لا يدخل فى النار . وقد سبق .

والإفك ، والشك ، والشبهة كما وصفناه ، ومتى ما اختلط به شائب من شوائب الكفر والبدع لم يستحق صاحبه اسم الإيمان كما بينه الشافعي رحمه الله فى قوله : الشرك يشركه الشرك والإسلام لا يشركه الشرك ، وقوله : الحلف فى الصفة كالحلف فى العين ، وقد نبه الله تعالى على هذا المعنى بقوله : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾[1] فتقرر به أن العقائد المشروطة فى وصف الإيمان ما لم تسلم عن أنواع البدع والإلحاد لم يكن إيمانًا على الحقيقة . وقد ورد فى معنى الشفاعة قوله تعالى : ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾[2] .

وقد روى أنس بن مالك أن النبى ﷺ قال فى تفسيره هذه ، « إذا جاء يوم القيامة طلب الخلق الشفاعة من الأنبياء عليهم السلام فيقولون عليهم السلام : اذهبوا لمحمد عليه الصلاة والسلام فإنه قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتيه الخلق ويسألونه الشفاعة قال ، فأستأذن على الله فيأذن لى فاسجد ويلهمنى الله محامد لم يلهمنى مثلها قبله . فأحمده ثم أرفع رأسى من السجود فيقال لى : قل يسمع لك ، وسل تعط ، واشفع تشفع ، فلا أزال أشفع حتى أخرج من النار كل من قال لا إله إلا الله »[3] وورد فى شفاعة الأطفال « يظل الفرط محبنطئًا على باب الجنة يقول لا أدخل حتى يدخل أبواى »[4] . وقال النبى ﷺ : (شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى)[5] فبين أن أهل الكبائر يومئذ لا ييأسون من رحمة الله تعالى ، والأخبار فى هذا الباب ظاهرة مستفيضة لا ينكرها من له معرفة بموارد الأخبار ، وقد ورد فى وصف الحساب والميزان قوله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾[6] وقد ورد فى الإخبار أن داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الذى يوزن به الأعمال . فلما رآه سقـط وغشى عليه ، فلما أفاق قال ، من ذا الذى يطيق أن يملأ هذا من الحسنات ؟ فقال يا داود : إذا رضيت عن عبدى ملأت هذا بثمرة واحدة . ومما جاء فى الحساب قوله تعالى : ﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا

---

(١) سورة يوسف ١٠٦ . (٢) سورة الإسراء ٧٩ .

(٣) وهو مخرج بمعناه فى الصحيحين والمصنف روى المعنى بلفظه كما هو عادته .

(٤) وبمعناه ما فى مسند أحمد من حديث شرحبيل . وفى فقد الأولاد أحاديث كثيرة خصها بالتأليف كثير من أهل العلم .

(٥) أخرجه الترمذى . (٦) سورة الأنبياء ٤٧ .

وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الكتاب لا يُغادرُ صَغيرةً ولاَ كَبيرةً إلاَّ أَحصَاهَا ﴾[1] وقولــه تعــالى : ﴿ وَكُلُّ إِنْسَانٍ الزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِه ﴾[2] وقولــه تعالى : ﴿ فأما مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بيَمينه ، فَسَوفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسيراً ، وَيَنْقلبُ إلى أهله مَسْرُوراً ﴾[3] وقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُه فَهُوَ فِي عَيْشَة رَاضِيَة ﴾[4] وقوله تعالى ﴿ وأما مَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ وَمَا أدراكَ ماهِيَة نَارٌ حَامِيَة ﴾[5] .

وقد ورد فى الخبر عن المصطفى : (أن صحف الأعمال توزن فمن زادت حسناته على سيآته دخل الجنة)[6] ، وقد ورد فى معنى الحوض قوله تعالى : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ ، وقد روى أنس رضي الله عنه ان النبى ﷺ نعس نعسة ثم رفع رأسه فضحك وتبسم ثم قال : « أتعرفون لماذا ضحكت فقالوا الله ورسوله أعلم . فقال : نزلت على فى هذه الساعة سورة ﴿ إِنَّا أَعطَيْنَاكَ الكَوْثَر ﴾ ، أتعرفون ما الكوثر . ؟ الكوثر نهر فى الجنة أعده الله لى ، ولذلك النهر حوض تأتيه أمتى يوم القيامة ، وأوانيه عدد الكواكب أو أكثر ، وقد يأتيه من يمنع من ذلك . فأقول يا رب أنه من أمتى ، فيقول ما تدرى ما أحدث بعدك[7] ثم وصف النبى ﷺ ذلك الحوض فى أخبار كثيرة فقال : « حصاه من الياقوت الأحمر ، والزبرجد الأخضر ، والدر والمرجان ، وحمأته من المسك ، وترابه من الكافور أشد بياضًا من اللبن ، وأحلى من العسل ، وأبرد من الثلج ، خروجه يكون من تحت سدرة المنتهى ، طوله وعرضه ما بين المشرق والمغرب ، من شرب منه لم يظمأ بعده أبدًا ومن توضأ منه لم يشعث أبدًا ، تحوم حوله طيور أعناقها كأعناق الأبل فقال أبو بكر ، وعمر ما أنعم تلك الطيور . فقال النبى ﷺ : أنعم منها من يأكلها » . وقد ورد فى معنى ما ذكرناه من أن المؤمن لا يكون بالمعاصى كافرًا ، ولا يخرج من الإيمان ، ولا يكون خالدًا مخلدًا فى النار واحد من المؤمنين لقوله تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر

---

(١) سورة الكهف ٤٩ .

(٢) سورة الإسراء ١٣ .

(٣) سورة الانشقاق ٧ و ٨ و ٩ .

(٤ ، ٥) سورة القارعة ٦ و ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ و ١١ .

(٦) وفى هذا المعنى حديث البطاقة وقد أخرجه الترمذى وغيره .

(٧) أصل الحديث فى الصحيحين وورد فى الترمذى وغيره ما بمعناه وفى ذلك غنية عما هنا مما لخصه المصنف بلفظه عن عدة أحاديث وفى سوق ألفاظها طول .

ما دون ذلك لمن يشاء ﴾[1] وقوله : ﴿ إنا لاَ نُضيِّعُ أجرَ مَنْ أحْسَنَ عَمَلاً ﴾[2] وقال النبى ﷺ : « لا يبقى فى النار من فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان »[3] وقد ورد فى معنى إحياء الموتى فى القبور ما لا يحصى من الآى والأخبار والآثار حتى لا يوجد موافق ولا مخالف إلا وهو يقرأ فى التشهد ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب القبر وعذاب النار ، ومر المصطفى ﷺ بقبرين فقال : (إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير ، أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة ، وأما الآخر فكان لا يستنزء من البـول)[4] وقد ورد فى الدعـــوات المأثورة عن المصطفى ﷺ « أعوذ بالله من الكفر ، والفقر ، وعذاب القبر »[5] وقد وردت أخبار كثيرة عن الرسول ﷺ فى صفة منكر ونكير ، وذكر أنهما يسألان فى القبر فقال عمر ﷺ : أو يكون معى عقلى ؟ قال : نعم . قال أنا أكفيهما . وإنما أراد بهذا الكلام أنى أصف لهم الإيمان ، وكل من خرج من الدنيا على صفة الإيمان ووصف لهما دينه لم يستعرضا له ، وكانا له مبشراً وبشيراً ، وقالا له : نم نومة العروس إلى يوم القيامة ، فإن وصف بخلافه والعياذ بالله منه قالا له : نم نومة المنهوش[6] . وقد ورد فى الخبر الظاهر أن المنكر والنكير قد يسألان بعضهم فيقولان من ربك ؟ فيقول ربى الله ، فيقولان من رسولك ؟ فيقول محمد عليه السلام ، فيسألانه عن صفة الرب وصفة الرسول فيقول : لا أدرى سمعت الناس يقولونه وكنت أقول معهم . فيقولون له لا دريت ويعذبانه فيمن يعذب . واصل هذه المسألة فى كتاب الله تعالى فى قوله سبحانه فى صفة آل فرعون : ﴿ النَّارُ يُعرَضُونَ عَلَيْها غُدُواً وَعَشيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ ادْخِلُوا آل فِرعَوْنَ أشَدَّ العَذَاب ﴾[7] ولو كان المراد بالأول عذاب النار لما ورد القيامة بعده بالذكر وقوله سبحانه فى صفة المؤمنين : ﴿ يُثَبِّتُ اللهُ الذينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثابتِ فى

---

(١) سورة النساء ٤٨ . (٢) سورة الكهف ٣٠ .

(٣) ولفظ مسلم لا يدخل فى النار وقد سبق المؤلف كأنه تفسير للحديث .

(٤) أخرجه البخارى وغيره .

(٥) وقد سبق تخريج حديث أم سلمة ﷺ فى هذا الباب . وعند الترمذى الاستعاذة من الهم ، والكسل ، وعذاب القبر .

(٦) عادة المصنف الرواية بالمعنى وأخرج الترمذى ما يقرب من هذا الحديث ، والأحاديث فى هذا الباب كثيرة جداً .

(٧) سورة غافر ٤٦ .

الحياة الدنيا وفى الآخرة ويُضلُّ اللهُ الظالمينَ ويَفعَلُ اللهُ مَا يَشَاء ﴾[١] وقوله تعالى خبراً عنهم : ﴿ قالوا ربَّنا أمَتَّنَا اثْنَتَين وأحييتنا اثْنَتَين فَاعتَرفنَا بِذُنُوبِنَا ﴾[٢] وأراد به الأمانة عند الخروج من الدنيا والإحياء فى القبر ثم الإماتة فيه ، ثم الإحياء يوم الحشر والنشر ، ولا يمكن حمله إلا على الأحياء بعد حلول الموت . والمواتيّة لا تسمى موتًا فى عرف أهل اللغة[٣] ولا ينكر ما استفاض به الأخبار ونطقت به الآيات من الإحياء فى القبر إلا من ينكر عموم قدرة الله تعالى ، ومن أنكر عموم قدرته سبحانه وتعالى خارجًا عن زمرة أهل الإسلام .

٤٠ - وأن تعلم أن الصراط حق ، والجنة والنار ، مخلوقتان ، وكل ذلك وارد فى القرآن وفى الأخبار الظاهرة عن المصطفى ﷺ على وجه لا يبقى شكًا ولا شبهة لمن ترك العصبية ، وقد صرح الله تعالى بذكر النار والجنة ووجودهما واعدادهما للمؤمنين ، وانزال آدم عليه السلام فى الجنة ثم إخراجه منها وإهباطه إلى الأرض ، وما ورد عن الرسول ﷺ أنه دخل الجنة ليلة المعراج ، ورأى فيها قصراً لعمر رضي الله عنه وقال لعمر : « ما منعنى أن أدخله إلا غيرتك »[٤] فبكى عمر رضي الله عنه وقال : أو عليك كنت أغار يا رسول الله ، وقال ﷺ : (سمعت حسه فالتفت فإذا هو بلال »[٥] وكان ذلك من صفات الموجودات ، فإن المعدوم لا يتصف بهذه الصفات ، ومن تأمل ما ورد من الآى ، والأخبار ، والآثار لم يستجز إنكاره .

٤١ - وأن تعلم أن الإجماع حق ، وما اجتمع عليه الأمة يكون محقًا مقطوعًا على حقيقته قولاً كان أو فعلاً لقوله ﷺ :« لا تجتمع أمتى على الضلالة »[٦] ولو جاز اتفاقهم بأجمعهم على الكذب لجاز اتفاقهم على كتمان شىء من الشريعة ، ولبطل به الاعتماد على الدلالة الموصلة إلى التكاليف الشرعية ، ولسقط التكليف

(١) سورة إبراهيم ٢٧ . (٢) سورة غافر ١١ .

(٣) هذا المعنى خلاف ما ترجح عند البيضاوى ويظهر أنه تابع صاحب الكشاف فى ذلك على أن دليل عذاب القبر ليس بمنحصر فى هذه الآية كما سبق .

(٤) أخرج أحمد والطبرانى ما بمعناه عن أنس .

(٥) أخرجه أحمد عن ابن عباس .

(٦) ولفظ ابن ماجة « أن أمتى لا تجتمع على ضلالة فإذا رأيتم الاختلاف فعليكم بالسواد الأعظم » وورد معناه بألفاظ شتى . فيعلم من قول المصنف أن دعاة خرق الإجماع ليسوا من معتقد أهل السنة فى شىء .

والشريعة ، ولكان العلم بالبلدان النائية والقرون الخالية ، والملوك الماضية متعذراً إذ لا سبيل إلى معرفتها إلا بالنقل على التظاهر والتواتر ، والاتفاق عليه من أهل النقل ، وأصل الإجماع من كتاب الله تعالى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهدَى وَيَتَّبِعْ غَيرَ سَبِيلِ المُؤمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾[1] .

٤٢ - وأن تعلم أن من جملة ما اجتمع عليه المسلمون أن عشرة من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا من أهل الجنة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وطلحة ، والزبير ، وسعد[2] ، وسعيد[3] ، وعبد الرحمن بن عوف[4] وأبى عبيدة الجراح[5] رضي الله عنهم أجمعين . وأجمعوا أيضًا على أن نساءه ، وأولاده ، وأحفاده كلهم كانوا من أهل الجنة[6] ، وأنهم كانوا مؤمنين وأنهم كانوا من أعلام الدين لم يكتموا شيئًا من القرآن ولا من أحكام الشريعة ، وكذلك أجمعوا على خلافة الخلفاء الأربعة بعد الرسول ﷺ وعلى أنهم لم يكتموا شيئًا من القرآن والشريعة ، بل ساروا أحسن سيرة ووقفوا بحسن السعى فى تثبيت المسلمين على الدين ، وقد أثنى الله تعالى في كتابه عليهم حيث قال تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله والذينَ مَعَهُ اشداَّءُ عَلى الكُفَّار رُحَماء بَينهُم تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ الله وَرِضْوَانًا سيماهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِن أَثَرِ السُّجودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِى التَوراَة وَمَثَلُهُم فِى الإِنجيلِ كَزَرْعٍ أَخرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاستَغْلَظَ فاستَوى عَلَى سُوقِه يُعجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَالحات مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وأجْرًا عَظِيمًا ﴾[7] . وقال ﷺ فى صفة أبى بكر ، وعمر رضي الله عنهما : « أرحم أمتى بأمتى أبو بكر ، وأشدهم فى أمر الله عمر »[8]

---

(١) سورة النساء ١١٥ .

(٢) هو ابن وقاص فارس الإسلام توفى سنة ٥٥ رضي الله عنه .

(٣) هو ابن زيد توفى سنة ٥١ هـ رضي الله عنه .

(٤) توفى سنة ٣٢ هـ رضي الله عنه .

(٥) هو عامر بن عبد الله توفى سنة ١٨ هـ رضي الله عنه .

(٦) وللأستاذ عبد الغنى النابلسى « لمعات الأنوار فى المقطوع لهم بالجنة والمقطوع لهم بالنار » كتاب نافع فى بابه .

(٧) سورة الفتح ٢٩ .

(٨) أخرجه الترمذى وغيره .

وقال فى صفة عثمان ﷺ : « ألا أستحى ممن تستحى منه الملائكة ؟[١] وقال فى صفة على ﷺ : أقضاكم على »[٢] وقال فى صفة الحسن والحسين ﷺ : إنهما سيدا شباب أهل الجنة »[٣] وقال فى فاطمة ﷺ : « سيدات نساء العالمين أربع ، فاطمة ، وخديجة ، وآسية ، ومريم بنت عمران »[٤] « وفضل عائشة على سائر النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » وأخرج هذا الكلام مخرج عادة العرب فى تفضيلهم الثريد حتى قالوا : ثردوا ولو بالماء ، وقال ﷺ : « أطلبوا ثلث دينكم عند عائشة ﷺ »[٥] وقال فى عائشة : « أنها لفقيهة » ، وقال فى وصف فاطمة : « إن فاطمة بضعة منى يسرنى ما يسرها ، ويسؤنى ما يسؤها »[٦] وقال فى فضل أصحابه أجمعين : « كالنجوم فبأيهم اقتديتم اهتديتم »[٧] وقال وصف ابن مسعود ﷺ : « رضيت لأمتى ما رضى لها ابن أم عبد »[٨] وقال فى وصف أبى ذر الغفارى : « ما أظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء بعد النبيين أمرءاً أصدق لهجة من أبى ذر »[٩] وقال فى صفة أبى عبيدة الجراح : « أمين أمتى »[١٠] وقال فى الزبير : « إن فى كل أمة حوارى وحوارى أمتى الزبير»[١١]، وقال:« أحكم أمتى معاوية »[١٢] ثم دعا له فقال : « اللهم اجعله هاديًا مهديًا واهد به »[١٣] . والأخبار فى فضل الصحابة ﷺ أكثر من أن يحتمله هذا المختصر والمقصود ههنا أن تعلم أن الخلفاء

---

(١) أخرجه البزار والطبرانى .

(٢) ورد بألفاظ شتى عند أحمد وغيره مرفوعًا وموقوفًا .

(٣) أخرجه الترمذى وغيره .

(٤) وبمعناه عند الطبرانى فى الأوسط وغيره .

(٥) أخرجه الطبرانى فى الكبير .

(٦) أولع الفقهاء بذكر هذا الحديث بلفظ « خذوا شطر دينكم عن الحميراء » لكنه غير ثابت وإن كانت عائشة ﷺ جليلة القدر فى الفقه .

(٧) صدر الحديث فى الصحيحين ، وما زاد بمعناه عند أحمد ، والحاكم والبيهقى .

(٨) أخرجه البيهقى والديلمى وغيرهما .

(٩) رواه البزار والطبرانى وغيرهما .

(١٠) أخرجه أحمد والترمذى وابن ماجة وغيرهم . توفى أبو ذر سنة ٣٢ هـ ﷺ .

(١١) أخرجه الترمذى . (١٢) لم أره وكفى فيه قول النسائى .

(١٣) أخرجه الترمذى عن عبد الرحمن بن أبى عميرة قال ابن عبد البر : لا تصح صحبته ولا يثبت إسناد خبره وناقشه بعضهم .

الراشدين كانوا على الحق ، وأن جملة أصحاب رسول الله ﷺ كانوا محقين ، مؤمنين ، مخلصين ، صادقين ، وكانوا تقديمهم لمن قدموه ، وتقريرهم من قرروه حقاً وصدقًا ، وكلهم كانوا يقولون لأبى بكر رضي الله عنه يا أمير المؤمنين ، وكانوا يخاطبون عمر ، وعثمان ، وعلياً ، وكذلك على رضي الله عنه كان يخاطبهم بذلك وكان يخاطب بمثله فى أيامه .

٤٣ - وأن تعلم أن كل من تدين بهذا الدين الذى وصفناه من اعتقاد الفرقة الناجية فهو على الحق وعلى الصراط المستقيم ، فمن بدعه فهو مبتدع ، ومن ضلله فهو ضال ، ومن كفره فهو كافر ، لأن من اعتقد أن الإيمان كفر ، وأن الهداية ضلالة ، وأن السنة بدعة ، كان اعتقاده كفراً وضلالة ، وبدعة وأصل هذا مأخوذ من قول النبى ﷺ : « من قال لأخيه المسلم يا كافر فقد بآء به أحدهما »[1] فجاء من هذه الجملة إنا لا نبدع إلا من بدعنا ، ولا نضلل إلا من ضللنا ، ولا نكفر إلا من كفرنا ، وقد أنصف القارة من راماها[2] .

٤٤ - وأن تعلم أن كل ما يجب معرفته فى أصول الاعتقاد يجب على كل بالغ عاقل أن يعرفه فى حق نفسه معرفة صحيحة صادرة عن دلالة عقلية لا يجوز له أن يقلد فيه ولا أن يتكلُ فى الأب على الأبن ، ولا الأبن على الأب ، ولا الزوجة على الزوج ،بل يستوى فيه جميع العقلاء من الرجال والنساء،وأما ما يتعلق بفروع الشريعة من المسائل فيجوز له أن يقلد فيه من كان من أهل الاجتهاد ، فإن فى تكليف التعليم وتحصيل أوصاف المجتهدين علي العموم قطع الخلق عن المعاش ثم المعاد وما كان فى إثباته سقوط غيره كان ساقطًا فى نفسه ، وقد ذكر الله تعالى الأصول والفروع ، فذم التقليد فى الأصول وحث علي السؤال فى الفروع، فأما مذمة التقليد فى الأصول ففى قوله تعالى : ﴿ بل قالوا إنَّا وَجَدنَا آباءنَا على أمَّةٍ وإنَّا على آثارِهِم مُهتَدون ﴾[3] وفى آية أخرى « مقتدون » وأما الحث على السؤال فى الفروع ففى قوله تعالى : ﴿ فَاسْألوا أهْلَ الذكرِ إنْ كُنتُم لا تَعْلَمُون ﴾[4] .

---

(١) أخرجه البخارى عن أبى هريرة بلفظ « إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما » وفى المعجم للطبرانى زيادة « إن كان الذى قيل له كافراً فهو كافر وإلا رجع إلى من قال » .

(٢) مثل معروف فى استفزاز غير البارع للبارع ، والقارة قبيلة معروفة بجودة الرمى .

(٣) سورة الزخرف ٢٢ . (٤) سورة النحل ٤٣ .

٤٥ - وأن تعلم أن السؤال واجب عند الحاجة ووقوع الحادث لأنه لو لم يسأل وعمل من ذات نفسه وأخطأ أو أصاب لم يكن فعله امتثالاً لأمر الله تعالى ولم يجز أن يكون عبادة يتقرب بها المتعبد ، ولهذا أمر الله بالسؤال فى قوله : ﴿ فاسألوا أهل الذكر ﴾ وهذا كما أن المسلمين أجمعوا على أن الأعمى يسأل عن القبلة ثم يصلى إليها ، فإن لم يسأل وأصاب لم يعتد بصلاته ، وكانت الإعادة واجبة عليه ، كذلك العامى إذا عمل من ذات نفسه أو سأل ممن ليس من أهل السؤال فأصاب فى عبادته لم يعتدله بفعله ، وكانت الإعادة واجبة عليه ، هذا فى العبادات على قول أهل السنة .

فأما فى العقود إذا وافق الشرط المعتبر فيه من غير سؤال كان جائزًا ، لأن النية فيها غير معتبرة وهى فى العبادة معتبرة ، وحقيقة النية أن يوقع فعله امتثالاً لأمر الآمر بطريقة ، فإذا عدل عن الطريق المأمور به لم يكن امتثالاً لأمر الآمر فلم يصح الاعتداد به .

٤٦ - وأن تعلم أن من كان من أهل التقليد فى أحكام الشريعة فإنه يجب عليه السؤال ولا يجوز له أن يسأل كل واحد إذ لو جاز ذلك لجاز أن يعمل من ذات نفسه إذ لا فرق بين شخص وشخص إذا لم يعتبر فيه صفات المجتهدين ،ولهذا قال الله تعالى : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذكرِ إنْ كُنْتُم لا تَعْلَمُون ﴾[1] وقال ﷺ : « إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم »[2] فثبت بهذا أن على العامى إذا أراد السؤال ضربًا من الاجتهاد حتى يميز بين من يكون أهلاً لمعرفة ما يسأل عنه ، وبين من لا يكون أهلاً له ، ويحصل له المعرفة بطول الدراية والتسامع .

٤٧ - وأن تعلم أن من حصل له ما ذكرناه من المعارف المشروطة فى صحة الاعتقاد فواجب عليه إظهاره والإقرار به عند الحاجة إليه والمطالبة به ، ولا يجوز له جحوده ولا كتمانه قال الله تعالى : ﴿ وَقُولوا آمنا بالذى أُنْزِلَ إلينَا وأُنْزِلَ إلَيْكُم وإلَهنا وإلَهكُمْ وَاحِدٌ ونَحْنُ لَهُ مُسْلِمون ﴾[3] وحقيقة الإيمان أن يصحح المعرفة بما ذكرناه من شروط الإيمان ، ويقر به عند التمكن منه والأمان على النفس والمال والحرام

(١) سورة الأنبياء ٧ .

(٢) رواه مسلم عن ابن سيرين من قوله ، ولم نر من رفعه إليه عليه السلام .

(٣) سورة العنكبوت ٤٦ .

والأسباب ، وإن أنكره عند المخافة من غير أن يغير من اعتقاده شيئًا فلا حرج عليه فيه قال الله تعالى : ﴿ إلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطمَئِنٌ بالإيمان ﴾[1] .

واعلم أن جميع ما ذكرناه من صفات عقائد الفرقة الناجية يجب معرفته فى صحة الإيمان ، وقد شرحناه وقرنا كل واحد منها بدليل عقلى وآخر شرعى ليورد من أحكمه على الخصم المقر بالشريعة الأدلة الشرعية ، وعلى الخصم المنكر للشريعة من طبقات الملحدين الأدلة العقلية فيقوى على الفريقين بما جمعناه من الطريقين ، ولا تكاد تنفذ عليه حيل أهل الإلحاد والبدعة والخدعة عن الديانة .

واعلم أن جميع ما ذكرناه من اعتقاد أهل السنة والجماعة فلا خلاف فى شىء منه بين الشافعى وأبى حنيفة رحمهما الله . وجميع أهل الرأى والحديث مثل مالك[2] والأوزاعى[3] وداود[4] والزهرى[5] والليث بن سعد[6] وأحمد بن حنبل[7] وسفيان الثورى[8] وسفيان بن عيينة[9] ويحى بن معين[10] ، وإسحق بن راهوية[11] ومحمد بن اسحق الحنظلى[12] ومحمد بن اسلم الطوسى[13] ، ويحيى بن يحيى[14] ، والحسين بن الفضل البجلى[15] ، وأبى يوسف[16] ، ومحمد[17] ، وزفر[18] ، وأبى ثور[19] ، وغيرهم من أئمة الحجاز ، والشام ، والعراق ، وأئمة خراسان ، وما وراء

---

(١) سورة النحل ١٠٦ .

(٢) توفى سنة ١٧٩ هـ ﷺ .

(٣) توفى سنة ١٥٧ هـ ﷺ .

(٤) هو شيخ أهل الظاهر توفى سنة ٢٧٠ هـ رحمه الله .

(٥) هو محمد بن مسلم توفى سنة ١٢٤ رحمه الله .

(٦) توفى سنة ١٧٥ هـ رحمه الله .

(٧) توفى سنة ٢٤١ هـ رحمه الله .

(٨) توفى سنة ١٦١ هـ رحمه الله .

(٩) توفى سنة ١٩٨ هـ رحمه الله .

(١٠) توفى سنة ٢٣٣ هـ رحمه الله .

(١١) توفى سنة ٢٣٨ هـ رحمه الله .

(١٢) مات شهيداً سنة ٢٩٤ هـ رحمه الله .

(١٣) توفى سنة ٢٤٢ هـ رحمه الله .

(١٤) هو النيسابورى توفى سنة ٢٢٦ هـ رحمه الله .

(١٥) توفى سنة ٢٨٢ هـ رحمه الله .

(١٦) توفى سنة ١٨٢ هـ عن ٨٩ سنة فى رواية ابن فضل الله العمرى رحمه الله .

(١٧) توفي سنة ١٨٩ هـ رحمه الله .

(١٨) توفى سنة ١٥٨ هـ رحمه الله .

(١٩) توفى سنة ٢٤٠ هـ رحمه الله . ولم يراع المصنف طبقاتهم فى سرد أسمائهم كما ترى .

النهر ، ومن تقدمهم من الصحابة ، والتابعين ، واتباع التابعين ، من أراد أن يتحقق أن لا خلاف بين الفريقين فى هذه الجملة فلينظر فيما صنفه أبو حنيفة رحمه الله فى الكلام وهو كتاب « العالم »[1] وفيه الحجج القاهرة على أهل الإلحاد والبدعة ، وقد تكلم فى شرح اعتقـاد المتكلمين وقرر أحسن طريقة فى الرد على المخالفين وكتـاب « الفقه الأكبر »[2] الذى أخبرنا به الثقة بطريق معتمد وإسناد صحيح عن نصير بن يحيى (عن أبى مطيع)[3] عن أبى حنيفة وما جمعه أبو حنيفة فى الوصية[4] التى كتبها إلى أبى عمر وعثمان البتى ورد فيها على المبتدعين . ولينظر فيما صنفه الشافعى فى مصنفاته فلم يجد بين مذهبيهما تباينًا بحال ، وكل ما حكى عنهم خلاف ما ذكرناه من مذاهبهم فإنما هو كذب يرتكبه مبتدع ترويجًا لبدعته . ومن لا يبالى أن يتدين بما لا حقيقة له فى دينه لا يبالى الخرافات إلى أئمة الدين لأن من كذب على الله تعالى ورسوله ﷺ لا يبالى أن يكذب على أئمة المسلمين ، وقد نبغ من إحداث أهل الرأى من تلبس بشىء من مقالات القدرية والروافض مقلدًا فيها ، وإذا خاف سيوف أهل السنة نسب ما هو فيه من عقائده الخبيثة إلى أبى حنيفة تسترًا به ، فلا يغرنك ما أدعوه من نسبتها إليه فإن أبا حنيفة برىء منهم ومما نسبوه إليه ، والله تعالى يعصم أهل السنة والجماعة من جميع ما ينسبه إليهم أهل الغواية والضلالة وبالله التوفيق .

---

(١) وهو المعروف بكتاب « العالم والمتعلم » رواية أبى منصور الماتريدى عن أحمد بن اسحق الجوزجانى عن محمد بن مقاتل الرازى عن أبى مقاتل حفص بن سلم السمرقندى عن أبى حنيفة مطبوع بالهند ، وبدار الكتب المصرية نسخة مخطوطة منه .

(٢) له نسختان إحداهما رواية حماد بن أبى حنيفة وهى التى شرحها على القارى إلا أن نسخته كانت سقيمة وفى مكتبة شيخ الإسلام بالمدينة نسخة صحيحة وفيها (وأبوا النبى ﷺ ماتا على الفطرة) وعليها سند النسخة ، والأخرى رواية أبى مطيع البلخى وهى معروفة بالفقه الأوسط . شرحه أبو الليث السمرقندى ، وعطاء بن على الجوزجانى ونسبة الشرح المطبوع بالهند إلى أبى منصور الماتريدى وهم وإنما هو لأبى الليث يرويها نصير بن يحيى عن أبى مطيع عن أبى حنيفة .

(٣) بلخى توفى سنة ٢٦٨ هـ .

(٤) وهى رسالة أبى حنيفة إلى عثمان بن مسلم البتى عالم البصرة المتوفى سنة ١٤٣ هـ فى مسألة الارجاء وقول من يقول البستى تصحيف وهى موجودة بدار الكتب المصرية برواية نصير بن يحيى ، عن ابن سماعة عن أبى يوسف عن أبى حنيفة .

الفصل الثانى من هذا الباب : فى طريق تحقيق النجاة لأهل السنة والجماعة فى العاقبة :

إعلم أن الذى تحقق لهم هذه الصفة ، منها قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فاتَّبِعُونى يُحْبِبْكُمُ اللهُ ويَغْفِرْ لكُمْ ذُنُوبكُم واللهُ غَفورٌ رَحيم ﴾[1] والمحبة من الله تعالى فى متابعة الرسول سبب محبة الرب للعبد ، فكل من كان متابعته للرسول ﷺ أبلغ وأتم كان المحبة له من الله أكمل وأتم ، وليس فى فرق الأمة أكثر متابعة لأخبار الرسول ﷺ وأكثر تبعًا لسنته من هؤلاء ولهذا سموا أصحاب الحديث ، وسموا بأهل السنة والجماعة، ومنها أن النبى ﷺ لما سئل عن الفرقة الناجية ، قال : « ما أنا عليه وأصحابى »[2] وهذه الصفة تقرر لأهل السنة لأنهم ينقلون الأخبار والآثار عن الرسول ﷺ والصحابة ﷺ ، ولا يدخل فى تلك الجملة من يطعن فى الصحابة من الخوارج ، والروافض ، ولا من قال من القدرية : إن شهادة اثنين من أهل صفين غير مقبولة على باقة بقل ، ومن ردهم وطعن فيهم لا يكون متابعًا لهم ولا ملابسًا بسيرتهم ، ومنها ما جاء فى رواية أخرى أنه ﷺ سئل عن الفرقة الناجية فقال : « الجماعة » وهذه صفة مختصة بنا . لأن جميع الخاص والعام من أهل الفرق المختلفة يسمونهم أهل السنة والجماعة ، وكيف يتناول هذا الاسم الخوارج وهم لا يرون الجماعة ، والروافض وهم لا يرون الجماعة ، والمعتزلة وهم لا يرون صحة الاجماع . وكيف تليق بهم هذه الصفة التى ذكرها الرسول ﷺ .

ومنها أنهم يستعملون فى الأدلة الشرعية كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وإجماع الأمة والقياس ، ويجمعون بين جميعها فى فروع الشريعة ويحتجون بجميعهـا ، وما من فريق من فرق مخالفيهم إلا وهم يردون شيئًا من هذه الأدلة . فبان أنهم أهل النجاة باستعمالهم جميع أصول الشريعة دون تعطيل شىء منها .

منها أن أهل السنة مجتمعون فيما بينهم لا يكفر بعضهم بعضًا وليس بينهم خلاف يوجب التبروء والتكفير ، فهم إذًا أهل الجماعة قائمون بالحق والله تعالى يحفظ الحق وأهله كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِكْرَ وإنَّا لَهُ لَحَافِظُون ﴾[3] قال المفسرون : أراد به الحفظ عن التناقض وما من فريق من فرق المخالفين إلا وفيما

---

(١) سورة آل عمران ٣١ .

(٢) سبق تخريج الحديث .

(٣) سورة الحجر ٩ .

بينهم تكفير وتبرى يكفر بعضهم بعضًا ، كما ذكرنا من الخوارج والروافض ، والقدرية ، حتى اجتمع سبعة منهم فى مجلس واحد فافترقوا عن تكفير بعضهم بعضًا وكانوا بمنزلة اليهود ، والنصارى حين كفر بعضهم بعضًا حتى قال اليهود : ﴿ لَيْسَتِ النَصارَى على شيء وَقَالَتْ النَّصارى لَيْسَتِ اليَهودُ عَلى شَيء ﴾[1] وقال الله سبحانَه وتعالى : ﴿ ولَوْ كَانَ مِنْ عِنْد غير الله لَوَجَدوا فيه اختِلافًا كَثيراً ﴾[2] .

ومنها أن فتاوى الأمة تدور على أهل السنة والجماعة فريقى الرأى والحديث ، ومعظم الأئمة ينتحلون مذهبهم ويجتمعون على طريقهم وهو الغالب على بلاد المسلمين ، فهم إذًا أهل الجماعة من سائر الوجوه ، وكلهم متفقون على رد مذهب الروافض ، والخوارج ، والقدرية ، من أهل الأهواء والبدع .

ومنها أن عبد الله بن عمر رضي الله عنه روى عن النبى ﷺ فى تفسير قوله سبحانه وتعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُ وُجُوهٌ وتَسودُ وُجوهٌ ﴾[3] (إن الذين تبيض وجوههم هم الجماعة[4] ، والذين تسود وجوههم هم أهل الأهواء)[5] وأهل الأهواء هم الذين لا يتابعون الكتاب ولا السنة .

ومنهـــا قوله تعالى : ﴿ إنَّ الَّذينَ فَرَقُوا دِينَهُمُ وَكانُوا شيَعًا لَسْت مِنْهُمُ فى شَيء ﴾[6] فتبين أن الذين فارقوا دينهم أو فرقوا دينهم هم ليسوا على طريق الحق ، وجميع من ذكرناهم من فرق المخالفين يفرقون فيما بينهم كما وصفناه من اختلافهم فبان به أنهم مفارقون للدين ، وأهل السنة والجماعة مستمسكون به بعروة الإسلام وحبل الدين ، مجتمعون فى أصولهم غير متفرقين ، فكانوا هم أهل النجاة دون من خالفهم فى هذه الصفة .

الفصل الثالث : من فصول المفاخر لأهل الإسلام ، وبيان فضائل أهل السنة والجماعة وبيان ما اختصوا به من مفاخرهم .

---

(١) سورة البقرة ١١٣ . (٢) سورة النساء ٨٢ .

(٣) سورة آل عمران ١٠٦ .

(٤) ولفظ الخطيب فى رواه مالك والديلمى عن ابن عمر مرفوعًا « تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدع » وأما لفظ ابن أبى حاتم واللالكائى عن ابن عباس « تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدع والضلالة » .

(٥) هم أصحاب البدع وأصحاب الأهواء ... كما رواه الطبرانى مرفوعًا فى الصغير قال الهيثمى واسناده جيد . (٦) سورة الأنعام ١٥٩ .

اعلم أنه لا خصلة من الخصال التى تعد فى المفاخر لأهل الإسلام من المعارف ، والعلوم ، وأنواع الاجتهادات ، إلا ولأهل السنة والجماعة فى تزيينها القدح المعلى ، والسهم الأوفر .

أما العلوم فأولها الرقى فى مدارج الفضل والأدب الذى هو ترجمان جميع العلوم ، ومعرض جميع الفوائد الفاخرة فى الدنيا والآخرة ، إذ لا سبيل إلى تفسير القرآن وأخبار الرسول ﷺ إلا بمعرفة الأدب ، وجملة الأئمة فى النحو واللغة من أهل البصرة والكوفة فى دولة الإسلام كانوا من أهل السنة والجماعة ، وأصحاب الحديث والرأى . ولم يكن فى مشاهيرهم من تدنس بشىء من بدع الروافض ، والخوارج ، والقدرية ، مثل أبى عمرو بن العلاء[1] الذى قال له عمرو بن عبيد القدرى : قد ورد من الله تعالى الوعد والوعيد ، والله تعالى يصدق وعده ووعيده ، فأراد بهذا الكلام أن ينصر بدعته التى أبتدعها فى أن العصاة من المؤمنين خالدون مخلدون . فقال أبو عمرو : فأين أنت من قول العرب أن الكريم إذا أوعد عفا ، وإذا وعد وفى ، وافتخار قائلهم بالعفو عند الوعيد حيث قال :

وأنى إذا أوعدته أو وعدته   لمخلف ميعادى ومنجز موعدى

فعده من الكرم لا من الخلق المذموم ، وكذلك لم يكن فى أئمة الأدب أحد إلا وله انكار على أهل البدعة شديد ، وبعد من بدعهم بعيد ، مثل الخليل ابن أحمد[2] ويونس بن حبيب[3] وسيبويه [4] والأخفش[5] والزجاج[6] والمبرد[7] وأبى حاتم السجستانى[8] وابن دريد[9] والأزهرى[10] وابن فارس[11]

(١) هو إحد القراء السبعة واحد أركان علم اللغة بالبصرة توفى سنة ١٥٤هـ رحمه الله .
(٢) هو إمام البصريين فى النحو واللغة توفى سنة ١٧٥ هـ رحمه الله .
(٣) هو من أصحاب أبى عمرو بن العلاء توفى سنة ١٨٢ هـ رحمه الله .
(٤) هو عمرو بن عثمان الإمام المعروف توفى سنة ١٨٠ هـ رحمه الله .
(٥) هو سعيد بن مسعدة توفى سنة ٢١٠ هـ رحمه الله .
(٦) هو إبراهيم بن السرى توفى سنة ٣١١ هـ . رحمه الله .
(٧) هو محمد بن يزيد صاحب الكامل توفى سنة ٢٨٥ هـ رحمه الله .
(٨) هو سهل بن محمد توفى سنة ٢٥٠ هـ رحمه الله .
(٩) هو محمد بن الحسن تكلموا فيه توفى سنة ٣٢١ هـ رحمه الله .
(١٠) هو أبو منصور محمد بن أحمد توفى سنة ٣٧٠ هـ رحمه الله .
(١١) هو أحمد صاحب المجمل توفى سنة ٣٩٥ هـ رحمه الله .

والفارابى[١] وكذلك من كان من أئمة النحو ، واللغة ، مثل الكسائى[٢]، والفراء[٣] ، والأصمعى[٤] وأبى زيد الأنصارى[٥] وأبى عبيدة[٦] وأبى عمرو الشيبانى[٧] وأبى عبيد القاسم بن سلام[٨] وما منهم أحد إلا وله فى تصانيفه تعصب لأهل السنة والجماعة ورد على أهل الإلحاد والبدعة ، ولم يقر واحد فى شىء من الأعصار من أسلاف أهل الأدب بشىء من بدع الروافض ، والقدرية غير أن جماعة من المتأخرين من أهل الأدب تدنسوا بشىء من ذلك تقربًا إلى « ابن عباد » طمعًا فى شىء من الدنيا والرياسة ، وأظهروا شيئًا من الرفض والاعتزال ، ومن كان متدنسًا بشىء من ذلك لم يجز الاعتماد عليه فى رواية أصول اللغة وفى نقل معانى النحو ، ولا فى تأويل شىء من الأخبار ، ولا فى تفسير آية من كتاب الله تعالى .

وثانيهـــا : علم تفسير القرآن ، ولم يكـــن فى جميع من نسـب إليه شىء من أصـــول تفسير القرآن من وقت الصحابة إلى يومنا هذا من تلوث بشىء من مذهب القدرية ، والخوارج ، والروافـض ، مثل الخلفاء الراشـــدين الذين تكلموا فى التفسير ، ومثـــل عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن مسعـــود ، وزيد بن ثابت[٩] رضي الله عنهم ، ومثل المشــاهير من التابعين ، واتباع التابعين الذين تكلموا فى التفسير كسعيد بن جبير[١٠] وقتادة[١١] وعطاء[١٢] وعكرمة[١٣] ومكحـــول[١٤]

---

(١) هو إسحاق بن إبراهيم توفى سنة ٣٥٠ هـ رحمه الله .

(٢) هو على بن حمزة أحد القراء السبعة توفى سنة ١٨٩ هـ رحمه الله .

(٣) هو يحيى بن زياد توفى سنة ٢٠٧ هـ رحمه الله .

(٤) هو عبد الملك بن قريب والكلام فيه طويل توفى سنة ٢١٦هـ رحمه الله .

(٥) هو سعيد بن أوس توفى سنة ٢١٥ هـ رحمه الله .

(٦) هو معمر بن المثنى توفى سنة ٢٠٩ هـ رحمه الله .

(٧) هو إسحاق بن مرار توفى سنة ٢٠٦ هـ رحمه الله .

(٨) إمام فى عدة علوم توفى سنة ٢٢٤ هـ رحمه الله .

(٩) هو كاتب الوحى توفى سنة ٤٥ هـ رضي الله عنه .

(١٠) هو آخر من استشهد بيد الحجاج سنة ٩٥ هـ رحمه الله .

(١١) هو ابن دعامة المشهور توفى سنة ١١٧ هـ والقول فيه معروف . رحمه الله .

(١٢) هو ابن أبى رباح توفى سنة ١١٤ هـ رحمه الله .

(١٣) هو مولى ابن عباس والكلام فيه طويل توفى سنة ١٠٥ هـ . رحمه الله .

(١٤) هو ابن شهراب عالم الشام توفى سنة ١١٣ هـ . رحمه الله .

وعطيــة[1] ومن كان بعدهم . كالواقدى[2] ومحمد بن إسحاق بن يسـار[3] والسدى[4] وغيرهم ممن كان بعدهم إلى أن انتهت النوبة إلى محمد بن جرير الطبرى[5] وأقرانه .

وكان الزجاج رأسًا فى نصرة أهل السنة والرد على أهل البدعة ، وكذا الفراء قبله وقد ردا فى كتابيهمـا المصنفين فى المعانى على القدرية ، والخوارج ، والروافض ، وصنف بعض متأخرى القدرية فى تفسير القرآن على موافقة بدعتهم وذلك لا يتداوله من أهل صنعة التفسير إلا مخذول ، وقد جمعنا فى كتابنا المعـروف « بتاج التراجم » ما هو المعتمد من أقوال المفسرين ابتعاداً عما أحدثه فيه أهل الضلالة والزيغ من التأويلات على سبيل التحريف .

وثالثها : العلوم المتعلقة بأحاديث المصطفى ﷺ ، والتمييز بين الصحيح والسقيم من الروايات ومعرفة السلف الصالح ، ولا يدخل فى تلك الصنعة إلا أهل السنة والجماعة . وكذلك علوم القرآن لا حظ فى شىء منها لأحد من الخوارج ، والروافـض ، والقدرية ، وكيف يكون فيه حظ لمن يدعى أن فى القرآن زيادة ونقصًا ، ويقدح فى الصحابة الذين عليهم مدار الأحاديث ، بل لا يبالى بأن يقدم عليهم بالتضليل والتكفير ، وقد ندر فيما بين أهل القرآن والحديث من يتلبس بصنعتهم وهو يضمر سوء بدعته ونحن نذره وسوء سريرته لا نعتد به .

ورابعها : علوم الفقه ويختص بالتبحر فيه أصحاب الحديث وأصحاب الرأى . ولم يكن قط للروافض ، والخوارج ، والقدرية ، تصنيف معروف يرجع إليه فى تعرف شىء من الشريعة ، ولا كان لهم إمام يقتدى به فى فروع الديانة .

وخامسها : علوم المغازى ، والسير ، والتواريخ ، والتفرقة بين السقيم

---

(١) هو ابن الحارث أبو روق الهمدانى وتفسيره معروف . رحمه الله .

(٢) هو محمد بن عمر السلمى توفى سنة ٢٠٧ تفصل الخلاف فيه معروف . رحمه الله .

(٣) هو صاحب المغازى والكلام فيه طويل توفى سنة ١٥١ هـ . رحمه الله .

(٤) هو الكبير اسماعيل بن عبد الرحمن توفى سنة ١٢٧ هـ ، وكلامهم فيه معروف . رحمه الله .

(٥) وهو الامام المجتهد صاحب التفسير والتاريخ المشهـورين توفى سنة ٣١٠ هـ رحمه الله .

والمستقيم وليس لأهل البدعة من هو رأس فى شىء من هذه العلوم فهى مختصة بأهل السنة والجماعة .

وسادسها : علم التصوف ، والإشارات ، وما لهم فيها من الدقائق والحقائق لم يكن قط لأحد من أهل البدعة فيه حظ ، بل كانوا محرومين مما فيه من الراحة ، والحلاوة ، والسكينة ، والطمأنينة وقد ذكر أبو عبد الرحمن السلمى[1] من مشايخهم قريبًا من ألف ، وجمع إشاراتهم وأحاديثهم ولم يوجد فى جملتهم قط من ينسب إلى شىء من بدع القدرية والروافض ، والخوارج ، وكيف يتصور فيهم من هؤلاء وكلامهم يدور على التسليم ، والتفويض ، والتبرى من النفس ، والتوحيد بالخلق والمشيئة ، وأهل البدع ينسبون الفعل ، والمشيئة ، والخلق ، والتقدير إلى أنفسهم ، وذلك بمعزل عما عليه أهل الحقائق من التسليم والتوحيد ،

وسابعها : أن لأهل السنة والجماعة التفرد بأكثر من ألف تصنيف فى أصول الدين . منها ما هو مبسوط يكثر علمه ، ومنها ما هو لطيف يصغر حجمه فى أعصار مختلفة من عصر الصحابة إلى يومنا هذا ، فى نصرة الدين ، والرد على الملحدين ، والكشف عن أسرار بدع المبتدعين ، ولم يكن لواحد من متقدمى القدرية والروافض والخوارج تصنيف فى هذا النوع يظهر ويتداول ، وهل كان لهم علم حتى يكون لهم فيـه تصنيف ؟ بلى قوم من متأخريهم تكلفوا جمع شبه يخادعون به القوم عن أديانهم ، وصنفوا فيها تصانيف أكثرها لا يوجد إلا بخط المصنف ، إذ كان الاشتغال بنقلها من قبيل تعطيل الوقت بالمقت ، وقيض الله تعالى فى عصرنا فى كل إقليم من أقاليم العالم سادة من أعلام أئمة الدين صنفوا فى نصرة الدين ، وتقوية ما عليه أهل السنة والجماعة والرد على أهل البدع فيما زوروه من الشبه . مثل القاضى الإمام أبى بكر الأشعرى[2] وله قريب من خمسين ألف ورقة من تصانيفه فى نصرة الدين والرد على أهل الزيغ والبدع لا تكاد تندرس إلي يوم القيامة ،مثل : كتاب (الهداية) وكتاب (نقض النقض) وكتاب (التقريب فى الأصول) والكتاب الكبير فى الأصول

---

(١) هو محمد بن الحسين النيسابورى الصوفى من مشايخ أبى القاسم القشيرى والبيهقى ألف طبقات الصوفية وحقائق التفسير . وفى تفسيره تخريف كثير توفى سنة ٤١٢ هـ وهو ممن اختلف أهل النقد فيه .

(٢) هو محمد بن الطيب الباقلانى المتوفى سنة ٤٠٣ هـ رحمه الله تعالى .

يشتمل على عشرة آلاف ورقة وكتاب (الكسب) وكتاب (التمهيد) وغير ذلك[1] من التصانيف التى لا يكاد يتفق مثلها إلا لمن وافقه التوفيق ·

ومثل الإمام أبى إسحاق الاسفراينى رحمه الله الذى عقمت النساء عن أن يلدن مثله ، ولم تر عيناه فى عمره مثل نفسه ، وكان شديداً على خصمه ، يفرق الشيطان من حسه ، قدس الله روحه وله تصانيف فى أصول التوحيد ، وأصول الفقه كل واحد منها معجز فى فنه · منها : كتاب (الجامع) وهو كتاب لم يصنف فى الإسلام مثله ، ولم يتفق لأحد من الأئمة فى شىء من العلوم مثل ذلك الكتاب ، ومن حسن أحكامه أنه لا طريق لأحد من المخالف والموافق إلى نقضه لحسن تحقيقه واتقانه ، ولا يتجاسر أحد لأن يتصدى لنقضه للطف صنعته فى وضعه ، وله فى دقائق الفقه والمقدرات كتاب حير به الأفهام ، ولا يهتدى لحله إلا من أنفق دهره على حسه ، وله عدد كثير من لطائف التصانيف يهتدى بها الناس فى أصول الدين مثل : (المختصر فى الرد على أهل الاعتزال والقدر) ولم يوجد فى الإسلام كتاب مثل حجمه يجمع ما يجمعه من النكت فى الرد على أهل الزيغ ، وكتاب (الوصف والصفة) لم ير كتاب فى مثل حجمه يجمع من الفوائد فى أصول الدين ما يجمعه وكتاب (تحقيق الدعاوى) وهو فى لطافة حجمه يتضمن الطرف التى يتوصل بها إلى إبانة بطلان الباطل من المقالات وتصحيح الصحيح منها جميعها فى سبع طرق من يهدى إليها لم تخف عليه كيفية الرد على شىء من مقالات الملحدين والمبتدعين ، وكتاب (شرح الاعتقاد) الذى لا يطلع على علومه أحد إلا استبان له طريق أهل السنة على وجه لا يتخالجه فيه شىء من الشك والشبهة وله فى الأصول كتاب (ترتيب المذهب) وكتاب (المختلف فى الأصول) لم يجمع مثلهما فى علم أصول الفقه بعد الشافعى ·

ومثل الاستاذ أبى بكر فورك الأصفهانى ﷺ الذى لم ير مثله فى نشر دينه ، وقوة يقينه ، وله أكثر من مئة وعشرين تصنيفًا فى نشر الدين ، والرد على الملحدين ، وتحقيق أصول الدين ، وله فى الإسلام آثار ظاهرة ولو لم يخرج من مجلسه من المتزهدين والأقوياء فى نصرة الدين إلا الأستاذ الإمام أبو منصور الأيوبى ﷺ[2] وهو الذى كان يفر من حسه شيطان كل ملحد على وجه الأرض ، لقوة

---

(١) مثل كتاب الانتصار وهو من محفوظات مكتبة قرا مصطفى باشا بالاستانة بنقص فى آخره وهو كتاب لا نظير له فى دفع المطاعن عن الكتاب الكريم ·

(٢) هو محمد بن الحسن بن أبى أيوب وإليه ينسب نيسابورى توفى سنة ٤٢١ هـ ·

نظره ، وحسن عبارته ، ولطافته فى الرد على خصمه وله كتاب (التلخيص) ولو لم يكن لأهل السنة والجماعة فى الرد على أهل الإلحاد والبدعة سوى ذلك الكتاب فى حسن بيانه ، ولطافة ترتيبه ، وتهذيبه كان فيه الكفاية فى حسنه ، مع ما له من التصانيف الأخر التى تداولتها أيدى أهل الأقاليم بحسن البيان ولطافة التنميق ·

ولو لم يكن لأهل السنة والجماعة من مصنف لهم فى جميع العلوم على الخصوص والعموم ، إلا من كان فرد زمانه ، وواحد أقرانه فى معارفه وعلومه ، وكثرة الغرر من تصانيفه ، وهو الإمام أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادى التميمى قدس الله روحه ، وما من علم من العلوم إلا وله فيه تصانيف ولو لم يكن له من التصانيف إلا كتاب (الملل والنحل) فى أصول الدين وهو كتاب لا يكاد يسع فى خاطر بشر أنه يتمكن من مثله لكثرة ما فيه من فنون علمه ، وتصانيفه فى الكلام ، والفقه ، والحديث ، والمقدرات[1] التى هى أم الدقائق تخرج عن الحصر لم يسبق إلى مثل كتبه فى هذه الأنواع مع حسن عبارته ، وعذوبة بيانه ، ولطافة كلامه ، فى جميع كتبه ·

وقد تأملنا ما جمعه هؤلاء الأئمة فى أصول التوحيد من الكتب البسيطة والوجيزة ، ومن تقدم من سادة الأئمة ، وأعيان أهل السنة والجماعة ، فجمعنا نكتهم فى كتاب (الأوسط) بعبارات قريبة وألفاظ وجيزة ، واتباعًا لآثارهم وبناء على مقالاتهم ، والله تعالى قد ينفع بجميع ما تيسر من التصانيف فى الفقه ، والفرائض ، والمقدرات ، والكلام ، والتفسير ، والتعبير ، بالفارسية ما شاء الله بفضله وجوده ·

وأما أنواع الاجتهادات الفعلية التى مدارها على أهل السنة والجماعة فى بلاد الإسلام فمشهورة مذكورة ، مثل المساجد والرباطات المثبتة فى بلاد أهل السنة ، أما فى أيام بنى أمية ، وأما فى أيام بنى العباس مثل مسجد دمشق المبنى فى أيام الوليد بن عبد الملك وكان سنيًا قتل فى أيامه ما شـاء الله من الخوارج والروافض ، والقدرية ، وبنى أخوه مسلمه بن عبد الملك المسجد بقسطنطينية · وما قام إلى هذه المدة بعمارة مسجد مكة والمدينة إلا من كان من أهل السنة والجماعة ، لم يكن لواحد من أهل بدع الخوارج والروافض ، والقدرية ، فيه سعى وكان بعض المصريين[2] يتغلبون

---

(١) الحساب ·

(٢) يريد العبيديين الذين كانوا يسمون أنفسهم الفاطميين ·

ويسعون فى عمارة شىء منه لكن لا موقع لما كانوا يفعلونه مع سوء اعتقادهم كما قال الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنفسهمْ بِالْكُفْرِ ﴾[1] وكما قال تعالى : ﴿ قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾[2] .

وقد تكلمنا قبل ، على سوء طريقهم وعظم فتنتهم فيما بين المسلمين ، ومن كانت هذه طريقته لم يكن له بعمارته المسجد موقع عند الله تعالى وعند المسلمين ، ومن آثارهم الاجتهادية سدهم ثغور الإسلام والمرابطة بها فى أطراف الأرض مثل ثغور الروم ، وثغور أرمينية ، وانسداد جميعها ببركات أصحاب الحديث . وأما ثغور بلاد الترك فمشتركة بين أهل الحديث والرأى ، وليس لأهل الأهواء فى شرح من الثغور مرابطة ولا أثر ظاهر ، بل هم أشد ضلالة ، فبان لك بما ذكرناه من مساعى أهل السنة والجماعة فى العلوم والاجتهادات ، أنهم أهل الاجتهاد ، والجهاد ، والجهاد فى الدين يكون تارة بإقامة الحجة فى الدعوة إلى المحجة ويكون تارة باستعمال السيف مع المجاهدين ضد أهل الخلاف من الأعداء وببذل الأموال والمهج وقد خص الله تعالى فيهم قوله : ﴿ والَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[3] ، وإذا كان الجهاد فى النوعين صادراً منهم كانت الهداية مختصة بهم ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾[4] .

وقد عصمهم الله أن يقولوا فى أسلاف هذه الأمة منكرًا ، أو يطعنوا فيهم طعنًا . فلا يقولون فى المهاجرين ، والأنصار ، وأعلام الدين ، ولا فى أهل بدر وأحد ، وأهل بيعة الرضوان ، إلا أحسن المقال ، ولا فى جميع من شهد النبى ﷺ لهم بالجنة ، ولا فى أزواج النبى ﷺ وأصحابه وأولاده وأحفاده مثل الحسن والحسين ، والمشاهير من ذرياتهم مثل عبد الله بن الحسن[5] وعلى بن الحسين[6] ومحمد بن على[7] وجعفر بن محمد[8] وموسى بن جعفر[9] وعلى بن

(١ ، ٢) سورة التوبة ١٧ و٥٣ . (٣) سورة العنكبوت ٦٩ .

(٤) سورة الجمعة ٤ .

(٥) هو حفيد الحسن السبط عليه السلام توفى سنة ١٤٥ هـ . رضي الله عنه .

(٦) هو الإمام على زين العابدين المتوفى سنة ٩٤ هـ . رضي الله عنه .

(٧) هو الباقر عليه السلام . (٨) هو الصادق عليه السلام .

(٩) هو موسى الكاظم رضي الله عنه .

موسى الرضا[١] ومن جرى منهم على السداد من غير تبديل ولا تغيير ، ولا في الخلفــاء الراشدين ولم يستجيزوا أن يطعنوا فى واحد منهم وكذلك فى أعلام التابعين ، وأتباع التابعين الذين صانهم الله تعالى عن التلوث بالبدع وإظهار شيء من المنكرات ، ولا يحكمون فى عوام المسلمين إلا بظاهر إيمانهم ، ولا يقولون بتكفير واحد منهم إلا أن يتبين منه ما يوجب تكفيره ، ويصدقون بقــول النبى ﷺ : « يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفًا بغير حساب يشفع كل واحد منهم فى عدد ربيعة ومضر »[٢] ويوجبون على أنفسهم الدعاء لمن سلف من هذه الأمة كما أمر الله، تعالى فى كتابه حيث قال : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[٣] .

ثم الباب وتم بتمامه الكتاب والحمد لله على نعمه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه البررة الكرام وعلى أزواجه أمهات أهل الإسلام وحسبنا الله وكفى .

وهنا وقف القلم عن تعليق ما رقم عصر يوم الجمعة ٢٩ من محرم الحرام سنة ١٣٥٩ هـ .

حامدًا لله ومصليًا على رسوله محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين .

* * *

(١) دفين طوس رضي الله عنه .

(٢) ولفظ البخارى (يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفًا بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون) .

(٣) سورة الحشر ١٠ .

فهرس الأعلام[1]

(١) الأرقام كلها أرقام الصفحات ولم نعتبر فى ترتيب الأعلام كلمات (أبو) و (ابن) ونحو ذلك ويجد القارىء بإزاء الأعلام علامة * فهى للدلالة على أن للعلم ترجمة فى هامش الكتاب وكذلك علامة - بمعنى انظر .

فهرس

كتاب التبصير

لأبى المظفر الإسفراينى

الصفحة

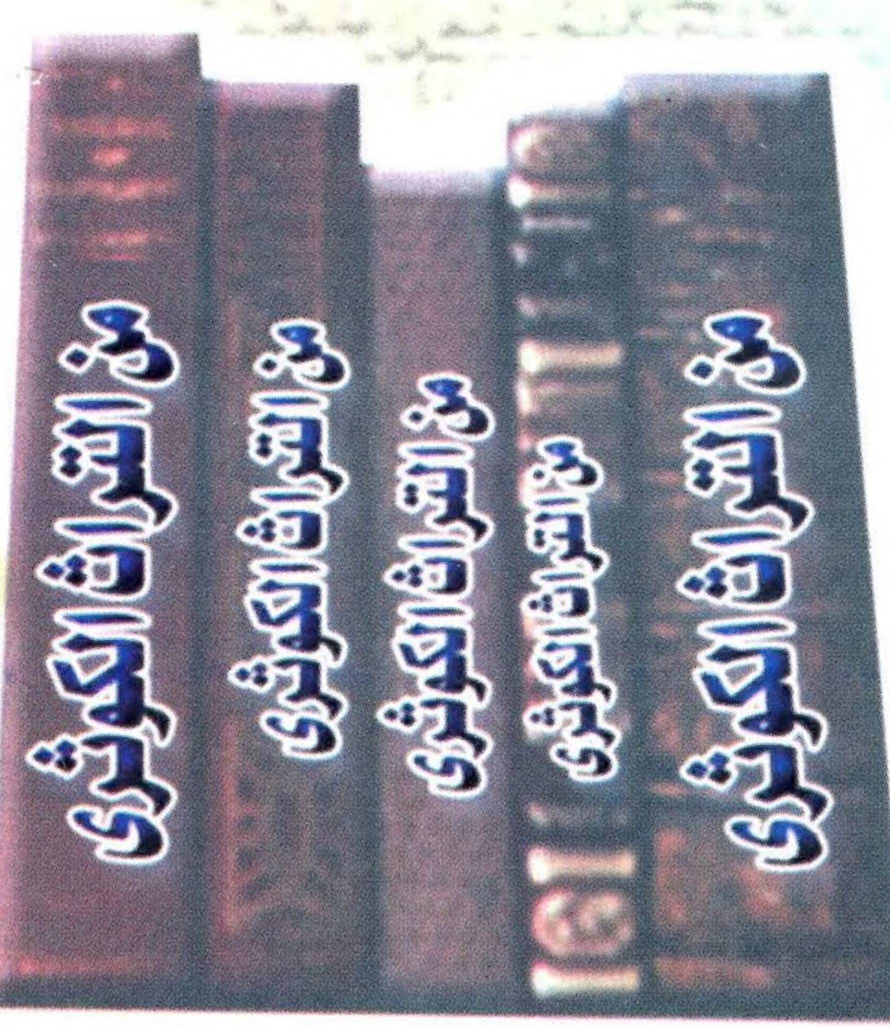
الصفحة

الصفحة

* * *

رقم الإيداع
١٤٦٤٨
بدار الكتب





الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث

٩ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر الشريف - ت: ٢٥١٢٠٨٤٧